أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة المجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء التاسع والعاشر — السنة الرابعة والثلاثون — ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٣٨٢هـ — أبريل ومايو ١٩٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد لطفي السيد

بقلم : أحمد حسن الزيات

١٨٧٢ — ١٩٦٣

بين السحر والفجر من يوم الثلاثاء الخامس من شهر مارس لسنة ١٩٦٣ حين ينسلخ النهار من الليل ، وينبثق النور من الظلام ، تخلصت روح لطيفة من قيدها المادي الغليظ وصعدت إلى مصدرها الأول ومرجعها الأخير :

تلك هي روح الأستاذ الفيلسوف أحمد لطفي السيد ، لفظها في غير قلق ولا ألم كما ينسم الطفل النائم الهادىء ، وموت الشيخوخة المطمئنة نقلة روحية سعيدة من فناء منقطع إلى بقاء متصل ، فهو موت وحياة في وقت معا . كالشمس تغيب عن قوم فتكون غروبا في المغرب ، وتطلع في الوقت نفسه على آخرين فتكون شروقا في المشرق .

وشيخوخة لطفي السيد كانت ككهولته وشبيبته سلاما وطمأنينة لم يكدر صفوها حقد على أحد ولا طمع في شيء ، فكانت حياته الوادعة النافعة أشبه بحياة الجدول السلسل الرقراق تفيض على جوانبه الري والخصب من غير هدير ولا طغيان ولا كدر .

كان في كل أعماله العلمية والإدارية والسياسية يستار سيرة العلماء ويتن سنة الفلاسفة ، لا يقول قولا ولا يعمل عملا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلا فى حدود المنطق والخلق والقانون ، وكان لعبقريته وبلاغته يرسل القول فيكون مثلا أو حكمة ، ويفعل الفعل فيكون مثالا وقدوة.

وكان فى رزانة الحكيم ووقار الحليم يتحدث أو يناقش فلا يستفزه نزق جاهل ، ولا يستخفه غضب مكابر . فإذا اشتد الجدل فى حضرته بين اثنين فى مسألة فصلا الصوت واحتد اللسان قال لهما : علام الخصومة والخلاف ؟ فى المسألة رأيان ، فأحدكما من رأى والآخر من رأى .

وكان على شغوف بدته باهر الجلالة ظاهر الأبهة ، لا يقبل اللغو فى مجلسه ، ولا يبالغ فى التعبير عن شعوره . فإذا ضحك لا يضحك بملء فمه ، وإذا عبس لا يعبس بكل وجهه ، وإنما هى الابتسامة الحلوة فى كل ما يحب أو يكره .

وكان أظهر مزايا لطفى السيد حديثه ؛ فقد كان آخر طبقة شهروا ببراعة الحديث من أمثال محمد عبده وسعد زغلول وإبراهيم الهلباوى ، فأنت فى حضرتهم لا تشتهى الكلام لأن لذتك فى أن تسمع ، ولا تثير الجدال لأن همك فى أن تستفيد ، ولطفى السيد كان محدثا نقى الصوت حلو النغمة متئد الأداء واضح الجرس فكه اللسان متخير اللفظ ، فلو ذهبت تكتب ما يقول لكان قريب الشبه مما تكتب ، وكان ينثر فى خلال حديثه الكلمة الفرنسية أو اللهجة (الشرقاوية) فتكسبه ظرفا ورقة .

وكان مجلسه أشبه بمجلس صديقه أرسطو زعيم المشائين فى مماشيه المظللة ، أو شيخه الأفغانى إمام المصلحين فى قهوته المفضلة ، يتوخى فيه الفائدة واللذة ؛ فسامعه لا ينفك ، راضى العقل ريان العاطفة . وكان بارعا فى سلسلة الحديث سريعا إلى انتناص المناسبة ، فلا تخشى على الحديث فى مجلسه أن يبوخ ، ولا على الصموت فى حضرته أن يحرج .

وكان أسبق معاصريه إلى التجديد فلم تعرف قبله فى الشرق كلمات الحرية والديمقراطية والاستقلالية بمعناها المطلق . وأجلى مظهر لهذا التجديد كان فى نزعته السياسية وطريقته الكتابية ؛ ففى صحيفة (الجريدة) التى كانت لسانا لحزب الأمة وكان هو رئيس تحريرها نهج للناس سياسة مصرية خالصة لا تتصل بالدعوة العثمانية ولا بالجامعة الإسلامية .

وفى هذه الجريدة ابتكر أسلوبا للكتاب لفظه قدر لمعناه ، ووصفه طبق لموصوفه ، وسبيله قصد لغايته ، فكان مذهبا جديدا أجرى عليه الكتاب والصحفيون إلى اليوم ، وكان من سبقه إلى التجديد أن دعا إلى إصلاح الخط العربى وإنشاء المجمع اللغوى وتعليم الفتاة المصرية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

* * *

قالوا فيه : إنه أستاذ الجيل، وكان الأصدق الأحق أن يقولوا : إنه أستاذ أجيال ثلاثة ، فمنذ أن صدرت (الجريدة) فى عام ١٩٠٨ كان فيها وفى ندوتها مصدر توجيه ومشعل هداية . كان يندى إلى مجلسه صفوة الشباب والطلاب فيفتح قلوبهم للآراء الجديدة ، ويهيئ نفوسهم للقيادة الرشيدة ، ويجنبهم مزالق التطرف الجامح والتصرف المرتجل . وقرأ لهم منطق أرسطو وسياسته فتخرج عليه طائفة من الكتاب والمحامين تزعموا الإصلاح وقادوا النهضة . وظلت أستاذيته متصلة الأثر من يوم أن خرجت الجريدة إلى الناس إلى يوم أن دخل هو فى جوار الله .

كان فى السنين الثمانى عشرة الأخيرة من حياته الطويلة الخصبة رئيسا لمجمع اللغة العربية فكان لهذه الأستاذية من قوة الشخصية وحضور الذهن وصدق التوجيه وسعة الاطلاع واستقامة المنطق وحدة النشاط الأثر البالغ فى اضطلاع المجمع بعبء رسالته . كان من أفهم الأعضاء لطبيعة اللغة ووظيفة المجمع وحقيقة التطور ، يرى كما نرى أن اللغة ملك للمتكلمين بها لا للواضعين لها ، فهم أحرياء أن يتصرفوا فيها تصرف الوارث فيما ورث ، يعدل ويكمل وفقا لحالته وطبقا لحاجته . ففى عهده رد المجمع الاعتبار إلى المولد وقبل السماع من المولدين ، وقرب المسافة بين الفصحى والعامية بقبول ما وضع الصناع والزراع والتجار وغيرهم من كل ذى حرفة .

* * *

كان تفكيره الحر وتجديده الواعى أصيلين فى فطرته ظهر أثرهما على رأيه وهو فى رونق شبابه . حدثنى رحمه الله عن سبب اتصاله بالإمام محمد عبده قال : كان الشيخ ينتدب فى كل عام لامتحان طلاب الحقوق فى السنة النهائية ، وكانوا قد اقترحوا علينا فى امتحان الإنشاء أن نكتب فى هذا الموضوع : (كيف كان للحكومة حق عقاب المجرم ؟) . وجعلوا زمن الإجابة عن هذا السؤال أربع ساعات على ما أذكر ، فكتبت المذاهب الأربعة التى قررها العلماء فى هذه المسألة ثم عقبت عليها ففندتها جميعا ونفيت أن يكون للحكومة (حق) عقاب المجرم لأنها قائمة على القوة لا على الحق . وأسرفت فى التدليل على ذلك حتى ملأت الكراسة . ثم خرجت فذكرت لرفاقى ما كتبت فاكتأبوا وقرروا جميعا أنى لا محالة راسب ، واشتد من جانبهم اللوم والتقريع حتى ذهب من نفسى كل أمل فى النجاح . فلما كان يوم الامتحان الشفوى وقف الشيخ فقرظ موضوعى وكان قد وضعه فى الدرجة العليا . ولكنه نصح لى أن أقتصد الآن فى هذه الآراء إشفاقا على . ومنذ ذلك اليوم لزمته .

* * *

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كان أول يوم اتصلت فيه أسبابي بالفقيد العظيم يوم زرته في مكتبه بالجريدة أنا وصديقاي طه حسين ومحمود الزناتي نشكو إليه فصلنا من الأزهر ونحن في السنة النهائية من الدراسة فيه لخلاف ثار بين الطلاب في درس أستاذنا المرصفي حول فقرة من خطبة للحجاج رواها المبرد في الكامل. وكان الخطيب الجرىء قد أساء الأدب في حديثه عن طواف بقبر الرسول فكفروه لذلك. وكنا نرى أن سوء التعبير يوجب التعذير ولا يوجب التكفير. فلما دخلنا عليه هش بنا وبش لنا وسمع منا وسمعنا منه، ثم قال بلهجته الرزينة إن الأمر أيسر من ذلك. ورفع سماعة التليفون وقال للشيخ حسونة النواوي وكان شيخ الأزهر يومئذ: إن عندي ثلاثة من طلاب الأزهر فصلتموهم لرأي رأوه. ولعل من الخير ألا تقتلوا في الشباب حرية الرأي ما دامت لا تخالف أصلا من أصول العقيدة ولا نصا من نصوص الأحكام. وسأله أن يلغي قرار الفصل ففعل، وانصرفنا من عنده وليس أحد من رجال الفكر وأصحاب البيان أحب إلينا منه.

* * *

كانت ثقافة لطفي السيد راسخة الأصل متينة القواعد، أقام ركنها العقلي على فلسفة أرسطو وأفلاطون، وركنها الأدبي على كتاب الله وشعر العرب، كان يحمل القرآن على ظهر قلبه وطرف لسانه، يؤديه آية آية كأنما يتلو في مصحف منشور. وكان كثير المحفوظ من الشعر يستمده من أوعية شتى ويرويه عن أعصر مختلفة، فكنا في مجلس الجمع كلما ندعن ذاكراتنا شاهد من القرآن أو الشعر أسعفنا به.

وليس معنى ذلك أنه وقف في فلسفته عند اليونان وفي أدبه عند العرب، وإنما كان يساير الفلسفة في كل مذهب، ويتابع المعرفة في كل وجه.

ولطفي السيد بعد أولئك كله كان حليما رحيما يرتاح للخير ويدل عليه، ويفتح للسلام ويداعر إليه. وكان نشأته البرية وبيئته القروية يسمت سمت الارستقراطيين في الهندام والمظهر، ويقصد قصد الديمقراطيين في المعاملة والسلوك. وهو الوحيد في علماء العصر الذي طال أجله وحسن عمله، وجمع بين ثقافة النصف الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين

رحمه الله رحمة واسعة وعوضنا من علمه وفضله خير العوض.

أحمد حسن الزيات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الضرائب لا تجزئ عن الزكاة

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

حرك القرآن الكريم عواطف الأغنياء بكل الطرق ، وأرهف وجدانهم ، واستدر عطفهم على الفقراء والمساكين إصلاحا لهم وللمجموعة ... تارة بالترغيب وأخرى بالترهيب ، وبعد أن استتب الأمر للجماعة المسلمين ، وتهيأت النفوس للقوانين والنظم ، وضع للفقراء حقوقا كمورد دائم ... وضعه في الكفارات والأجزية على الأخطاء التي يرتكبها الإنسان في حياته الشخصية وعباداته. وضعه في الزكاة فرضا من الفروض الدينية ينفذه بالقوة ، ويقاتل من امتنع عن أدائه ، وضعه في الذهب والفضة وفي البضائع التجارية وفي الماشية وفي الزرع بنسب لا ترهق الغني وتسعف المسكين والفقير ، وتصلح شأنه بنسب يفوق مجموعها مجموع ما يصرفه بعض الأغنياء في ترفهم وبذخهم ... من غير فائدة تعود عليهم وعلى أمتهم .

وقد كان للزكاة في صدر الإسلام نظام خاص ، وكان للحكام بها عناية خاصة في جمعها وصرفها ، كانوا بها يجهزون الجيوش ، ويدعمون المغارم ويؤلفون قلوب الضعفاء ، ويعينون المحتاجين ويقيمون المصالح .

الفروق بين الضرائب والزكاة

ولمعرفة حكم الشرع في هذه المسألة يجب أن نعرف (أولا) الأساس الذي بنيت عليه فرضية الزكاة في الإسلام ، والإسلام الذي أبيح به للحاكم المسلم أن يضع (ضرائب) على المالكين ، فالزكاة أحد الفروض الدينية والأركان الخمسة التي بنى عليها الإسلام فهي في وضع الصلاة والصوم وشهادة التوحيد ، مدد يغذي الإيمان ويطهر النفوس ، ويؤديه المسلم بمقتضى إيمانه وتدينه .

أما الضرائب ، فوضعها وضع آخر غير هذا الوضع ، وهو أن الأمة ممثلة في الحاكم أو الحاكم ممثل للأمة إذا لم يجد ما لا يحقق به المصالح العامة للجماعة كإنشاء دور العلم ، والاستشفاء وتعبيد الطرق وحفر الترع ، والمصانع ، وإعداد العدة للدفاع عن البلاد ، ورأى مع هذا أن أغنياء الأمة القادرين على المساعدة في إقامة هذه المصانع قد قبضوا أيديهم ولم يمدوها بالبذل والمعونة جاز له - وقد يجب - أن يضع عليهم من الضرائب ما يحقق به تلك المصالح ، دون إرهاق أو إعنات .

وهذا فرق آخر بين الضرائب والزكاة وهو أن مقادير الزكاة محددة معينة بنص الشارع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لا تزيد ولا تنقص عما حدده الشرع (٥ر٢ فى المائة) بالنسبة للنقد (والعشر أو نصفه) بالنسبة للزروع والثمار، أما الضرائب فقد ترتفع وقد تنخفض بل قد تلغى أصلا.

الضرائب لا تحسب من الزكاة

وإذا كانت الزكاة من وضع الله وكانت فرضاً إيمانياً يجب إخراجها وجدت حاجة إليها أم لم توجد، وتكون فى تلك الحالة بمثابة مورد دائم للفقراء والمساكين الذين لا تخلو منهم أمة أو شعب، وكانت الضرائب من وضع الحاكم عند الحاجة - كان من البين أن إحداهما لا تغنى عن الأخرى، فهما حقان مختلفان فى مصدر التشريع وفى الغاية، وفى المقدار وفى الاستقرار والدوام.

وعليه فيجب إخراج الضرائب وتكون بمثابة دين شغل به المال، فإن بلغ الباقى نصاب الزكاة وتحقق فيه شرطها وهو الفراغ من الحاجات الأصلية ومر عليه الحول وجب دينيا إخراج زكاته.

أما الخراج الذى تأخذه الحكومة على الأراضى الزراعية، فيرى جمهور أئمة المسلمين أنه حق مغاير لحق الزكاة فى دليله، وسببه، ومصرفه، وحكمته، فلا يمنع أحدهما الآخر وبالمقارنة بين أدلة هؤلاء، وأدلة مخالفيهم يتبين جليا رجحان مذهب الجمهور، مع ملاحظة أن مخالفيهم لا يرون تأثير الخراج على كل أنواع الزكاة، وإنما يرون تأثيره خاصا بزكاة الزروع.

وإذا كان الاتجاه فى الضرائب والخراج هو ما ذكرنا، من أنهما ليسا مبذولين بحكم الدين، وقضاء واجب النفس فى التطهير من خلق الشح، ولا بقضاء واجب الأخوة الدينية التى أراد الله أن يستكمل بها إنسانية المؤمن، فلا ينبغى التفكير فى محاولة اعتبارهما قائمين مقام الزكاة، فالزكاة فرض دينى كالصلاة والصوم يجب على الإنسان محاسبة نفسه عليه متى ملك النصاب فارغا - كما يقول الفقهاء - عن حاجته الأصلية.

نداء إلى الأغنياء:

فهل لأغنيائنا أن يخرجوا هذه الزكاة الواجبة عليهم وأن يضعوا أيديهم فى أيدى العاملين ويتضامنوا معهم على إخراج نظام خاص للزكاة والصدقات، به ينتشلون البلاد من خطر الفقير والعاطل، فتطمئن الجماعة على حياتها وتنتفع بأموالها وبنيها.

هذه هى مكانة الزكاة والصدقات من الشئون الاجتماعية، وهى مكانة القطب من الرحى، وهذا هو موقف الإسلام من الزكاة والصدقات وهو موقف يخفف من وطأة الأغنياء على الفقراء، ويبعث فى الفقراء روحا طيبة للأغنياء ويهيئ للجماعة بأن تنتفع بهؤلاء وهؤلاء، وهو طريق الخير والإصلاح.

وإن المال الذى يخرجه الأغنياء إلى الفقراء هو فى واقعه من الأغنياء إلى الأغنياء باعتبار فائدته، وما يعود به من خير وصلاح وأمن واطمئنان؟

محمود شلتوت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المصدر في اللغات

للأستاذ عباس محمود العقاد

من أشهر العلامات التي يستدل بها على ارتقاء اللغة أن تكون وافية بوسائل التعبير عن المعاني المجردة ؛ لأن تجريد المعاني من المحسوسات عمل من أعمال التفكير يتقدم إليه الإنسان مع تقدمه في الحضارة ، واستمراره زمنا طويلا على تعود البحث ، واستخلاص الحقائق المعنوية من حقائق الحس والعيان .

ولا يستدل بكثرة المفردات وحدها على وفاء اللغة بوسيلة التجريد ؛ لأن الكثرة على غير قاعدة متأصلة في تكوين اللغة عرض طارئ ، وزيادة في الكم والمقدار ، قد تتوافر لكل قوم يكثر بينهم عدد الكلمات ، ومنها أسماء المجردات كيفما اتفقت بغير تمييز بين لغة ولغة في تكوينها الأصيل .

وإنما تعرف قدرة اللغة على أداء المعنى المجرد ، بدليل واحد لا مراء فيه ، وهو أصالة هذه الوسيلة في قواعدها التي تجري مجرى القياس والسماع المطرد في كل مادة من موادها وكل فعل من أفعالها ... ومن هنا كانت صيغة المصدر موضع المقارنة الصحيحة بين اللغات في هذا الباب ، وكان من الحق أن نعتبر للغة العربية في طليعة اللغات التي ثبت لها الارتقاء بهذه الخاصة النادرة التي لا نظير لها فيما نعلم من لغات الحضارة .

ولنقارن بينها وبين اللغة الانجليزية وهي أشهر اللغات وأشيعها في العصر الحاضر ، وحصولها من الكتابات العلمية والفنية لا يزيد عليه محصول لغة أخرى تعاصرها وتضارعها في ارتقاء أبنائها .

فالصيغة المصدرية التي توجد في تكوين اللغة لا وجود لها في اللغة الانجليزية ، وإنما توجد في بعض كلماتها صيغ مشتركة بين الصفة والاسم ، ولا تطرد فيها الدلالة على المعنى المجرد سماعا أو قياسا للتعبير عن المعاني المصدرية باختلافها واختلاف درجاتها من التجريد .

وفي هذه اللغة صيغة تقابل صيغة اسم الفاعل تؤخذ من الفعل المضارع ، وصيغة أخرى تقابل اسم المفعول تؤخذ من الفعل الماضي ، وصيغة تأتي بإلحاق مقطع صغير بآخر الكلمة يفيد معنى المصدرية حينا ومعنى الوصفية حينا آخر ، كقولهم Greatness بمعنى العظمة من Great بمعنى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عظيم ، أو قولهم Wisdon بمعنى العقل من Wise بمعنى عاقل ، أو قولهم Justice بمعنى العدل من Just بمعنى عادل . وقد يتخذون للدلالة على المعنى المصدرى كلمة ليس لها فعل أصيل وإنما يأتى الفعل من تصريفها الصناعى كقولهم Beuty بمعنى الجمال أو معنى الجميل وأخذهم الفعل منه بإضافة بعض الحروف إلى آخره ، فيقولون Beutify بمعنى جمال و Beutifing بمعنى التجميل .

وإذا عبروا عن المعانى المجردة كان هذا التعبير معنى عارضا غير مطرد فى جميع الكلمات ، كأنه إضافة طارئة على اللغة لم يكن لها أساس فى تركيب كل مادة من موادها ولا فى اشتقاق كل فعل من أفعالها ، وربما غلبت دلالة الوصفية الحسية على دلالة المصدرية المجردة فى معظم هذه الكلمات .

فمعنى الخلق عندهم موجود Creation ولكنه يدل كذلك على جملة الكائنات المخلوقة .

ومعنى الحياة عندهم موجود كذلك Life ولكنه قد يكون أقرب إلى معنى المفعول المطلق عندنا من معنى المصدر ، فلا فرق بينه وبين قولنا عاش عيشا أو حى حياة ، وليست المصدرية فيه تجريدا خالصا محسوبا له حسابه إلى جانب حساب الفعل المحسوس.

وعلى أحسن ما يكون هذا المصدر عندهم من حيث الدلالة المجردة فهو كالمصدر الذى نتخذه فى اللغة العربية وصفا وننقله من التجريد إلى العيان. فإذا قلنا : « الشاهد العدل » أو « الكلام الحق » أو « الرجل الضرب » فقد جعلنا للمصدر كل ما يجمعونه لمصادرهم التى لم توجد لها صيغة خاصة بالتجريد ، ولكننا حين ننقل الكلمة من المصدرية إلى الوصفية نكسبها شروط الوصف من قبول الجمع والتثنية أو قبول التذكير والتأنيث ، فنقول الشاهد العدل ، والشاهدان العدلان ، والشهود العدول . أو نقول الكلام الحق ، والكلمة الحقة ، والحقوق الإنسانية . وليس فى لغتهم وسيلة للتفرقة بين المصدرية والوصفية فى مثل هذا التعبير .

* * *

وجملة القول فى هذا الباب أن أدوات المصدرية عندهم هى بعينها أدوات الاسمية ، أى أدوات استخراج الاسم من الفعل والصفة ، إما بتقديم حرف الجر « إلى » To على الفعل وتضمينه معنى « أن » المصدرية عندنا ، وإما بتذييل الفعل والصفة بمقطع صغير كمقطع « شن » Tion أو مقطع « نيس » neess وقد تقدمت الإشارة إليه ، وهو خاص بالصفات .

* * *

أما فى اللغة العربية فالمعنى المصدرى المجرد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مفروض فى كل فعل من أفعالها إلى جانب المعنى المحسوس ، واستقلاله بالتجريد ملحوظ عند المقابلة بينه وبين صيغ المصادر الكثيرة كلما طرأت لهذه الصيغ حالة الوصفية أو العدد أو الكيفية أو الحرفة العامة التى هى حدث ولكنها فى حالة التكرار معنى خارجى لا يقترن بالحدث فى وقت محدود .

فالعربى يقول زرع زرعا وزرع زراعة وزرع زرعة بفتح الزاى ، أو بكسرها ، على حسب المعنى المقصود .

وكلها مصادر مجردة على اختلاف فى درجات التجريد حسب الملابسة العارضة بينها وبين المحسوسات .

فالزرع عمل لا يقبل الجمع والتثنية فى معناه الخالص للمصدرية ، ولكنه يطلق على النبت المزروع فيجرى عليه فى هذا المعنى حكم المحسوسات ، فيقال الزرعان والزروع .

والزراعة صناعة مجردة أو معنى من المعانى الذهنية لا يرى بالعين ، خلافا لمعناه إذا أطلق على كيفية العمل التى تختلف باختلاف الزارعين والمزروعات .

والزرعة بالفتح مصدر للمرة ، والزرعة بالكسر مصدر للهيئة ، وكلتاهما تفيدان فى التجريد معنى غير معنى هما فى الوصفية أو الاسمية على الإطلاق .

وكل فعل على الإطلاق يأتى منه المصدر القياسى أو المصدر المتواتر على السماع ، ولهذا حسب بعض النحاة أن المصدر هو الأصل فى تركيب الكلمات ، وهو قول مختلف فيه ولكن لا خلاف فى أصالة المصادر مع الأفعال وسائر المشتقات .

ثم يأتى المصدر الميمى مطرداً من الأفعال الثلاثية وما فوقها بأوزانه المعروفة ، وتأتى المصادر الصناعية من كل اسم على وجه التقريب ، كالإنسانية والحيوانية والنباتية والسبعية والعلية والحجية والواقعية ، وكل ما يراد به معنى الحالة التى تجردت من الحس ودخلت فى عداد المفهومات الذهنية .

وهذه المصادر الصناعية هى غاية ما بلغته اللغات الأجنبية من تحقيق معنى المصدر المجرد فى بعض الكلمات ، ولكنها لا تطرد فى جميع الكلمات ولا تزال ملتبسة بالوصفية أو بالدلالة التى يشترك فيها الإدراك العقلى وإدراك العيان .

وليس أدل على دقة اللغة من تعديد صيغ المصادر فيها للتمييز بين المعانى الخفية التى تتفق فى التجريد ولكنها تختلف فى حالاته أو موضوعاته اختلافا لا تؤديه صيغة واحدة ، ولا بد فيه من التنويع على نسق معلوم .

فالنظر معنى مجرد .

والمنظر معنى آخر مجرد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والنظارة معنى غيرهما مجرد كذلك .

والنظرية ومثلها التطبيقيـــة معنيان مجردان ، وإن لاح أن التطبيقية عمل يدوى محسوس ، ولكن « العمل » شيء لا يحس بالعيان ، وإنما يحس العامل والمعمول .

وموضع الدقة بين هذه المصادر أن النظر عم من المنظر ؛ لأن المنظر محدود بكيفية الناظر فى نظره وكيفية المنظور كما يكون عند النظر إليه .

وإن النظارة حالة تحيط بعدة منظورات وتوحى معنى التكرار كما يوحيه معنى كل صناعة يباشرها من يكثر العمل فيها .

وإن النظرية ناحية من نواحى التفكير تقابل الناحية العملية فيه ولا يلزم من كل نظر أن يكون نظرية متبعة فى عدة أحوال .

ولم ترد هذه الفروق فرضا معتسفا من فروض النحاة للتعليل والتأليف بعد جمع اللغة والموازنة بين رواياتها وأسانيدها ، ولكنها تأصلت فى العقول كما تأصلت على الألسنة بالأوزان القياسية أو الأوزان السماعية التى تكررت وتشابهت وتقابلت فيها الدلالات على النحو الذى يفسره النحاة ولا يقبل تفسيراً سواه .

ومن الدلائل على أصالة المعانى العقلية فى وضع المصادر أنها تعمل عملها فى الإعراب ما دامت على احتفاظها بالصورة الذهنية المجردة التى لم ترتبط بهيئة مشهودة أو بعدد معدود ، فإذا جاوزت هذا المعنى بطل عملها فى الإعراب وأصبحت فى حكم الاسم الذى يدل على ذات أو على شيء محسوس .

فالمصدر يعمل فى الإعراب عمل فعله المتعدى أو اللازم ، فإذا صغر لم يعمل لأن التصغير ينقله من التجريد إلى صورة خاصة مشهودة أو موصوفة بوصف مقصور عليها .

فيقال مثلا « قولك الحق واجب » ولكن لا يقال هذا فى « قويل » لأن تصغيره قيده بقولة معهودة ولم يعممه لمطلق القول .

ويقال إن إتقان المرء عمله واجب ولا يقال إن إتقانه عمله واجبة للمرة الواحدة ؛ لأنها خرجت من الإطلاق المجرد إلى التقييد المحدود ولا يكون له معنى المصدر إلا إذا أمكن أن ينوب عنه الفعل مسبوقا بأن المصدرية ، ولا فرق بين قول القائل « أن يتقن وبين قوله « الإتقان » لأنهما حالتان مطلقتان على السواء .

ويجب على الباحث فى المقارنة بين اللغات أن يلتفت إلى الفارق بين وجود المصدرية بهذا التفصيل فى أساس تكوين اللغة وبين وجود عدد من المفردات المتفرقة اعتباطا فى لغة من اللغات بغير وحدة بينها فى الصيغة وبغير تفرقه بينها فى العمل ولا فى الدلالة ، فإن الفارق ظاهر بين ورود المعانى المصدرية فى عدد من الكلمات المتفرقة وبين ورودها

(البقية على صفحة ١٠٣١)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مناهج الإسلام

لتقوية روابط الأسرة

للأستاذ محمد محمد المدني

— ٣ —

رؤية المخطوبة وعدم جواز الخلوة بها :

٣ — ثم نراه يرشد إلى رؤية المخطوبة . فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا خطب أحدكم المرأة فقدر أن يرى منها بعض ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل » .

« إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة وإن كانت لا تعلم » .

(بقية المنشور على صفحة ١٠٣٠)

فى كل مادة من مواد الكلام على ارتباط بأوزانها وارتباط بين تلك الأوزان ومعانيها المقصودة ، وارتباط بعد ذلك بين الصيغ ودرجات التجريد .

وهذا الفارق الواضح هو الفارق بين استعداد اللغة العربية لغرض المعانى المجردة فى كل حالة من حالاتها واستعداد غيرها من اللغات لتنفيق هذه المعانى حيثما اتفق على حسب الظروف .

ومما يجب كذلك على المقارنين بين اللغات أن يحسنوا فهم العلاقة بين مزاج الأمة ومزاج اللغة التى تنشأ فيها .

فقد أجمع الباحثون فى طبائع الشعوب على وصف العرب بالمزاج الحسى تمييزا له من المزاج النظرى أو الخيالى أو الباطنى ، أو مزاج العمل والواقع ، وقد يكون المزاج الحسى فى أمة العرب ملحوظا غالبا على غيره من الأمزجة إذا كان الغرض منه أن معيشة العربى فى الصحراء تشحذ فيه حس البصر والسمع والشم على الخصوص لاتقاء الخطر وصدق التفرس فى السعى إلى معاشه والرحلة بين حواضره وبواديه ، ولكن هذه « القدرة الحسية » قد تزيد من قدرته على التجريد ، ولا تنقص منها ، لأنها تذهب به إلى تمييز أقصى الحس وغاية الشهادة والعيان ، وليس أقدر على تمييز الأضداد ممن يبلغ بالخصلة من الخصال غاية مداها ، فإنما تتميز الأشياء بضدها كما قيل ؟

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مناهج الإسلام

لتقوية روابط الأسرة

للأستاذ محمد محمد المدني

— ٣ —

رؤية المخطوبة وعدم جواز الخلوة بها :

٣ — ثم نراه يرشد إلى رؤية المخطوبة . فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا خطب أحدكم المرأة فقدر أن يرى منها بعض ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل » .

« إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة وإن كانت لا تعلم » .

(بقية المنشور على صفحة ١٠٣٠)

فى كل مادة من مواد الكلام على ارتباط بأوزانها وارتباط بين تلك الأوزان ومعانيها المقصودة ، وارتباط بعد ذلك بين الصيغ ودرجات التجريد .

وهذا الفارق الواضح هو الفارق بين استعداد اللغة العربية لغرض المعانى المجردة فى كل حالة من حالاتها واستعداد غيرها من اللغات لتنفيق هذه المعانى حيثما اتفق على حسب الظروف .

ومما يجب كذلك على المقارنين بين اللغات أن يحسنوا فهم العلاقة بين مزاج الأمة ومزاج اللغة التى تنشأ فيها .

فقد أجمع الباحثون فى طبائع الشعوب على وصف العرب بالمزاج الحسى تمييزا له من المزاج النظرى أو الخيالى أو الباطنى ، أو مزاج العمل والواقع ، وقد يكون المزاج الحسى فى أمة العرب ملحوظا غالبا على غيره من الأمزجة إذا كان الغرض منه أن معيشة العربى فى الصحراء تشحذ فيه حس البصر والسمع والشم على الخصوص لاتقاء الخطر وصدق التفرس فى السعى إلى معاشه والرحلة بين حواضره وبواديه ، ولكن هذه « القدرة الحسية » قد تزيد من قدرته على التجريد ، ولا تنقص منها ، لأنها تذهب به إلى تمييز أقصى الحس وغاية الشهادة والعيان ، وليس أقدر على تمييز الأضداد ممن يبلغ بالخصلة من الخصال غاية مداها ، فإنما تتميز الأشياء بضدها كما قيل ؟

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وعن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » .

وخطب رجل امرأة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئا » .

والحكمة في إباحة النظر إلى المخطوبة ظاهرة ؛ لأن المرء يتقي شريكة حياته فمن حقه أن يراها ليعرف أتوافقه أم لا . وقوله صلى الله عليه وسلم « ذلك أحرى أن يؤدم بينكما » معناه : أن تحصل الموافقة والملاءمة.

هذا وأكثر العلماء على أن الذي يجوز للخاطب رؤيته من المخطوبة هو لوجه والكفان فقط .

واتفقوا على أنه لا تجوز الخلوة بها دون محرم .

ومن ثم لا يجوز أن يخرج معها منفردين للتنزه أو نحوه كما جرت عادة بعض الناس .

وفي مثل ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها ، فإن ثالثهما الشيطان » .

ولعل المراد من الشيطان في هذا الحديث وما يماثله هو تلك الخواطر التي تجري الطبيعة البشرية بأن تخطر للناس في مثل هذه المواقف ، وإني لأعلم أن بعض الناس ربما اشمأزوا من تصوير اجتماع الرجل والمرأة بهذه الصورة زعما منهم أن المجتمعات الراقية أو المهذبة لا تكون كذلك ، فلهؤلاء أقول : إن الطبيعة البشرية هي الطبيعة البشرية ولو لبست قفازا من الحرير ، والرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بالنفوس والأهواء ، وأكثر فهما للدواء الذي يحسم الداء .

وبذلك يتبين أن الإسلام جمع بين إعطاء الفرصة للخطيب لكي يعرف من ستكون شريكة حياته ، واحتاط في الوقت نفسه لمصلحة الفتاة لكيلا تكون متعة سهلة للمرء في فترة معينة قد يتركها بعدها ولا يتم زواجها.

ونحن نشاهد أن كثيرا من المآسي يقع بسبب عدم مراعاة هذا الأدب الإسلامي المحفظ .

وهذا التشريع في الحقيقة تشريع وقائي ، وإن كان هناك فتيات كثيرات واعيات قويات الإرادة ، لا يمكن أن يصيبهن سوء ، كما أن هناك كثيراً من الفتيان فيهم من الشرف والاستقامة ما يحصنهم عن ابتغاء السوء ، ولكن الأمر ليس أمر شك أو ارتياب دائما . وإنما هو قبل كل شيء أمرا احتياط على السمعة ، واجتناب لقالة السوء .

والخطبة التي يتركها خطيبها بعد أن يعلم الناس أنه كان ينفرد بها ، ويخرج معها دون محرم ، لا تكون موضع إقبال غيره من الفتيان ، ولكن إذا علم أنها لم تكن كذلك كان الناس في اطمئنان إليها .

هل المرأة في قبول الزواج أو رفضه :

ثم نراه يجعل للمرأة حقا في الموافقة على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

زواجها أو رفض هذا الزواج ، سواء أكانت بكراً أم ثيبا

وفى ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

« لا تزوج الأيم الثيب حتى تستأمر ، ولا البكر حتى تستأذن » .

وأتت خنساء بنت خدام ـ وكانت ثيبا ـ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت له أن أباها زوجها من رجل تكرهه ولا تميل إليه ، فرد الرسول زواجها .

وجاءت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أبى زوجنى من ابن أخيه ليرفع بى خسيسته ، فخيرها الرسول بين أن تجيز هذا الزواج أو تبطله . فقالت : قد أجزت ما صنع أبى وإنما أردت أن يعلم النساء أن ليس للآباء من أمرهن شيء ـ أى إذا أبين .

وجوب البحث عن صفات الخاطب :

ثم نراه يرشد الآباء إلى البحث عن خلق الخاطب قبل إجابته ، لينظروا هل يصلح لها ، وما غايته من هذه الخطبة .

وفى ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

« النكاح رق ، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته » .

ويقول الإمام الثورى :

« إذا أراد الرجل الزواج وقال : أى شيء للمرأة ، فاعلموا أنه لص » .

وجوب قبول الخاطب الكفء :

كما نراه يرشد إلى وجوب تلبية الخاطب وقبوله إذا كان كفئا صالحا .

وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم :

« إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته ـ وفى رواية : من ترضون خلقه ـ فزوجوه . إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

أعظم النكاح بركة أيسره مئونة :

ثم نراه يرشد إلى تيسير المهر ، حتى يسهل الزواج ، ولا يحمل الزوج بسببه ما لا يطيق فيبدأ حياته الزوجية على وجه من أوجه الارتباك الاقتصادى

ومن هدى النبوة فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

١ ـ أعظم النكاح بركة أيسره مئونة

٢ ـ أخف النساء صداقا أعظمهن بركة .

٣ ـ خير الصداق أيسره .

٤ ـ وعن أبى سلمة قال « سألت عائشة كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت كان صداقه لأزواجه اثنتى عشرة أوقية ونشا ـ قالت : أتدرى ما النش؟ قلت : لا ، قالت نصف أوقية ، فتلك خمسمائة درهم »

(وذلك ما يساوى بالعملة المصرية نحو ثلاثة عشر جنيها وربع الجنيه) ١٣٢٥ قرشا .

٥ ـ وقال عمر بن الخطاب : لا تغلوا صدق النساء ، فإنها لو كانت مكرمة فى الدنيا ، أو تقوى فى الآخرة ، كان أولاكم بها النبي صلى الله عليه وسلم . ما أصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من نسائه ، ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من ثنتى عشرة أوقية » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على رغبة الشرع فى تيسير المهر حرصا على تشجيع الزواج، وعدم ارتطام الزوجين فى ديون أو التزامات نتيجة للغالاة فى المهر والمطالب .

والزوج الذى يبدأ حياته مع زوجته مدينا بسبب المغالاة فى مهرها ومطالب زواجها ، يظل ينظر إلى زوجته كمصدر من مصادر ضيقه وعسره ، وخير لها وله أن يستقبلا الحياة الزوجية بدون ضيق وعسر

وإذن فمن العوامل التى توبخ الزوج والزوجة وتسعدهما فى حياتهما يسر المهر ، وتكاليف العرس .

ولو أن ذلك فشا فى المجتمع ، لحلت أزمة الزواج إلى حد كبير ، فإن كثيراً من الشبان يبدءون حياتهم الوظيفية أو نحوها بدخل محدود لا يسمح لهم بادخار مبلغ كبير منه يقدمونه مهرا ، وشبكة ، ونفقات خطبة ، فيحجمون عن الزواج وقد يستمر ذلك بهم سنوات حتى تضيع زهرة شبابهم ، وربما انزلقوا إلى مسالك سيئة النتائج ، ولا تفضى بهم ومجتمعهم إلا إلى أشد الضرر الصحى والأخلاقى ، ويقابل ذلك فى جانب الفتاة تعطل عن الزواج ، فإنه بمقدار ما يحجم الفتيان عن الزواج ، يكثر بوار الفتيات ، وفى ذلك أكبر الخطر على المجتمعات ، حيث يكثر الانحراف والانحلال .

(ب) وفى أثناء الزوجية :

نرى الإسلام يسن تشريعات وآدابا من شأنها أن تكفل الاستقرار الزوجى ، وأن تدرأ عن البيت أهم البغتات والمفاجآت السيئة والمفسفة .

قوامة الرجل على المرأة :

فالرجل هو القوام على المرأة .

وفى ذلك يقول الله عز وجل : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » .

وهذا توجيه إلهى يجب على الرجال والنساء جميعاً أن يدركوا سره ، ليؤمنوا به على بصيرة .

إن الأسرة مجتمع صغير يتألف منه ومن أمثاله المجتمع الكبير ، ولا بد لكل مجتمع من رياسة وسلطة يرجع إليها ، ويحسم بها ، وإلا تعرض المجتمع للفوضى وتصادم الآراء والرغبات ، فالأسرة بحاجة إلى أن تسند هذه السلطة إلى أحد أعضائها ، والرجل أولى الزوجين بأن يعهد إليه بذلك .

أولا : لأن هذا هو حكم الطبيعة ، إذ هو الأقوى على تحمل الأعباء ، وتقبل التبعات ، والأقوى على شىء هو الأجدر بالتقديم له .

ثانيا : لأنه هو المكلف بالإنفاق ، وباذل المال من حقه أن يكون صاحب القول الفصل فيه ، وفى كل ما يستند إليه .

وهذه الآية الكريمة تعبر بقوله : « بما فضل الله بعضهم على بعض » ، وهناك آية أخرى تقول : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويفهم من هاتين الآيتين :

١ ـ أن الله تعالى يريد لفت أنظار الرجال والنساء إلى طبيعة كل منهما وما فضل به بعضهم على بعض : فالرجال مخلوقون لغرض، ولهم وظيفتهم الطبيعية فى الحياة ، وقد هيئوا على وضع جسمى ونفسى يلائمهما ويساعد على أدائها ، والنساء كذلك : خلقن على وضع جسمى ونفسى يلائم ما قصد منهن وكل فى ناحيته مفضل بمزايا اكتسبها بحكم الطبيعة ، أى بحكم السنن الإلهية العادلة الحكيمة ، فلا ينبغى أن يتطلب الرجال ما هو من خصائص النساء ومما فضلن به وميزن ، ولا ينبغى أن يتطلب النساء ما هو من خصائص الرجال ومما فضلوا به وميزوا فان ذلك تمن ، والتمنى هو طلب مالا يكون وهو خروج على الطبيعة ، ومحاولة للخلط فى نتائج لا تبررها المقدمات الواقعية .

فاذا ساد هذا الوعى فى المجتمع ، كان له إيحاء فى كثير من جوانبه وكان جديراً بأن يحل كثيراً من المشكلات المعقدة ، وأن يصلح كثيراً من الأوضاع الفاسدة ، وأن يحفظ على المجتمع طبيعيته وفطريته .

٢ ـ أن الزوج والزوجة يكونان شيئا واحداً هو كل : الزوج بعضه ، والزوجة بعضه وتفضيل بعض أجزاء الجسم الواحد على بعض ليس معناه الأفضلية بمعنى أنه أعز وأغلى ، ولكن معناه فضل الاختصاص بشىء ، فجسم الإنسان مثلا كل له أجزاء العين جزء ، واليد جزء ، والأنف جزء ، والأذن جزء . وهكذا ، ولكل جزء مزيته فى وظيفته الخاصة التى لا يغنى عنه فيها جزء آخر ، فالفضل هنا بمعنى المزية فيما له خلق هذا الجزء . والتفضيل بمعنى التمييز والتخصيص فالأنف من حيث وظيفته ومزيته له قيمته وفضله وحاجة الإنسان إليه ، والعين من حيث وظيفتها ومزيتها لهما مثل ذلك ، وفضل هذا لا يعارض فضل ذاك ولكن إذا أراد الإنسان أن ينظر فانه لا يوجه أنفه للنظر ، وإنما يوجه عينه وإذا أراد أن يشم ، فانه لا يوجه إلى الشم أذنه ولكن يوجه أنفه ، وإذا أراد أن يسعى سعى برجليه ، لا بيديه ، وهكذا .

فإذا عرف الرجل والمرأة ذلك استراح الرجال من النساء ، واستراح النساء من الرجال على سنة الإذعان لتوزيع الاختصاص .

وما أحسن ما روى عن المغيرة بن شعبة إذ يقول :

النساء أربع ، والرجال أربعة :

رجل مذكر وامرأة مؤنثة فهو قوام عليها:

ورجل مؤنث وامرأة مذكرة فهى قوامة عليه .

ورجل مذكر وامرأة مذكرة فهما كالوعلين يتنطحان .

ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة فهما لا يأتيان بخير ولا يفلحان .

(البحث موصول إن شاء الله)

محمد محمد المدنى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

التاريخ الصحيح من مقومات الحياة

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض : منها أربعة حرم » .

من هذه الآية ندرك فى سهولة ـ أولا ـ أن الله ـ تعالى ـ تعلقت حكمته أن يجعل للناس توقيتا زمنيا ، قدره سبحانه ـ باثنى عشر شهرا ، أثبتها فى كتابه المكنون الذى اعتبره سجلا أزليا لما يجرى فى ملكوته ـ وهو اللوح المحفوظ .

وندرك ـ ثانيا ـ وفى وضوح : أن الله جعل من تلك الشهور أربعة حرما ، ذات اختصاص فى جانب التشريع .

والمقام بحاجة إلى تعرف ما هنا فى غير إطالة :

١ ـ لا شك أن تحديد الشهور باثنى عشر يعتبر تنظيما للزمن ، يضبطه فى حدود معينة ، ليسهل علينا التوقيت به ، ولنعرف لأمورنا مبدأ ، ونهاية ، ونقيس أعمالنا بأزمانها : طولا ، وقصرا ، فيكون اتجاهنا فى شئون الحياة على بصيرة ولا نخط فيها خبط عشواء .

ومن هذا التوقيت للأحداث ، واحتساب الزمن فى مجرى الأمور ينعقد التاريخ ، ويكون مرآة لكل جماعة ، ترى فى صفائها ما قدمت من إنتاج ، وتعتز بما لها من إيجابية فى الحياة أو تبصر من خلالها ما تركت من فجوات خالية من آثار حيوية ، وتحس بما فاتها من نشاط ، وبما بخلت به من جهود فى التعمير .

ولعلها حينئذ تنهض إلى تدارك رسالتها فى جوانب دنيانا التى استخلفنا الله فيها لنعمل ونجدد ، ونسير إلى الأمام .

ومن ذلك يقال : إن التاريخ معلم أمين .

وإن يكن التاريخ مرآة يتمثل فيه ماضينا ، ويشع نور هديه فى مستقبلنا ، فهو تقويم أدبى لشخصية الجماعة ، نتمدح به ، وتستأنس بذكرياته فى مساجلة الأمجاد من الشعوب ، وتفاخر به المتخلفين عن ركب الحياة ، وتتزود من توجيهاته ، وإيمائه ما يجدد فتوتها ، ويثير عزمانها ، فتظل وثابة وفى صعود .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإن شعبا لا يعنى بتاريخه ، لأشبه بإنسان ضال عن نفسه ، ومجهول النسب فى بيئته ، فلا حظ له من كرامة النسب ، ولا وزن له بين الأماجد ، وحياته خلو من بهجة الحياة .

وإنا لندرك بفطرتنا ما للتاريخ من وحى شخصى ، نتأثر به فى المحيط العائلى .

فللأصول الكريمة ، وللوراثة العريقة البريئة من الشوائب سلطان قوى فى توجيه الأفراد ، ولها بهاء يزدان به ذراه فى قومه ، ويجمع حوله القلوب ، ويكسبه التجلة ، والثناء : مادام يعيش فى إطار النسب المجيد ، بعيدا عما يجرفه فى مساقط الدهماء من الناس .

هذه مرامى التاريخ التى من أجلها بين الله عدة الأشهر واعتبارها مواقيت للناس وما نحن بحاجة إلى التوسع فى الاستنتاج ، وقد أغنانا القرآن عن تكلف الاجتهاد فى هذا بقوله تعالى : « ويسألونك عن الأهلة ـ عن الأشهر وتعددها ـ قل هى مواقيت للناس ، والحج » . فالتوقيت أمر هام ، وهو تشريع من جانب الله ، وضرورة حيوية للناس تقتضيها الفطرة فى نظام الدنيا .

ويزيدنا بيانا لهذا أن الله سبحانه ذكر صراحة أن الأشهر ميقات لعبادة الحج .

والحج ركن فى الإسلام ، فسنة الله جارية على ربط هذه العبادة بزمنها المعين .

وأى بيان أقوى من ذلك فى اعتبار التقويم الزمنى مناط العبادة ، وتخصيص الحج بأشهر معلومات؟؟ .

وانظر : تجد رعاية التقويم أبلغ ما يكون فى اعتبار الحج ذا ميقات مكان بجانب الميقات الزمنى ، وفى اعتبار مناسك الحج مقيدة كلها بالمواقيت .

حتى يصل الأمر إلى اعتبار عرفة ميقاتا مكانيا محدودا لسائر الحجيج فى يوم معين من الزمن كل عام .

ثم انظر : تجد التوقيت الزمنى شرطا مأخوذا به فى فروض أخرى .

فالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، مقيدة كلها بموعدها الزمنى .

وتكليف الصبى بأحكام الدين .

وعدة النساء بعد خلوهن من الزوجية ، والوصاية على اليتامى ، وتوثيق الديون بين الناس ، والمعاهدات فى الحروب : كل هذا منوط بزمنه المقدر له فى تشريع الله ـ سبحانه ـ أوحسبما يتفق الناس فى توثيقاتهم المتعارفة بينهم ...

وهذه التقديرات الزمنية تعتبر تواريخ جزئية فى تقويم الشئون الفردية ، كما يعتبر التاريخ العام وشيجة اجتماعية فى تقويم الحياة الشعوبية .

وحيث تبين لنا من هذا أن شرعة التاريخ من جانب الله منذ خلق السموات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والأرض ، فإهمالها ، أو العبث بها يكون إخلالا بمنهج الحياة المنشودة ، وإفسادا فى النظام العام .

والله تعالى لا يحب الفساد ، ولا يأذن به فى قليل ، ولا كثير ؛ لأنه يكون جرأة على الله ، وشذوذا عن رسالة الإنسان - فيما عهد الله إليه من إصلاح ، وتعمير فى دنياه - إلى متابعة الشيطان فى جانب الإفساد .

٢ — كانت قريش فى حياة جهلاء ، ومع هذا كانوا يأخذون ببعض التقاليد الدينية ، التى تواترت إليهم من شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام - فاحترامهم للكعبة ، ومثابرتهم على الحج ، وتعظيمهم لشهر رمضان أمور يعتقدون بها ، تقيدا سائرا فى عقول أزمانهم الأول .

وإن من تشريع الله أن جعل فى العام أربعة أشهر ذات اختصاص : رجب ... ذا القعدة ... ذا الحجة ... المحرم .

فهذه أشهر حرم ، لا يرفع فيها سلاح ، ولا يثار فيها حرب ، وهى للعمرة فى رجب كما تعودوها . وللحج فى الثلاثة الباقية .

وتعطيل الحرب يأمن الناس على أنفسهم ، فيتفرغون للنشاط فى اطمئنان .

ولكن طغيان قريش كان يدفعهم إلى إثارة الحرب ولو فى الأشهر الحرم .

وجبا تهم زينت لهم أن يغيروا اسم الشهر باسم غيره .

فإذا حاربوا - مثلا - فى رجب سموه شعبان ، ونقلوا إلى شعبان اسم رجب .

فكأنهم بهذا لم يحاربوا فى الشهر الحرام ، بل فى حلال ، وكأنهم بهذا على تقليدهم لشريعة إبراهيم .

وهذا التأجيل ، أو النسىء تلاعب فى أمور مقدسة ، فيكون كفرا صراحا فوق كفرهم الأصيل .

وخطر هذا ليس قاصرا على مجرد التغيير فى أسماء الأشهر ... بل لأنهم نقلوا حكما شرعيا من موعده وتاريخه المخصص له إلى زمن آخر ... وهو وقف الحرب ، وعدم وقفها .

ومن وراء ذلك أيضا ما يطرأ على مناسك الحج ، إذا غيروا فى شهر من أشهره ، وأخروا أعمالها إلى أشهر غيرها .

وربما شاع ذلك التغيير للأشهر فيحسبه أناس آخرون أنه هو التاريخ الموروث الصحيح ، ويسيرون عليه ... وهذه فتنة للناس فى دينهم ، والفتنة فى الدين أشد جرما عند الله من القتل ، إذ القتل يكون لنفس واحدة ، أو لأفراد ، وقد يكون له سبب يبرره ، ومع بلوغ الشر مداه فهو محصور نوعا .

ولكن فتنة الدين تعم الكثيرين ، وتدفع بالناس إلى الكفر ، وليس بعد الكفر ذنب .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لذلك أنكر الله على قريش هذا النسيء إنكارا شديدا ، بقوله ـ تعالى :

«إنما النسيء زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ، ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدى القوم الكافرين» .

فانظر إلى جسامة الخطر ، والتصرف الخاطئ فى تشريع الله بالهوى ، والافتراء على الله تهارتا ، أو غرورا بالرأى أو التماسا للشهرة ، وتظاهرا بين الناس بقوة الذهن ، ورجاحة العقل ، أو ما هو مثل هذا ؟ .

إن التهافت على التجديد فى تشريع الله مزلة مردية فى الهلاك .

ومن خصائص أهل العلم الأمناء أن يحتاطوا لأنفسهم ، ويقدروا السلف والأئمة فلا يتكلموا إلا عن بينة ، وإمعان ، واطمئنان .

ولأن يكون المفتى متحرجا ، ومتهما بقلة علمه ، أو ضيق ذهنه ، خير له وأحب إلى الله من أن يكون فرحا بسمعة زائفة على حساب الدين .

ثم نستطرد قليلا فى هذا المقام ، فنقول : إن الله حدد الأشهر باثنى عشر شهرا . وجعل ذلك التحديد منذ خلق السموات والأرض أى منذ صار لهذا الكون وجود شاخص ، أما ما قبل خلق السموات والأرض فمن الغيب ، البعيد عنا ، والذى تفرد سبحانه بعلمه ، ولم يهيئ لنا أن نستخدم العلم فيه .

بل ، ولا وجهة للعلم إلى محاولة الوصول إلى ذلك ـ فيما نعهده ؛ لأن العلم الباحث فى الكونيات إنما يبحث فى عالم الوجود لا فى عالم الغيب .

أعنى يبحث فيما بعد خلق السموات والأرض ، وما بينها .. إن تهيأ له أن يبحث فى الوجودات العلوية كأجرام السموات ، والنجوم ، والبروج ، والكواكب والرياح ، والأمطار .

وكذا فى الوجودات الأرضية : من جبال وزروع ، وبحار ، ومعادن إلخ .

أما ما يكون من قبيل الغيب قبل الخلق لهذا الكون فلا نعلم منه إلا ما يعلمنا الله من طريق الدين .

وكذلك ما يكون ضاربا فى أعماق التاريخ القديم فيعرف منه شىء كثير من القصص الدينى الصحيح الذى لم يداخله عبث عابث .

ويعرف شىء منه من طريق العلم الباحث بالاستقراء . ونظرا لأن القصص الدينى مصدر علمى لنا كانت الكتب السماوية : وبخاصة التوراة ، والقرآن حافلة بالكثير من أنباء الغيب فى الماضى السحيق عن البشرية فى كثير من عصورها ، وتطورها ، وأحداثها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكانت حافلة كذلك بأنباء الغيب فى عالم الآخرة .

وكان القصص عن الغيب فيما مضى ، وفيما يتعلق بالآخرة من قبيل المعجزات للأنبياء - إلا ما بدلته بنو إسرائيل فى التـــوراة من حذف أو زيادة .

« تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا »

« نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك » ، « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب » . وكذلك كان الوحى إلى سابق الأنبياء بكثير من شئون الغيب : دينيا ، ودنيويا ، وأخرويا .

ونظراً - ثانيا - لأن العلم الباحث فى الكونيات ، وفى العقليات سبيل إلى ثقافتنا أو للتخلى عن الجهالة كان موضع اهتمام الدين أو جديراً بامتداحه ، والحث عليه ، والثناء على أهله .

ولاحرج على الدين من إطلاق العلم فى سبيله ما دام لا يتعدى نطاقه الإنسانى ولا يتطاول فى غروره على ما قرره الدين .

وحينما يتعثر العلم ، أو يتعارض مع الدين فسبيل التوفيق بينهما أن يتريث العلم فى تحقيقه حتى يهتدى إلى الحق ، وحينئذ يجد نفسه إلى جانب الدين سواء . فكلاهما - الدين والعلم - فيض من جانب الله ، والله حق ، وما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، ولن يتعارض الحق مع نفسه .

فإذا ما وصل العلم بعد بحوثه الناضجة المعقولة إلى مخالفة الظاهر من نصوص الدين فلا بأس من تأويل النصوص بصرفها عن الظاهر إلى وجهها الحق الملائم لروح التشريع والمتفق مع توجيهات النصوص البينة الأخرى .

والقرآن نفسه يشير إلى التأويل فى المتشابه - مثلا - ويشير إلى دراية الراسخين فى فقه الدين .

فلنترك العلم فى سبيله وراء الحقائق ولنأخذ عنه ما يقرره فى نتائجه ، ولنرى العلم حينما فى خدمة الدين كما سلف .

وهذا هو العلم يقلب نظره فى آفاق الدنيا ويحاول أن يثبت تاريخ الأرض ، وللبشرية منذ سكنتها . ويحاول ، ويحاول ... فلا نضيق به ذرعا ، ولا نسىء به الظن ، ولنا من وراثه خير كثير ، والأمر كله لله من قبل ومن بعد .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلام والمدنية الحديثة

للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

١ — إن الشرق الآن - فى جميع أرجائه - سائر نحو التقدم المادى والتطور الصناعى ، بخطى واسعة .

وهو على وجه العموم ، يتخذ المدينة الغربية مثلا يحتذى ، ويعتبر الحضارة الراهنة فى أوربا وفى أمريكا نتاجا بديعا للعبقرية والنضوج

ومما لا شك فيه : أن كل محب للشرق ومخلص له ، يحبذ هذا الاتجاه فى جانبه المادى - جانب المعامل والمصانع - ويحث عليه ، ويدعو إليه ، ويأمل أن يصبح الشرق - عما قريب - مساهما فى تطور هذا الجانب ، وتقدمه ، فلا يقتصر دوره على مجرد التقليد .

وموقف الدين من هذا التقدم المادى ، حينما يكون وسيلة للانتفاع الإنسانى ، وطريقا لنفع البشرية ، إنما هو موقف المبارك المشجع.

وإن الدين الذى يذكر كتابه المقدس : أن الله سخر للإنسانية ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه . لا يتأتى أن يقف من هذا التسخير الذى يقوم به الإنسان الآن موقف المعارض .

والروح الإسلامية الصحيحة ، تشجع العلم وتجل العلماء ، والآثار فى ذلك - قرآنية كانت أو عن الرسول ، صلوات الله عليه ، أو عن أئمة المسلمين - لا تحصى « يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات » .

« قل هل يستوى الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون » .

وإنه لمن المعروف ، أن أول كلمة نزلت من القرآن ، إنما هى « إقرأ » ويقول صلوات الله عليه « العلماء ورثة الأنبياء » .

ويعقب الإمام الغزالى ، على هذا الحديث الشريف فيقول : (ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة) .

ويقول صلوات الله عليه « العالم أمين الله سبحانه فى الأرض » .

وفضل رسول الإسلام ، العالم على العابد فى أحاديث كثيرة .

٢ — هذه الروح ، أنتجت ثمرتها اللازمة لها : أعنى الحضارة الإسلامية ، وقد كان الإسلام مدنية ، وكانت له حضارة ، أنتجت عباقرة أفذاذا : كجابر بن حيان فى الكيميا ، وابن الهيثم فى الطبيعة ، وأبى بكر الرازى فى الطب ، وغيرهم كثير .

وكانوا يحيون حياة كريمة ، وكانت بيئتهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلامية تحمد لهم جهدهم، وتقدر لهم نبوغهم. وهؤلاء الأئمة الأفذاذ، هم الذين وضعوا أصول العلم التجريبي، وبنوا أبحاثهم على الملاحظة والتجربة وقد كان منهجهم وعلمهم يدرس في أوربا، فأخذت أوربا منهجهم العلمي وعزته لنفسها وأقامت عليه حضارتها الزاهية.

والمنهج العلمي للحضارة الحديثة إذا، إنما هو منهج الحضارة الإسلامية يقول الأستاذ بريفولت: «إن روجر بيكون درس اللغة العربية والعلم العربي، والعلوم العربية في مدرسة أكسفورد على خلفاء معلمه العرب في الأندلس، وليس لروجر بيكون، ولا لسميه الذي جاء بعده الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولا من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوربا المسيحية، وهو لم يأل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه اللغة العربية وعلوم العرب، هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة.

والمناقشات التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي، هي طرف من التحريف الهائل لأصول الحضارة الأوربية، وقد كان منهج العرب التجريبي في عصر بيكون، قد انتشر انتشارا واسعا، وانكب الناس، في لهف، على تحصيله في ربوع أوربا[1].

ولقد بدأ علماء الغرب الآن يميلون نحو الإنصاف، فيتحدثون عن المكتشفات العلمية في الطبيعة، وفي الكيمياء، وفي الطب وفي غير ذلك من العلوم التي كان للعرب فضل السبق في اكتشافها، ويتواضع الغربيون الآن نوعا ما فيما يتعلق بالمنهج التجريبي، فيصرح بعضهم - كما فعل الأستاذ بريفولت - بأن أسسه وأصوله وضعها العرب.

يتحدث بعض علماء الغرب المنصفين عن المكتشفات العلمية في الحضارة العربية وعن اختراع العرب للمنهج التجريبي وعن أثر ذلك كله في الحضارة الغربية الحديثة فيما يتعلق بنشأتها بل وفيما يتعلق بوجودها.

ومن أجمل مظاهر الإنصاف في ذلك عند علماء الغرب الذين تحدثوا عن هذا الموضوع كلمة الأستاذ بريفولت، التي تعبر عن حقيقة هي لا شك واضحة كل الوضوح لمن درسوا تاريخ الحضارة العربية. وتاريخ الحضارة الغربية - يقول الأستاذ بريفولت -: «إن ما يدين به علمنا، لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة، ولنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا، إنه يدين لها بوجوده نفسه، فالعالم القديم كما رأينا، لم يكن للعلم فيه وجود، وعلم النجوم عند اليونان ورياضياتهم كانت علوما أجنبية، استجلبوها من خارج بلادهم، وأخذوها عن سواهم ولم تتأصل في يوم من

(١) من كتاب تجديد التفكير الديني في الإسلام ١٤٩.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأيام فتمتزج امتزاجا كليا بالثقافة اليونانية وقد نظم اليونان المذاهب وعمموا الأحكام ووضعوا النظريات ، ولكن أساليب البحث فى دأب وأناة ، وجمع المعلومات الإيجابية وتركيزها ، والمناهج التفصيلية للعلم ، والملاحظة الدقيقة المستمرة والبحث التجريبى ، كل ذلك كان غريبا تماما عن المزاج اليونانى ، ولم يقارب البحث العلمى نشأته فى العالم القديم إلا فى الإسكندرية فى عهدها الهلينى . أما ما تدعوه العلم ، فقد ظهر فى أوربا نتيجة لروح من البحث جديدة ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لطرق التجربة والملاحظة والمقاييس ، ولتطور الرياضيات إلى صورة لم يعرفها اليونان وهذه الروح وتلك المناهج العلمية ، أدخلها العرب إلى العالم الأوربى (١) » .

وإذا تساءلنا الآن عن موقف الدين الإسلامى من المنهج التجريبى ، ومن العلم المادى ، فإننا نجزم غير مترددين بأن موقف الدين الإسلامى من ذلك ، موقف الداعى المشجع المستحث الآمر « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ، « كن عالما أو متعلما ، ولا تكن الثالثة فتهلك » .

٣ — وإذا كان الدين يقف من العلم المادى ، ومن التقدم المادى ، موقف المشجع ، فإن موقفه من النيات والإرادات الإنسانية التى تتحكم فى استخدام هذا الانتاج وتسيطر على استعماله ، يحتاج إلى شىء من التفصيل :

ذلك أن استعماله يمكن أن يتجه إلى الخير وإلى الرفاهية والسعادة وإذن فإن الإرادة الإنسانية ، التى تتجه به هذا الاتجاه ، لا تجد من الدين ، إلا العون والمساعدة والاغتباط.

ويمكن أن يستخدم النتاج المادى فى الشر والإيذاء ، والسطان والغلبة ، وإذن فإن الإرادة الإنسانية التى أضرت بالانسانية لا تجد من الدين إلا المقت والمقت ..

وإذا كان الدين يقف موقف المعارض من الاستعمال الضار للمخترعات فليس معنى ذلك ، أنه يقف موقف المعارض من المخترعات نفسها ، ويجب أن يكون هذا واضحا فى جميع الأذهان حتى لا يأتى قوم لا يميزون بين موقف الدين من الاختراعات ، وموقفه من استعمالها الضار فيصفون الدين بالجمود مع أنه بموقفه هذا ، وبتفرقته تلك ، يبلغ الذروة فى هداية الإنسانية والعمل على إسعادها ...

وعلى ذلك ، فإنه يمكن اشباعا فى الشرق أن تطمئن إلى موقف الدين من الحضارة المادية وأن تعتبره الموقف الوحيد ، الذى يجب على كل مفكر ، أن يتخذه مثلا أعلى ، يعمل على سيادته لخير الإنسانية ..

أما موقف الدين من الثقافة الغربية ، فذلك موضوع آخر يحتاج إلى مقال آخر ..

الدكتور عبد الحليم محمود
رئيس قسم الفلسفة والتوحيد بجامعة الأزهر

(١) من كتاب التفكير الدينى فى الإسلام ص ١٠٠ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

— ١ —

١ — المجتمع :

حيثما يكن اجتماع . ومكان جامع . وروابط جامعة . تطلق كلمة المجتمع ، فهي تطلق وتصدق على الأسرة لأنها تتكون من أفراد تجمعهم روابط النسب . والقرابة . والمكان . والمصلحة المشتركة ، وتطلق على القرية لأنها تتكون من عدة أسر تجمعها علاقات المجاورة والمصاهرة . والمصالح المشتركة . أو المرافق العامة ، وتطلق على « المركز » لأنه يتكون من عدة قرى متجاورة تخضع لإدارة موحدة ويلتقي أبناؤها في المدارس والمعاهد والمساجد الكبرى ، والأندية ودور القضاء ، وما يقال في « المراكز » يقال في المحافظات التي تتكون من عدة « مراكز » ويقال في الدولة أو الجمهورية التي تتكون من عدة محافظات وأقاليم يحكمها جميعا قانون واحد ، وتشرف عليها حكومة واحدة ، ويجتمع أبناؤها على عادات وتقاليد ومصالح مشتركة ، بل إن معنى كلمة « مجتمع » يتسع حتى يسع الأمة التي تتكون من عدة شعوب تجمعها وحدة الدين واللغة والجنس بل يسع العالم الإنساني بما يشتمل عليه . ويفتمي إليه من شتى الأمم والأجناس ، فإن الإنسان حيث كان ، ومهما يختلف به الزمان والمكان هو هو كما برأه الله « حيوان ناطق » والناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ينتمون إلى أصل واحد ، فهم أسرة كبرى تتكون من أسر صغيرة تسمى الفصيلة أو القبيلة أو العشيرة ، وأسر كبيرة تسمى كل أسرة منها الشعب أو الأمة ، وقد تقاربت المسافات بما وصل إليه الإنسان من وسائل المواصلات ، وتقاربت الثقافات بما اخترع من أجهزة الإذاعة و « التلفزيون » وأدوات الطباعة والنشر ، حتى صار الواحد هنا يسمع ما يقال في أقصى الأرض ، وهو جالس إلى جوار المذياع . ويرى في دور « الخيالة » وعلى شاشة « التلفزيون » ما يقع أو يدور في جوانب الدنيا من أحداث . وقصص . ومشاهد ، ويقرأ في الصحف والكتب ما يكتب في مختلف أنحاء هذه المعمورة وقد كان ذلك خليقا بأن يوجه الناس جميعا إلى التعارف والتعاون على البر والخير لو أن هذه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأجهزة استخدمت فى وجوه البر والخير ، ووجهت إلى ما يجب أن تتجه إليه مما يدل عليه قوله تعالى: « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » فإن ذلك هو المنطق الطبيعى لمعانى الإنسانية فى الإنسان وهو إلى ذلك نداء الله الذى خلقهم ورزقهم وأمرهم أن يستجيبوا له إذا دعاهم لما يحييهم : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ، « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » .

ولكن هذه الأجهزة لم تستخدم - كما يجب - فى الأغراض السلمية ، وإشاعة الأمن والإيناس بين الناس ، وإنما انحرفت بها الأطماع والشهوات إلى خدمة الشيطان ، فأصبحت تستخدم فى الحرب الباردة والساخنة وتعمل على إثارة القلاقل والبلابل وإغراء العداوة والبغضاء . وكثيراً ما تستخدم فى تخدير الضمير العالمى ، وتضليل الرأى العام .

٢ - ١ - المختلف :

والواقع الذى لا سبيل إلى تجاهله أو التغافل عنه ، أن الناس بفطرتهم مختلفون فى الميول والأذواق ، والمواهب والأخلاق ، كما أنهم مختلفون فى السمات والملامح ، وقد قيل فى تفسير قوله تعالى : « وقد خلقكم أطوارا » إن معناه خلقكم ضروبا وأحوالا مختلفة أو خلقا مختلفة كل واحد منكم على حدة وقيل كذلك : إن معناه مختلفين فى المناظر والأخلاق ، وقال الفراء : إن معناه : نطفة ثم علقة . ثم مضغة . ثم عظاما » . والآية تتسع لكل هذه المعانى وتسع غيرها مما يكشف عنه البحث والتأمل .

ولا شك أن المجتمعات الإنسانية مع اشتراكها فى الروابط والمصالح والمعانى العامة يختلف بعضها عن بعض فى السمات والملامح ويتميز بعضها عن بعض بخصائص وأشكال مختلفة ، كما يتميز الأفراد فى الأسرة الواحدة بمواهب وملامح وأشكال مختلفة بل كما تتميز الأوراق والأغصان فى الشجرة الواحدة بأحجام وأشكال مختلفة فقد شاءت حكمة الله أن يكون الاختلاف فى العناصر أساس خلق هذا الوجود ، وأن يكون ذلك الاختلاف قانونا مضطردا فى تكوين كل موجود مما تقع عليه العين أو يقع تحت الحواس ، حتى الكلمة التى تقال أو تكتب لتعبر عن ذات أو معنى تتكون من حروف مختلفة والكلام الذى يقال أو يكتب ليعبر عن شعور أو تفكير يتكون من كلمات مختلفة والدواء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الذى يستخدم فى علاج أى داء يتكون من عناصر مختلفة .

فالاختلاف حقيقة طبيعية لا سبيل إلى إنكارها ، والتلاف العناصر المختلفة لتؤدى مع ائتلافها وظيفة خاصة أو عامة أمر لا سبيل إلى الشك فيه ، فإن ذلك ما نطالعه فى كتاب الله المرئى : وهو هذا الوجود بما فيه ومن فيه ، وفى كتابه المقروء وهو هذا القرآن الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » لأنه كما يقول الله : « تنزيل من حكيم حميد » ومن ذلك قوله تعالى « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون . سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » . وقوله تعالى : « ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » وقوله سبحانه : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين » . وقوله جل شأنه : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور » .

٣ — التعارف

وإذا كانت العناصر المختلفة لا تؤدى وظائفها إلا بائتلافها مع غيرها . كان الائتلاف ضرورة لا محيد عنها فى إقامة المجتمع الصالح السعيد ، ومن ثم كان من أجل ما من الله به على أبناء هذه الأمة حين شرح صدورهم للإسلام أن ألف بين قلوبهم ، وقال لنبيه عليه السلام : « لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » وقال يذكرهم بهذه النعمة : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

وقد كان العرب قبل الإسلام كما قال جعفر ابن أبى طالب لنجاشى الحبشة : (كنا قوما أهل جاهلية . نعبد الأصنام . ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسىء الجوار . ويأكل القوى منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه . فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة . وصلة الرحم ، وحسن الجوار .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا . وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به) .

ثم كانوا بعد الإسلام كما يقول الله : « أشداء على الكفار رحماء بينهم » وكما يقول : « كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » وكما يقول : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

٤ — الاشتراكية :

ولا شك أن النتيجة الطبيعية الآلفة التي تجمع بين العناصر المختلفة هي الاشتراكية بمعناها العف الذي ينبع من الضمير ويوصي به الدين ويتحقق به العدل والفضل ، بل إن الاشتراكية العادلة الفاضلة هي النتيجة الطبيعية للواقع المحس الذي يعيش فيه الناس ؛ لأن الإنسان منذ كان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لا يستطيع أن يعيش منعزلا عن غيره . منفصلا عن مجتمعه ، فهو في حاجة دائمة لازمة إلى الزارع والصانع والخادم والحاكم ، وكل عامل في المجتمع يؤدي له خدمة مباشرة أو غير مباشرة . وقد عبر الشاعر القديم عن هذه الحقيقة حين قال .

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

ولنضرب لذلك أبسط مثل وهو الرغيف الذي يأكله . فإن الإنسان يتناوله بعد عدة أعمال لا يستطيع بمفرده أن يؤديها ، لأن هذه الأعمال يشترك فيها الزارع والطاحن والعاجن والخابز ، والبائع ، وما يقال في الرغيف يقال في غيره من كل ما يحتاج إليه في المسكن والملبس والمأكل وما إلى ذلك من الضروريات ، وكذلك شأنه في كل ما يتمتع به من الكماليات ، بل إنه — دون غيره من بقية أنواع الحيوانات — يشعر دائما بحاجات متزايدة لا سبيل إلى إشباعها وإقناعها ، وهذه الحاجات — على تجددها وتزايدها — تتطلب التوزيع والتنويع في العمل وتحريك كل القوى والمواهب للإسهام في الإنتاج ورفع مستوى الدخل العام ، فليس من العدل ولا من المصلحة أن يستأثر كل إنسان بخيره ، فينتفع به دون غيره وليس من الخير أن يحرم المجتمع من مواهب وقوى يعطلها الحرمان . أو يشلها الظلم عن المشاركة في العمل وزيادة الرخاء والثراء ...

ومن ثم كانت الاشتراكية في الإسلام هي ما يفهم من قول الله « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » .

وسنعرض لها في شيء من التفصيل ؟

(يتبع)

عبد الرحيم فوده

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العلماء سفراء وقادة (*)

للأستاذ محمود الشرقاوى

كانت للعلماء ، فى جميع عصور الإسلام ، الريادة والقيادة : يرودون الحياة أمام الناس ويقدمون لهم ثمرة هذه الريادة من العلم والتجربة والثقافة والفضائل والتقوى . ويقودونهم - أفراداً وجماعات - إلى طريق الخير والفلاح . وفى بعض عصور التاريخ نجد لهؤلاء العلماء ريادة أخرى وقيادة للسياسة والثورة فى سبيل رفع الظلم ورد العدوان . كان ذلك أوضح ما يكون الوضوح فى مصر فى القرن الثامن عشر ، حين أخذ الظالمون فى ظلمهم واعتدى المعتدون على وطنهم

فى هذا القرن كانت تقوم ثورات شعبية كثيرة يهب فيها أهل مصر لرد عدوان الظالمين - وعقابهم أيضا - وكان العلماء يشاركون الشعب إحساسه وثورته ، بل كثيراً ما كانوا يقودونه فى ثورته ، ويحرضونه .

الشيخ الدردير يقود ثورة

وللشيخ أحمد الدردير ، وكان مفتياً للمالكية ومن أكبر علماء عصره ، فى ذلك مواقف كريمة نذكر بعضا منها :

فى يوم من أيام ربيع الأول من سنة ١٢٠٠ هـ (يناير ١٧٨٦ م) قام حسين بك شفت (١) أحد كبار المماليك ، ومعه طائفة من جنوده قاصداً منطقة الحسينية واقتحم دار رجل اسمه أحمد سالم الجزار ، كان رئيساً على دراويش الشيخ البيومى ، ونهب الأمير حسين دار هذا الشيخ . وفى صباح اليوم التالى ثار جماعة من الحسينية ، وخرجوا إلى الأزهر ، وشكوا أمرهم إلى الشيخ أحمد الدردير ، فشجعهم فى ثورتهم ، وغضب لهم وقال لهم أنا معكم . فقام الغاضبون إلى أبواب الأزهر فغلقوها ، وصعدت طائفة منهم على المآذن يصيحون ، ويدقون الطبول ، وانتشر الناس فى الأسواق وقد ظهر عليهم الغضب والتحفز ، وأقفل التجار متاجرهم . فلما رأى الشيخ الدردير ثورتهم هذه قال لهم : موعدنا غداً لنجمع الناس من أطراف المدينة ، وبولاق ومصر القديمة ، وأسير معكم إلى بيوت هؤلاء الأمراء فنهبها كما ينهبون بيوتنا . وسينصرنا الله عليهم ، أو نموت شهداء . وبعد ساعات

(١) يقول الجبرتى إن « شفت » معناها الهدى والأرجح أنها محرفة من كلة « جفت » التركية . بهذا المعنى .

(*) فصل من الطبعة الثالثة لكتابنا : « دراسات فى تاريخ الجبرتى » مصر فى القرن الثامن عشر » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من النهار أرسل إبراهيم بك : شيخ البلد وكبير المماليك ، نائبه ، وأميراً آخر إلى الشيخ الدردير يرجوه أن يرسل إليه قائمة بجميع ما نهب من بيت الشيخ الجزار حتى يرده إليه .

وفى شهر جمادى الآخرة من السنة نفسها كان مولد السيد البدوى ، فى طنطا ، وكان الشيخ الدردير فى المولد ، وجاء كاشف (١) الغربية ، من قبل إبراهيم بك ، ففرض على الناس مغارم ثقيلة ، وأخذ إبلا لبعض الأعراب كانوا يبيعونها فى المولد ، فشكوا أمرهم إلى الشيخ ، فأمر بعض أتباعه أن يذهبوا إلى الكاشف ، فخشوا بطشه ولم يذهبوا ، فركب الشيخ بنفسه ومعه بعض أتباعه ، وكثير من العامة . فلما أقبل على خيمة الكاشف ناداه فحضر إليه . وكلمه الشيخ ، وهو على ظهر بغلته ، وقال له : إنكم لا تخافون الله ، واشتد عليه بالزجر والتأنيب فلما رأى الناس ذلك خرجوا عن طورهم ، وضربوا نائب الكاشف ، وقامت فتنة بينهم وبين الجند ضرب فيها وأسر واحد من أتباع الشيخ ، وذهب كاشف المنوفية وكاشف الغربية بعد ذلك يعتذران إلى الشيخ ، ولما عاد إلى القاهرة قدم إبراهيم بك بنفسه إلى منزله معتذرا ومعه كبار المماليك .

(١) كاشف : حاكم .

الشيخ عباس ووقف المغاربة :

وقبل ذلك بعشر سنوات آلت بعض الأوقاف المحبوسة على طلبة العلم إلى طلبة المغاربة ، ولكن واضع اليد يجحد هذه الأيلولة وأبى أن يسلم الحق لأصحابه ، ولجأ فى ذلك إلى الأمير يوسف بك أمير الحج فنصره هذا على باطله ، وأقام المغاربة دعواهم أمام القاضى فأثبت لهم حقهم ، ولكن الأمر كبر على يوسف بك ، وأبى أن يمتثل لحكم القضاء ، بل أمر بالشيخ عباس - زعيم المطالبين بوقف المغاربة - أن يساق إلى السجن . فلما ذهب رسل الأمير يوسف بك إلى الأزهر لأخذ الشيخ عباس طردهم الأزهريون وسبوهم ولم يمكنوهم منه ، ثم قصدوا إلى الشيخ أحمد الدردير فأخبروه الخبر ، فكتب الشيخ إلى يوسف بك ألا يتعرض لأهل العلم ، وألا يعاند فى حكم أصدره القاضى ، وأرسل الشيخ كتابه هذا إلى يوسف بك مع شيخين اختارهما لذلك . فلما وصل الشيخان برسالة الدردير أمر يوسف بك بالقبض عليهما وزجرهما زجراً شديداً ثم سجنهما .

ووصل خبر ذلك إلى الشيخ الدردير ، وأهل الأزهر ، فاجتمعوا عند الصباح وأبطلوا دروس العلم ، والأذان ، والصلاة . وأقفلوا أبواب الجامع . وجلس العلماء عند القبلة القديمة . وكان الأزهر يموج بالناس ، فصعد الصغار منهم إلى المنارات والمآذن يكثرون من الدعاء على الأمراء . وشارك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشعب أهل الأزهر شعورهم بالسخط واحتجاجهم على الظلم ، فنقمت الحوانيت والمتاجر، وعرف الأمراء ما جرى فأرسلوا إلى يوسف بك ليطلق سراح الشيخين ، فأطلقهما ، وأرسل شيخ البلد إبراهيم بك ، كبيراً من رجاله إلى العلماء ، فلم يستطع إرضاءهم ، وجاء كبير آخر يطلب إلى الناس أن يفتحوا متاجرهم ، وينصرفوا لشأنهم . فذهب إليه طلبة الأزهر ، وجموع من الشعب بأيديهم العصى والمسارق ، وضربوا أتباع هذا الكبير ورجموه بالحجارة . فأطلق عليهم هو ورجاله الرصاص . وقتل ثلاثة من الطلبة ، وجرح بعض أفراد الشعب وخشي الأمراء بعد ذلك أن يتفاقم الخطب ، وتزيد ثورة الشعب والعلماء اشتعالا ، فأرسلوا في اليوم التالي كبيراً منهم ، مع الشيخ السادات ، وآخرين من الأمراء . ورأوا من الحكمة ألا يذهبوا إلى الأزهر ، في وسط هذه الفتنة فجلسوا في مسجد الأشرف ، وأرسلوا إلى أهل الأزهر ومن معهم من الثائرين ، أن طلباتهم أجيبت ، فلم يقنعهم ذلك ، ولم يتركوا أماكنهم . فلم ير إسماعيل بك ، كبير الأمراء ، بدا من أن يذهب بنفسه إليهم . فنزل مع الشيخ السادات ، ولم يستطع أن يواجه الثائرين داخل الأزهر ، فجلس مع السادات في مسجد المؤيد ، وأرسلا إليهم كتابا تعهد فيه إسماعيل بك بأن يجيب رغائبهم ويقبل جميع ما يطلبون . وقال إن ضمينه في ذلك الشيخ السادات ، وظل إسماعيل بك يراسل المتترسين داخل الأزهر يوما كاملا حتى استجابوا ، وفتحوا أبواب الأزهر ، وكان مما شرطوه على إسماعيل بك ألا يمر الأغا ، ولا الوالي ، ولا المحتسب قريبا من الأزهر .

الشيخ السادات يقود الثورة :

كان الشيخ السادات ، من أكبر الشيوخ مقاما ، وأعظمهم شأنا ، وأوسعهم جاها وثروة ، وأعزهم منزلة لدى الناس ، ولدى الأمراء على السواء . ولكنه ، مع اختيار نابليون له عضواً في الديوان ، وزيرته له في بيته ، كان من أكبر خصوم الفرنسيين ، والمحرضين على الثورة عليهم .

فعندما قامت ثورة القاهرة الأولى تبين أن زعيمها الأول هو الشيخ السادات . وثبت لديهم ذلك حتى أمر الجنرال كليبر بإعدامه ، ولكن نابليون رده عن ذلك ، مع يقينه من زعامته للثورة ، وقال : إن قتل شيخ في مكانة السادات يضر أبلغ الضرر بمركز الفرنسيين ، ويزيد في حقد المصريين وكراهتهم له .

ثم قامت ثورة القاهرة الثانية على الجنرال كليبر . وكان السادات من المحرضين عليها . فجاءت فرصة كليبر لشفاء ما في نفسه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من السادات . وكان يذكر نصيحة نابليون فلم يقتله . ولكنه أوقع به من العذاب والمهانة شيئاً كثيراً . حيث فرض عليه ضريبة فادحة ، قدرها مائة وخمسون ألف فرنك . فلما رفض أن يدفعها أمر بسجنه فى القلعة . وكان ينام على التراب ، ويمشون به على قدميه فى شوارع القاهرة ، ويضرب فى صباح كل يوم خمس عشرة عصا ، ومثلها فى كل مساء . وحبسوا أتباعه وخدمه . وطلبوا زوجه وابنه فلم يجدوهما . فعذبوا خادما له عذابا شديداً حتى دل على مكانهما . فسجنوهما . ووضعوا معه زوجته فى سجن واحد ، فكانوا يضربونه أمامها ، وهى تبكى . وهاجموا داره ، ففتشوها ونهبوا ماكان فيها من مال ومتاع وحفروا أرضها للبحث عما فيها من سلاح ومال . وجعلوا على بيته عشرين حارساً . وعندما أعادوا تشكيل «الديوان» (١) أخرجوه معه .

وبعد أن أنزلوه من القلعة عادوا فسجنوه فيها مرة أخرى خمسين يوما ، ثم أخرجوه بعد أن أتم دفع ما فرضوا عليه ، ولكنهم عادوا فصادروا جميع ممتلكاته وإقطاعياته - وكانت شيئاً كثيراً - وحبسوا مرتباته وأوقافه وأوقاف زوجاته ، وريع الأوقاف التى كانت محبوسة على زوجة أجداده . وشرطوا عليه ألا يجتمع بالناس ، وألا يخرج إلا بإذنهم ، وأن يقتصد فى نفقاته ، وينقص عدد أتباعه وخدمه .

ويحاف عند الأتراك أيضا :

وعندما قدمت الحملة التركية الانجليزية لحرب الفرنسيين وإخراجهم من مصر ، سنة ١٨٠١ ، وعلم الجنرال منو ، نائب نابليون وقائد الجيوش الفرنسية ، أنها نزلت أبوقير فى الإسكندرية ، أمر ، للمرة الرابعة ، بالقبض على الشيخ السادات حتى لا يثير المصريين عليهم . وسجن فى القلعة ، وبقى فيها سجينا حتى بارح الفرنسيون مصر

وقد مات ابن الشيخ السادات وهو فى السجن فلم يسمحوا له بالخروج ليراه ، بل أذنوا له بالسير فى جنازته تحت الحراسة ، ثم أعادوه إلى السجن .

ومن مواقف الشيخ السادات الوطنية الكريمة ، أنه عندما ضربت الحرب والحصار بالثائرين فى القاهرة ، التزم بالإنفاق على المحاربين والمجاهدين فى المنطقة التى كان يقيم فيها ، عند قناطر السباع .

ومات الشيخ السادات بعد ذلك فى مارس سنة ١٨١٢ فى عهد محمد على بعد أن عرف له الناس وسجل التاريخ هذه الشجاعة وهذا البذل .

محمود الشرقاوى

---

(١) عندما دخل نابليون القاهرة ألف «الديوان» من عشرين عضوا للعمومى ، وعشرة للخصوصى ، وكان الأخير يتألف من كبار العلماء والتجار وأهل الرأى والمشورة من المصريين ، وكان رئيسه الشيخ عبد الله الشرقاوى ومن أبرز أعضائه الشيخ السادات .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من معاني القرآن

« إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ، ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » .

يصدون : يمنعون ويصرفون الناس .

سبيل الله : طريقه الذي شرعه وصراطه المستقيم ، ومعناه واسع جامع يتناول كل بر وخير .

والمسجد الحرام هو الذي أوجب الله تعظيمه واحترامه ، ونهى عن انتهاك حرمته ، وهو المسجد الذي تقوم فيه الكعبة ، وتسمى مكة البلد الحرام كذلك ، لأن الله كرمها بوجود البيت فيها .

العاكف : المقيم الملازم للإقامة ، والباد : الطارئ عليه من البادية أو من الخارج .

إلحاد : ميل عن القصد وعدول عن الحق ، يقال ألحد السهم عن الهدف عدل عنه . وألحد فلان عن الحق عدل وأدخل فيه ما ليس منه ، وألحد في الحرم استحل حرمته .

المعنى :

إن الذين كفروا بالله ورسله . وهم مع كفرهم يمنعون غيرهم عن الإيمان ، ويصرفونهم عن الطريق الذي شرعه الله . . والدين الذي ارتضاه ، والمسجد الذي عظمه وحرمه . وجعله للناس جميعا ، سواء في ذلك المقيم فيه وفي البلد الذي يقوم به ، والبعيد عنه في البادية والطارئ عليه من خارج مكة . . هؤلاء الذين يكفرون بالله ويصدون الناس عن سبيله ، وعن البيت الحرام لهم من الله عذاب مؤلم شديد ، ومن يرد في المسجد الحرام جوراً وميلا عن الحق ، وانحرافا عن طريق الرشاد والسداد ، فقد توعده الله بأن يصيبه بعذاب مؤلم شديد يتجرع غصصه ويكابد آلامه .

والمتأمل في هذه الآية ، يجد أن الصد عن سبيل الله ، وعن المسجد الحرام قد اقترن بالكفر ، لأنه بسبيل منه ، أو هو أظهر ما يكون منه ، كما يجد أن المسجد الحرام للناس لا لفريق من الناس ، وذلك ما يفهم من قوله تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » ، وقوله : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » وقد أنذر الله من يريد فيه زيغا وجورا بالعذاب المؤلم الشديد . « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه » « ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب » .

عبد الرحيم فوده

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أحمد أمين

للأستاذ عبد المعطي المسيري

أثرى أحمد أمين المكتبة العربية بما قدمه من إنتاج قيم ، يضيف إلى معلومات قارئه معارف ومفهومات جديدة فى مختلف العلوم والآداب.

وأرخ بأسلوبه الرائع عهداً مجيداً للعلماء وكيف تحظى بحوثهم بحظ الأدباء ، فأنت تقرأ الكتاب الذى يعالج فيه كتابة التاريخ فتراه من ناحية الأسلوب كأنه نموذج للأدب الرفيع ، ومن ثم جمعت آثاره بين عمق العالم وشاعرية الفنان .

تقرأ الكتاب فلا تود أن تتركه حتى تفرغ منه . . ولا تدعه إلا لتبدأ فى الرجوع إليه ، ومع هذا فأنت تقرأ العلم ! تقرأ الفلسفة ، أو التاريخ ، وقد تعودت أن تقرأهما بأسلوب العلماء ! !

تقرأ قصة الفلسفة اليونانية ، قصة الرجل الأول الذى ينظر فى الكون حائراً : ما هذا ؟ ولم هذا ؟ وكيف هذا ؟ ويرتقى ذلك الإنسان ويقطع المراحل ، وتتعاقب الأجيال ، وتتصل الحلقات حتى تصل إلى العصر الذى نعيش فيه مسجلة لمختلف الفلسفات ونموها وتطورها ، وذلك فى عرض فنى ليس بعده غاية لفنان ، ومع هذا المزج بين العلم والأدب ، وما يتطلبه ذلك من شمول وتمحيص العالم ، وانفعال وتوثب الأديب يقدمه صاحبه بمقدمة متواضعة يقول فيها « إنه كان يقرأ ، ويلخص ما قرأ وها هو يطبع ما لخص » .

يقول هذا وهو يؤدب الفلسفة لينتفع بها الأدباء فيفلسفوا الأدب ...

وتقرأ فيض « خاطره » أو « حياته » فتظن أن الرجل قد وقف حياته على الأدب الخالص ، فى الكتاب الأول يتناول مختلف فنون الأدب ، فيكتب الدراسات الفنية ، والنقدية ، ويصور الحياة فى شتى مظاهرها ومشاهدها ... وفى الكتاب الثانى يكتب ترجمة ذاتية لحياته ، فيسجل ما ألح عليه ، وما اضطرب فيه ، فإذا بالكتاب صورة كاملة الملامح ، واضحة الأجزاء ، لجيله وبيئته ومجتمعه ، ويسد بذلك فراغا تشكو منه المكتبة العربية لفقرها من كتب الترجمات .

ويغوص فى أعماق الأدب الشعبى فيضع قاموس اللغة والتقاليد والتعابير ، ذلك القاموس الذى كنا فى أشد الحاجة إليه ، والذى كان يحتاج إعداده ووضعه إلى عدة رجال . فهو لم يدع شاردة ولا واردة مما يضطرب على ألسنة الشعب فى السوق والبيت والحارة ، إلا وضمنه الكتاب ، هذا بالإضافة إلى اهتمامه بالأمثال والأساطير والصور المتنوعة لحياة الشعب ...

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كان على تواضعه الشديد يعرف لنفسه قدرها .. سأله مرة أحد الصحفيين عن أثر تعيينه عميداً لكلية الآداب فكان جوابه : « إنني أصغر من أستاذ ، ولكني أكبر من عميد ! ! » .

ويطيب له أن يكشف عن حياته فيقول : « كنت في بدء حياتي العلمية كثير الفراغ ، أصرفه في القراءة والكتابة ، فألفت فجر الإسلام وضحاه .. ثم قل فراغي لاشتغالي بكثرة المجالس واللجان ، فأنا عضو في المجمع اللغوي ، وفي مجلس دار الكتب ، ومجلس كلية الآداب ، ودار العلوم ، ورئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر . والجامعة الشعبية ، ومذيع في الراديو ... وكل هذه أكلت من وقتي ، وبعثرت زمني ، ووزعت جهدي مع قلة فائدتها فيما أعتقد ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لرفضت كل هذه الأمور ، ولفرغت لإتمام سلسلة فجر الإسلام وضحاه ، وظهره ، وعصره ، فقد كان ذلك أجدى وأنفع وأخلد ، ولكن للظروف أحكام ...

ويتحدث عما يروقه في الأدب فيقول : « أكثر ما يعجبني في الأدب ما غزر معناه ، ودق مرماه ، ولذلك لا يهتز قلبي لأكثر شعر الطبيعة في الأدب العربي لبنائه على الاستعارة والتشبيه ، لا على حرارة العاطفة » .

* * *

ويخطر له وهو الفقيه القاضي الشرعي الكبير السن ، الكثير المسئوليات أن يتعلم الانجليزية وذلك على أثر حديث لصديق عن كتاب للمستشرق الأمريكي ماكدونالد تناول فيه نظام الحكم وتاريخ الفقه ، والمذاهب والعقائد في الإسلام ، فيقسم أن يقرأ هذا الكتاب في لغته !! .

ويوفقه الله فيبر بقسمه ... يذهب إلى مدرسة « برليتس » ويبذل المجهود الشاق فيقرأ في البيت ، ويحفظ في الطريق ، ويذاكر وهو يراقب الامتحانات ، ويراجع وهو يشرف على حصص الدروس ولم يكن في فصل يتعاون فيه مع الطلبة ولا في بيئة تعودت سماع لغة أجنبية ولذلك يقول له الشيخ الخضري : « قد جرب هذه التجربة مئات من طلبة دار العلوم فساروا خطوات ثم وقفوا » فيرد عليه بقوله : « سأجرب كما جربوا ، ولكن سأنجح إذا فشلوا » .

ويجهد نفسه فيعكف على كتاب الإسلام للسيد « أمير علي » يحاول أن يقرأه في الانجليزية وكان يجلس في الصفحة الواحدة ثلاث ساعات ، يكشف في المعجم عن كل كلمة وهو جاد صابر ...

ويوفقه الله إلى انجليزية تدعى مس « بور » وهي مثقفة تنشر المقالات في جريدة التايمز ـ فتحدث المعجزة ويلم تمام الإلمام باللغة الانجليزية وأدبها ...

يتحدث عن ذلك فيقول : « ماذا كنت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لو لم أجتز هذه المرحلة ؟ لقد كنت ذا عين واحدة ، فأصبحت ذا عينين ، وكنت أعيش فى الماضى ، فصرت أعيش فى الماضى والحاضر ، وكنت آكل صنفا واحدا من مائدة واحدة ، فصرت آكل من أصناف متعددة على موائد مختلفة ... لو لم أجتز هذه المرحلة ثم كنت أديبا ، لكنت أديبا رجعيا يعنى بتزويق اللفظ لا جودة المعنى ، ولو كنت مؤلفا لكنت جماعا أجمع مفترقا ، أو أفرق مجتمعا من غير تمحيص ولا نقد ... فأنا مدين فى إنتاجى الضعيف فى الترجمة والتأليف والكتابة إلى هذه المرحلة من المراحل الأولى ...

* * *

وكان مضرب الأمثال فى الدأب والجلد والصبر ... يتفق مع زميليه عبد الحميد العبادى وطه حسين على تأريخ الحياة الإسلامية ... على أن يكتب العبادى التاريخ ويكتب طه حسين الحياة الأدبية ، ويتناول هو الحياة العقلية ، ثم ينصرف كل إلى شأنه وتلح المشاغل على الاثنين — العبادى وطه ... فلا يصنعان شيئا ، فأما هو فينجز ما التزم به وينشر فجر الإسلام ... ثم يقدر أن صاحبيه قد انصرفا عما اتفقوا عليه فيعكف على الموضوع فينجز ما كان سيضطلع به الجميع ... وتظفر المكتبة العربية بذلك المرجع العظيم للحياة الإسلامية ... ويتتابع صدور أجزاء فجر الإسلام وضحاه فتحظى من النقاد والمستشرقين بالثناء والتقدير ...

يقول الدكتور طه حسين : « ولست أخفى أنى لم أكن أعرف حدا لهذا الدهش الذى كنت أجده حين أرى أحمد أمين يتصرف فى المسائل الأدبية والفلسفية واللغوية بقدم ثابتة ، ويد صناع ، وعقل يعرف كيف يفكر ، وكيف ينتقل من قضية إلى قضية ، ومن مقدمة إلى نتيجة ، وكيف يضع الأشياء بعد ذلك كله فى نصابها معتدلا أحسن اعتدال ، لا يعرف التقصير ولا يعرف الإسراف ...

والحق أن الدكتور طه حسين لم يجاوز الحق فى هذا الحكم ، فمؤرخ الحياة الإسلامية قد بعثها فى صورة واضحة وبأسلوب بين المنهج ، سهل المخرج ، لها من جلال العالم الحظ الأوفر ، ومن رقة الشاعر النصيب الأكبر ، هذا فوق تفردها بطابع العصر الحديث .

فقد أرخ المرحوم أحمد أمين بفجر الإسلام وضحاه صفحة مجيدة للتاريخ فى الأدب العربى لم يسبقه إليها مؤرخو العربية إذ كان ينقصهم فوق التحرر من إلفهم وعاداتهم وحزبيتهم الإحاطة بالمناهج العلمية الحديثة التى تجعل نصيب الاستقراء والاستنباط والتحليل فوق نصيب الألفاظ والتراكيب ، فمثلا مسألة كنضتال الفرق الإسلامية كيف كان يتم تكوين فكرة سليمة من درس الكتب القديمة التى تزخر بمختلف الآراء ، وتعدد الروايات ، وبخاصة أن كتابها كانوا كثيراً

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يعمدون إلى إرضاء فريق يدينون برأيه دون مراعاة للحق والتاريخ .

إنهم كانوا واحداً من إثنين ، فريق يشرح وجهة النظر لكل فرقة ويقف عند هذا الحد وفريق آخر يعرض لكل رأى ويبدى حجته ولكنه يعمد إلى نقض حجج الرأى المخالف لها بأسلوب يسفه فيه هذا الرأى ، وهكذا ظل تاريخ تلك الفرق ينقصه من يشرح وجهة النظر ويحللها ... ينقصه القاضى العادل الذى يحكم بعد إمعان النظر - من غير حرج ولا تسفيه ، إلى أن أتيح له أحد أمين الذى يقول : « إن من طلب العلم ودعا إليه علم أن العنف يدعو صاحبه إلى العنف والإصرار عليه « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

وعلى سبيل المثال نعرض لمناقشة أصل من أصول « المعتزلة » ولعله أهمها وهو العدل يقول لقد وقفوا — المعتزلة — أمام مشكلة المثوبة والعقوبة فرأوا أن ذلك لا يكون له معنى إلا بتقرير حرية الإرادة فى الإنسان ، وأنه يخلق أعمال نفسه ، وأن فى إمكانه أن يفعل الشىء وألا يفعل ، فإذا فعل بإرادته وترك بإرادته كانت مثوبته أو عقوبته معقولة عادلة ، أما إذا كان الله يخلق الإنسان ويضطره إلى العمل على نحو خاص ، فيضطر المطيع إلى الطاعة ، والعاصى إلى العصيان ثم يعاقب هذا ويثيب ذاك فليس من العدالة فى شىء ، ولعل نقطة الضعف فيهم أنهم أفرطوا فى قياس الغائب على الشاهد ، أعنى فى قياس الله على الإنسان ، وإخضاع الله تعالى لقوانين هذا العالم فقد ألزموا الله تعالى مثلا بالعدل كما يتصوره الإنسان وكما هو نظام دنيوى ، ونسوا أن معنى العدل - حتى فى الدنيا معنى نسبى يتغير تصوره بتغير الزمان ، وأن ما كان عدلا فى القرون الوسطى يعد ظلما الآن ، فكيف إذا انتقلنا من عالم الدنيا إلى عالم الله وكذلك الشأن فى قولهم فى الحسن والقبح ، والصلاح والأصلح ، إنا نرى أن الإنسان إذا ضاق نظره حكم على الأشياء حكما ، فإذا اتسع نظره تغير حكمه ... فمن نظر فقط إلى أسرته كانت بعض أحكامه خطأ بالنسبة لمن اتسعت نظرته إلى أمة أو إلى الإنسان عامة ، ونحن فى أعمالنا ننظر إلى عالمنا ، والله تعالى رب العالمين قد ينظر فى أعماله إلى جميع العوالم ما نعلم منها ، وما لا نعلم ، فكيف نخضع الله لتصور العدل الذى نتصوره نحن فى عالمنا هذا — كذلك قولهم فى أن صفات الله هى عين الله أو غير الله ... كل براهينهم مبنية على قياس الغائب على الشاهد ولكن الشبه بمعدوم ، وقد فرضوا أن العينية والغيرية والزمانية والمكانية لازمة لكل موجود ، وهذا فى نظرى خطأ محض فهى قوانين إنسانية ، وإن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تسامحنا قليلا قلنا : إنها قوانين عالمنا هذا ، ولسنا نستطيع القول بأنها تنطبق على غير عالمنا أو لا تنطبق فإصدار حكمنا على الله اعتقاد أنها قوانين شاملة للإنسان جرأة لا يرتضيها العقل الذى يعرف قدره ، ولا يعدو طوره .

من خلال هذه السطور نقدر المنهج الذى سلكه أحمد أمين فى التأريخ ، ومن خلالها أيضا نقدر كيف اتحد عمق العالم ، ويراع الشاعر محققا بذلك أملا كنا نهتف به ونتمناه .

وفى مناقشته لقول الإمام على فى « المتعة » ما يلقى الضوء على نظرته للإصلاح الاجتماعى فبعد أن صور شناعة ذلك الأمر وتسهيله للإباحة وما تجره من فساد واستهتار يقول : « وإذا كان المثل الأعلى للأسرة زوجا واحدا وزوجة واحدة ، وعروة وثقى باقية أبدا فى سعادة ينشأ فى أحضانها الأبناء والبنات ، فما أبعد نكاح المتعة عن المثل » .

ثم يعرض إلى رأى الشيعة فى الإمام وكيف أنها لا تتفق مع الإيمان الصحيح ، ولا تستقيم مع النظر المستند إلى الطبيعة ، فهم يرون أن الإمام معصوم ، وأنه مشرع ومنفذ ، ولا يسأل عما يفعل والخير والشر يقاس به فما عمله فهو خير ، وما نهى عنه فهو شر ! أليس فى ذلك إفناء للعقل ، وتسليما مطلقا لتصرفات لا يقرها الشرع ولا العقل ولا الطبيعة ؟ !

وهذا النظر الشيعى إلى الإمام يلقى على تاريخ الفاطميين وعلى الدولة الشيعية ضوءا قويا مفسرا لسر تقديس الناس لهم حتى يبلغ الأمر أن يقول شاعرهم :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار
فاحكم فأنت الواحد القهار

ثم ينتقل إلى أثر الفرق فى الأدب فيشير إلى المعتزلة الذين أغنوه من حيث المعانى وقوة العقل ، وسعة الذهن ، وتوليد الأفكار العقلية ونظرهم إلى الكون وإلى الطبيعة وإلى إجراء التجارب عليها ودلالتها على خالقها ، وغوصهم على المعانى غوصا ونقلهم الأدب من لفظ رشيق ، إلى معنى عميق ...

ثم يتحدث عن الشيعة وكيف أثروا على الأدب من الناحية السياسية والعاطفية فقد أكثروا من القول فى الحق وطلبه ، والإرث وغصبه ، ثم يبكون على حق ضاع ودم أريق وحرمات انتهكت ، وبيوت دمرت ، وجثث صلبت وذريت ...

وهكذا كان للناس من الأدبين جميعا فكر وعاطفة ، وعقل وقلب . . وكلاهما لا بد منه ولا غناء عنه الأدب ...

وبعد فهل ترانى قلت شيئا عن الكريم الفقيد ؟ !

رحمه الله رحمة واسعة بقدر ما أسدى للعربية ـ أمة ولغة ـ من خير وفضل ؟

عبد المعطى المصرى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نظرية الإيحاء بين المستشرقين والمسلمين

للدكتور صلاح الدين عبد الوهاب

الاستشراق :

كانت أول مقدمات الاستشراق فى التاريخ هى الحروب الصليبية فى القرنين العاشر والحادى عشر الميلاديين ، إذ وجهت الكنيسة فى أوربا الدعوى فى جميع الدول الأوربية إلى المساعدة فى تخليص بيت المقدس من أيدى المسلمين ، وصورت لهم المغارة التى ولد فيها السيد المسيح ، والبحيرة الرائقة التى سار عليها ، والهيكل الذى خطب فيه ، والأعمى الذى جعله مبصرا ، والمرأة التى حبس نزيفها . فالجند محيطين به والطريق مخضبا بدمائه ، ثم أعمدة خشبية يحرها من ورائه وقد جمعات لكى يصلب عليها ، وقد تم صلبه ومات ليخلص البشر من خطاياهم (هكذا يعتقدون) . أفيدع المسيحيون كل ذلك لمحمد وجماعته ؟ .

ونشبت الحروب الصليبية وهى لم تكن فى حقيقتها وفى الباعث عليها حبا فى تخليص بيت المقدس ولا رغبة فى استرداد قبر المسيح وهيكله ، بقدر ما كانت خوفا متأججا فى نفوسهم من الإسلام والمسلمين ، ورغبة فى السيطرة على قلب البلاد الإسلامية ومشرق الدعوة إلى هذا الدين الحنيف ، وهو الشرق الأوسط ، وهدم كل آثار هذا الدين ونزع تعاليمه من قلوب من يدينون به ، والحد من تقدمه وانتشاره عن طريق استعباد بلاده وأبنائه قبل أن يهدد انتشاره الكنيسة ، ويعمل على تقويض أركانها .

ولم يتم للغربيين ما أرادوه . وفكصوا على أعقابهم مدحورين بعد أن دارت رحى الحرب زهاء قرن من الزمان على فترات متقاوتة .

ولكن هذا الروح لم تخمد فى نفوس رجال الكنيسة خاصة والغربيين عامة بل إنهم حملوا للإسلام والمسلمين هذا الشعور الهدام الذى ظهر واضحا جليا فى الاستعمار الحديث منذ القرن الثامن عشر .

وكان هدف هذا الاستعمار الغربى دائما هو :

(١) إضعاف القيم الإسلامية ومحاولة تشكيك المسلمين فى دينهم .

(٢) تمجيد القيم المسيحية ومحاولة العمل على نشرها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكان أول حدث علمي في تاريخ الاستشراق هو مكتب الترجمة الذي أمر ريموند، أسقف طليطلة بإنشائه عام ١١٣٠ ميلادية فترجم أعمال ابن رشد وابن سينا والفارابي والكندي. ثم قام هذا المكتب بعمل أول ترجمة عرفت في التاريخ للقرآن وعرض الأسقف كنيت kennett هذه الترجمة عام ١١٤٣ م على دكليني لدراستها والرد عليها. فكان هذا هو أول ما عرف عن الاستشراق الغربي.

والاستشراق اليوم علم قائم بذاته. ففي كل الجامعات الأجنبية الكبرى، في انجلترا (كمبردج وأكسفورد ولندن وأدنبرة) وفي فرنسا (باريس) وهولندا (ليدن وأمستردام) وألمانيا (هيدلبرج ومونخ وهامبورج) وإيطاليا (روما) وأمريكا الشمالية (هارفادر وكولمبيا ونيويورك وكورنل وكاليفورنيا وشيكاغو وييل وبرنستون) وفي كندا (ماك جيل Mci Gill ومونتريال وتورنتو) - في كل هذه الجامعات وغيرها دراسات شرقية منظمة تدار على نطاق واسع. لا يقصد منها دراسة موضوعية للإسلام والعلوم الإسلامية بقدر ما يقصد بها تصوير النقاط ضعف وهمية في الإسلام والعلوم الإسلامية.

والكتب التي تؤلف اليوم في هذا النطاق تخرج بالعشرات من أساتذة متخصصين وقفوا حياتهم وجهودهم العلمية على هذا العمل، ومن هؤلاء الأساتذة المعاصرين جيب Gib وفون جرونبوم ودانييل وروزنثال وكاتسن وأندرسن وسوتيمان وآربري والفريد جييوم Gillaum وميليو Milliet الفرنسي ولامانس ووات Watt وغيرهم.

فعلينا أن نهتم كثيرا بهذا التيار المعادي وأن نتبع خطوات الإمام الشيخ محمد عبده في رد هذا الهجوم بكل ما في الوسع من جهد.

وكان جل ما اعتمد عليه المستشرقون في رسالتهم الهدامة هو نفي أن الإسلام دين موحى به من عند الله. أما طريقهم إلى هذا الهدف فهو التشكيك في رسالة محمد بإثبات بشرية القرآن، وأنه كان يتصنع الوحي، أو أن ما كان يبدو عليه حين الوحي إنما هي أعراض مرضي عصبي، ثم أخيرا إلقاء الريب في قلوب المسلمين عن طريق مناقشة موضوع انعدام المعجزات الحسية على يد النبي صلى الله عليه وسلم.

أولا: إثبات بشرية القرآن:

ويقوم دليلهم المدعى على نظريتين:

النظرية الأولى: القرآن فيض من خاطر محمد أو انطباع لإلهامه:

ومن القائلين بهذه النظرية المستشرق المجري اليهودي جولدتسيهر إذ يقول إن محمدا تأثر بالعناصر الأجنبية، التي كانت تسود

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منطقة مكة فى وقته . وقد بلغ هذا التأثر مبلغه فأدرك بقوة إبحاثه الأصول التى تستند إليها تلك الأفكار حتى أصبحت عقيدة انطوى عليها قلبه . وصار من كثرة إيمانه بها يعتقد أنها وحى إلهى وأنه أداة لهذا الوحى . (كتابه العقيدة والشريعة فى الإسلام ص ٥) ويتمثل جولد تسيهر فى هذا الشأن بعبارة قالها هارناك عن الأمراض التى تصيب الرجال الذين يرتفعون فوق مستوى البشر ، والذين يستمدون منها حياة جديدة كانت تعتبر مجهولة من الناس قبل ذلك ، كما يتخذون منها قوة تهدم كل ما يصادفهم من عقبات . (المرجع السابق ص ٦) .

ويستطرد جولد تسيهر فى نظريته فيقول « لقد كانت السور الأولى فى النزول على الشكل الذى تعود الكهان القدماء وضع نبوءاتهم فيه ، ولو جاء فى شكل آخر لما رضى أى عربى أن يرى فيه قرآنا موحى به من الله . وما أعظم الفرق بين سجع السور المكية وسجع السور المدنية . بينما نرى محمدا يسود فى الأولى رؤاه الكشفية الإلهامية visions فقرات مسجوعة متقطعة وفق صوت ضربات قلبه المحموم ، نرى الوحى فى الثانية يتخذ لنفسه الشكل السجعى لكنه مجرد من اندفاعه وقوته ، حتى فى الحالات التى أعاد فيها النبى طرق الموضوعات التى تناولها فى السور المكية .

ويقول دانييل مؤلف كتاب الإسلام والعرب : إن دليل الوحى النفسى يكمن فى قصة زيد بن حارثة وزوجته بنت جحش التى تزوجها محمد (عليه الصلاة والسلام) بعد طلاقها من زيد بناء على أمر من الله عز وجل .

فإن النقطة التى دار حولها الجدل هى أن النبى (عليه الصلاة والسلام) يبرر رغباته الشخصية بوحى إلهى ، ويدعى أن عائشة رضى الله عنها قالت لمحمد عليه الصلاة والسلام : « أرى أن الله يسرع لتحقيق رغبتك » .

ويختم دانييل كل ذلك بقوله : إن الغربيين لا يمكنهم التسليم بصحة الوحى المؤقت الذى ينزل إجابة على مشكلات سياسية واجتماعية متجددة .

النظرية الثانية : القرآن تسطير للتعاليم التى تلقاها محمد من الأحبار اليهود والقساوسة المسيحيين .

يقول بهذه النظرية مستشرقون كثيرون نذكر منهم ما يلى :

المستشرق جولد تسيهر وهو يقول : إن تبشير محمد ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التى تأثر بها تأثراً عميقاً ، والتى رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بنى وطنه .

يقول الأستاذ جون نوس Gohn Noss

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أستاذ الفلسفة بكلية فرانكلين ومارشال الأمريكية فى مؤلفه « أديان الإسلام » :

إن الإسلام يزهو ويفاخر بأن القرآن يكمل أنصاف الحقائق التى أتت بها الأديان السابقة ، مع أن كل من له دراية بالأديان العالمية يدرك لأول وهلة عند قراءة القرآن أن محمداً نقل كثيراً من تعاليم الأديان الأخرى . ومع أنه اعتمد كثيراً على التقاليد الموسوية والمسيحية فى تصوير العلاقة بين الإنسان وربه فى التاريخ ، وكذلك نقل عن السابئين والزورستانيين ، إلا أنه أسبغ على الله ـ ربه ـ ثوباً من الخلق العربى والشخصية العربية .

ويرى هذا الرأى أيضاً الأستاذ إبراهام كاتش أستاذ الحضارة والثقافة العبرية بجامعة نيويورك فيضع مؤلفاً كاملاً لموضوع المصادر اليهودية للقرآن أسماه « اليهودية فى الإسلام » إذ يقول فى مقدمته :

إن محمداً لم يكن يقصد فى أول الأمر الدعوة إلى الإسلام كدين جديد ، إذ اعتبر نفسه الأمين الشرعى على الكتاب المنزل من عند الله Scripture لتأكيد « الكتب السماوية القديمة » ولهذا السبب لم يجد فى أول الأمر فارقا بين اليهودية والمسيحية واعتقد أن اليهود والمسيحيين سيرحبون به حتى إذا ما تحقق له أنهم لن يعضدوه ولن يساندوه تقدم بالإسلام كدين جديد .

أدلة بشرية القرآن عند المستشرقين :

ونجمل أدلة المستشرقين فى إثبات تخلف الإيحاء الإلهى عن القرآن فيما يلى :

١ ـ يعول المستشرقون فقط على الجزء القصصى فى القرآن ويصفونه بأنه ترديد لما جاء بالعهد القديم والعهد الجديد . وهذا دليل النقل فى نظرهم .

٢ ـ يوجهون النقد إلى أسلوب القرآن !! فينسبون إليه التكرار والحشو والتخيل ويقول فى ذلك الأستاذ فون جرونيوم الأستاذ بجامعة كاليفورنيا بأن محمداً فى القرآن لم يصل إلى مرتبة أفلاطون لأنه فى كثير من المراجع انحدر أسلوبه إلى مجرد فقرات غير متصلة خالية من الترابط المنطقى (١)

٣ ـ إن القرآن لا يقف عند حد التعارض فى كثير من الأصول العقائدية مع الكتب السماوية السابقة ، بل يتعدى ذلك إلى التصادم بينه وبين الفلسفة وما يقتضيه العقل الطبيعى . وهو فى كثير من المواضع غريب يصدم فى غرابته القارئ الغربى الذى ألف الكتابات المنطقية .

٤ ـ إن القرآن يتضمن سوراً باسم النحل والعنكبوت والدخان وهى أسماء لا تصلح ـ فى نظرهم ـ لأن تكون موضوعا لوحى إلهى . (٢)

٥ ـ إن طريقة تجميع آياته تدل بذاتها

(١) فون جرنيوم ـ اسلام العصور الوسطى ص ٨٠ طبعة ثانية

(٢) دانيل المرجع السابق ص ٥٨ ـ ٦١

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على اصطناعه ، وتبويبه غير منطقي يصعب معه تبين كيفية ترتيب آياته أصلا .

مناقشة هذه الأدلة :

١ — افترض المستشرقون أن النبي (عليه الصلاة والسلام) اتصل بأحبار اليهود والقساوسة المسيحيين وأخذ عنهم القصص التي وردت بالقرآن بدليل ورودها متشابهة مع القصص التي وردت بالتوراة والإنجيل ، ونقول إنه لم يقم دليل على هذا الاتصال المزعوم ، فضلا عن أن حقائق التاريخ تكذبه فضلا عن أنهم يتخذون من هذا الاتصال المزعوم مقدمة لدعواهم ليرتبوا عليها النتائج التي يريدون أن يخلصوا إليها .

وفي هذا مصادرة على المطلوب ، فالثابت أن اليهود كانوا متركزين في يثرب وفي خيبر وفي اليمن ومنذ أن هاجر النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة بدأوا في مناصبته العداء وهو نابذ أحبارهم[1] أما المسيحية فكيف تكون أصلا للقرآن وقد جاء القرآن حربا على أصولها وأهمها لظرية التثليث وصلب المسيح السلام « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » .

وفضلا عن ذلك فلماذا يوجه المستشرقون هذا النقد إلى القرآن لمجرد تشابه مع التوراة والإنجيل في جزئه القصصي ولا يوجهونه إلى الإنجيل وهو لاحق للتوراة بحوالي ألفي سنة ؟

ولا يمكن لمحمد أن يكون قد تلقى هذه التعاليم عن اليهود والنصارى كما يزعمون وقد ورد في القرآن ما نصه : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء » مع أن هذا النبي لم يكن وليد حقد عليهم ولا تنافس معهم إذ جاء في القرآن الحكيم : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

٢ — أما تنافر أسلوب القرآن وتبويب آياته مع المنطق فهو مردود بأن القرآن لم ينزل دفعة واحدة بل جاء منجما على ثلاثة وعشرين عاما حفلت بالحوادث التي كان نزوله مرتبطا بتطورها ومنها المتشابه ومنها المتجدد ، لذلك كان لا بد عند تقدير هذا العمل الإلهي من أن يعتبر سبب نزول كل آية واستيعاب التاريخ المفصل لكل حادثة وبغير ذلك لا يمكن أن يفهم معناه على وجه سليم وأن تقدر قيمته ، ولا شك أن عظمة القرآن ومنطقه يبرز في ذلك لأن الكلمة المناسبة عند الحاجة إليها كالماء لا تعادله كنوز الأرض عند الظمأ .

---

(١) السيد أمير علي في مؤلفه بالانجليزية « روح الإسلام » طبعة ١٩٦١ ص ٦٠ وما بعدها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكفى تدليلا على تنزيل القرآن من عند الله ما جاء فى سورة آل عمران :

« هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، إن الله لا يخلف الميعاد » .

إن غرابة أسلوب القرآن وتميزه عن الأسلوب البشرى هو بذاته دليل على أنه تنزيل من عند الله وأنه أوحى به إلى محمد عليه السلام ، وتظهر هذه الغرابة من مقارنة القرآن بالحديث . ففى تنوعهما وعظم الفارق بينهما دليل على دحض مفتريات المستشرقين ببشريته ؛ لأن الشخص لا يستطيع أن ينوع كتاباته كيفما شاء فللكتابة خصائص ولوازم كالخط .

ثم إن الغربى مهما تعلم اللغة العربية وآدابها لا يستطيع أن يصل إلى مرتبة بلاغية تمكنه من الحكم على أسلوب القرآن ، لأنه يظل دائما أسير التفكير بلغته الأصلية التى بها نطق أول ما تعلم النطق ، وبكلماتها انتقلت إليه مدلولات المحسوسات وتعريفات المسميات .

٣ — إن الطابع الإلهى فى القرآن جلى ظاهر فطريقته فى مزج العقائد والمواعظ والحكم وأحكام المعاملات والآداب بعضها ببعض فى الآيات المتفرقة فى السور لم يسبق لها مثيل فى كلام العرب .

وفضلا عن كل ذلك فإن خلود هذا الكتاب مع جدته دليل على ألوهيته . إنك فى كل مرة تقرأ فيها آية من آياته أو سورة من سوره تجده كما هو جديدا على السمع تتفتح لك فيه معان جديدة لم تكتشفها من قبل ويزداد فهمك إياه فتتذوقه وتؤمن به . ولا شك أن هذه الخصائص لا تصدق على كلام البشر ولو كان كلام محمد عليه الصلاة والسلام .

٤ — لو كان القرآن من صنع بشر لما تضمن تلك الآيات التى تبلغ من السمو ما لا يمكن لعقل بشرى بلوغه لأنه اختراق للحجب واستشفاف لأسرارها العليا ومن ذلك قوله تعالى :

« يا معشر الجن والإنس ، إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان » .

ثانيا: الوحى المحمدى ليس إلا مرضا عصبيا

عرض دانيل فى مؤلفه (الإسلام والغرب) آراء المستشرقين الرهبان فى الإيحاء إلى محمد برسالة الإسلام فقال :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« ينكر هؤلاء أمثال ريكولد ومارك التوليدى نزول أى وحى على محمد ويذهبون إلى أنها مجرد نوبات صرع epileptic كانت تنتابه من حين إلى حين . ويقول سان بدرو إن حديث عائشة عن تصبب العرق من النبي وإصابته برعشة عندما كان يزوره الوحى يثبت صحة ما كان يتهمه به أبناء قريش من أنه كان منجما أو عرافا . ثم يعرض دانييل لما يقوله روجر بيكون من أنه فى جميع الأديان حتى الوثنية منها ، يؤمن الناس بأن الله قد أوحى بهذا الدين . وعلى هذا يعتقد المسلمون بأن محمدا قد أوحى إليه من عند الله ؛ لأن هذا هو ماقاله لهم محمد . ويصل الحد بهذا المستشرق إلى القول بأن ما كان من نبوة محمد ليس وحيا وإنما كان امتلاكا شيطانيا

الرد على هذه المزاعم :

الأمر المسلم أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يظهر بمظهر عقلى أو علمى يدل على مستقبله ولم تكن لديه مواهب أدبية ظاهرة حتى بلغ سن الأربعين . أما قبل ذلك فلم يكن إلا رجلا صادقا أمينا يشتغل برعى الغنم والتجارة .

ولا شك فى أن الثابت أن محمداً لم يشترك مع قومه فى عبادة الأوثان بالكعبة بل كان يفضل الخلود إلى الوحدة ، فيذهب فى كثير من الأحيان إلى غار حراء ليتأمل ويفكر . وكذلك لم يشترك محمد مع قريش فى ندواتهم الأدبية التى كان الدخول إليها متوقعاً على بلوغ الرجل سن الأربعين ؛ لأن من عادات العرب أن صغارهم لا يجالسون كبارهم وأن الشاب صغير السن لا يسمح له بمناقشة الكبار ولا بالجلوس معهم فى مجلس واحد .

ولم يؤثر عن محمد أنه قال أو فعل ما من شأنه أن يدل على حب الرياسة والشهرة أو البحث فى شئون السياسة ، بل لقد كان ليتمه ونشأته بعيداً عن والدين يحنوان عليه أثر بعيد فى عزوفه وعزلته وسموه عن أترابه .

كذلك فإن الثابت أن محمداً كان سليم البنية خاليا من الأمراض العضوية والعصبية ، إذ قبضه الله إلى جواره وهو فى منتصف العقد السابع من عمره رغم ثلاثين عاما أمضاها فى جهاد وكفاح وحرب وأسفار مرهقة وتفكير مضن مما لا يمكن أن تتحمله بنية رجل مريض بجسمه أو بعقله .

وما أن بلغ الأربعين من عمره وكان محمد خالياً إلى نفسه بالغار متحنثا فى إحدى الليالى حتى تمثل له جبريل وناداه : باسمه ثم قال له « اقرأ فقال ما أنا بقارئ » ثلاث مرات ، وكان الملك بعد كل جواب يضمه إلى صدره ، ويعتصره حتى يبلغ الجهد من محمد مبلغه ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكأنه بهذا العمل يوصل إليه قوة روحانية ضخمة سيحتاج محمد إليها عندما يتلقى الرسالة الإلهية ، فلما ضمه فى المرة الثالثة وأرسله قال له :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » (١)

رجع محمد إلى بيته بهذه الآيات وفؤاده يرتجف ، وقال لزوجته خديجة : زملونى زملونى ، فلفته خديجة بثيابها وصبرت حتى زالت رعدته ، واطمأن خاطره وقال محمد لخديجة : لقد خشيت على نفسى من الملاك والضرر فردت عليه قائلة: « كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » .

ثم انقطع نزول الملك عليه مدة ، قوى أثناءها محمد واستعد للتلقى واشتد إليه شوقه وحنينه . ثم بعد ذلك وبينما كان يسير سمع صوتا من السماء فرفع بصره فإذا الملك الذى جاءه بالغار ، فرجع إلى أهله وتزمل وتدثر فنزلت عليه الآية :

« يأيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر » ثم تتابع الوحى فكان تبليغ رسالة السماء . (١)

ولم يكن خوف محمد واضطرابه من الوحى واشتداد رعبه حتى يتصبب عرقه ويرتعش جسده ، لم يكن كل ذلك نتيجة مرض عصبى . وإنما هى حال الرجل الذى يفاجأ برؤيا شىء لم يحسب له حسابا ولم ير مثله من قبل ولو كان يعلم أن هذا الملك سيظهر له ، أو أن الوحى سينزل عليه لوطد نفسه على عدم الخوف ، ولما ذهب إلى أهله خائفا يلتمس الغطاء والدثار ويخشى على نفسه الهلاك وهو الذى دأب على التحنث فى الغار من قبل وحيداً لا أنيس له فى النهار ولا مسكن لوحشته بالليل ، فلو كان محمد كاهنا أو عرافا لما انزعج قلبه

---

(١) كان أول اتصال لمحمد بالوحى عن طريق الرؤيا الصادقة التى تتحقق كانبلاج الصبح أى أن ما كان يراه بمنامه يتم على حقيقته فى اليقظة . ومثل هذه الرؤيا رآها يوسف عليه السلام وحكاها لوالده فنهاه عن روايتها لإخوته :

« إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين . قال يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً . . »

وقصة يوسف موجودة فى التوراة ويسلم بها اليهود والمسلمون وبذلك يؤمن هؤلاء بالرؤى كما يؤمن بها العلم الحديث .

(١) تعبيراً عن شدة الوحى وعدم طاقة محمد إياه فى أول الأمر قال تعالى « إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولما ارتعد خوفا من هذا الملك الذى تحادث معه ، ولكنها التجربة الجديدة التى لم تخطر له على بال هى التى أحدثت ظاهرة الخوف هذه ، ومن ناحية أخرى فإن الرجل الذى خلق دولة الإسلام من العدم ، لا يمكن أن يكون مصابا بمرض عصبى ، لأنه إن كان مصابا بهذا المرض وجب أن يكون هدفا لجميع أعراضه من شذوذ الأخلاق والحساسية المتطرفة والخفقان والهذيان ، ولم يؤثر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان مصابا بشىء من هذه الأعراض .

وقد كتب المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى ردا على مفتريات المستشرقين من أن محمداً كان يتصنع الوحى ما ننقله هنا

إذا كان محمد وهو هستيرى مريض فى رأيهم يوفق إلى مثل هذه الأمور الجسام ، حتى يغير سطح المعمورة من حال إلى حال ، مما لم تأت بمثله أقيال الفاتحين ولا كبار الملوك والسلاطين ، بل ولا أولو العزم من المرسلين فماذا كان صانعا لو كان رسولا حقا يرى الملك ويسمع منه الوحى ؟ .

ولو كان هذا حال رجل خيالى مريض شاذ الأخلاق ، وعرضة لجميع الأمراض التى ذكرناها ، أى من الصنف الذى إذا رأيته رحمته واستعذت بالله من حاله ، فماذا بقى للصادقين الكاملين وللأصحاء العاملين ، من الذين إذا رأيتهم افتخرت أن تكون واحدا من أشياعهم ؟ .

هل عهد أحد فى تاريخ الإنسانية أن المرضى المتوسين يصلحون لقيادة أنفسهم فضلا عن التصدى لقيادة الأمم وإيصالها إلى أوج لم تصل إليه أمة قبلها ولا بعدها ؟ .

الفرق بين الوحى والإلهام :

والآن ننتقل إلى نقطة هامة فى هذا الموضوع وهى البحث فيما إذا كان الوحى إلهاما يفيض من نفس الرسول الموحى إليه أم أن الوحى شىء جاء من عالم الغيب ؟

ثم كنا قد أقمنا الدليل العقلى على أن محمدا لم يبتدع القرآن وإنما هو كلام الله لفظا ومعنى ، كان لنا أن نستند إلى آيات القرآن لتدعيم نزول الوحى :

قال الله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه مايشاء إنه على حكيم » .

وقد قال الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فى رسالة التوحيد بعد تعريف الوحى لغة : « وقد عرفوه شرعا بأنه إعلام الله تعالى لنبى من أنبيائه بحكم شرعى ونحوه ، أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة ، والأول بصوت يتمثل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لسمعه أو بغير صوت ، ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام : وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى ، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور ، فالوحى revelation غير الإلهام inspiration إذ يتميز عنه بأن دليله خارجى عن النفس الموحى إليها ، فهو الكلام الذى يلقى فى قلب الرسول سواء من خلف الحجاب كما سمع موسى عليه السلام النداء من وراء الشجرة ، أو بواسطة ملك مرسل من عند الله فيراه الرسول متمثلا فى صورة بشرية أو غير متمثل ويسمعه منه أو يعيه بقلبه (١) .

وإذا أشهدنا القرآن وجدنا من آياته الكثير الذى هو دليل نزول الوحى على محمد ، فيقول الله تعالى :

« قل من كان عدوا لجبريل ، فإنه نزله على قلبك بإذن الله ، مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » (سورة البقرة آية ٩٧).

ويقول أيضا عز وجل :

« وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين » . (سورة الشعراء آية ١٩١ وما بعدها) .

ويقول سبحانه :

« ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده » .

« قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » (سورة النحل) .

* * *

ومن المفيد هنا أن نذكر أن بعض علماء الاستشراق قد اعترفوا بالوحى لمحمد . ومن هؤلاء إدوار مونتيه الذى قال فى مقدمة ترجمته للقرآن :

(كان محمد نبيا صادقا كما كان أنبياء بنى إسرائيل فى القديم ، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليه وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الألوهية متمكنين من أولئك الأنبياء أسلافه فتحدث فيه كما كانت تحدث فيهم ذلك الإلهام النفسى وهذا التضاعف فى الشخصية اللذين يحدثان فى العقل البشرى المرائى والتجليات والوحى والأحوال الروحية التى من بابها) .

أما اتهام المستشرقين للنبى عليه الصلاة والسلام بأنه كان يسخر إلهامه الداخلى لتحقيق أغراضه التى تنبو عن الطريق السوى ، فظاهر الفساد ، لأن الحادثة التى يحتجون بها وهى زواج النبى من زينب بنت جحش بعد طلاقها من زيد بن حارثة إنما كانت لغرض التشريع

---

(١) الالهام أو الوحى النفسى هو الإلهام الفائض من النفس العالية وهو ما حاول بعض المستشرقين إثباته للنبى محمد عليه الصلاة والسلام نفيا للوحى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إذ كان زيد هو ابن النبي بالتبني وكان العرب يحرمون امرأة المدعى كامرأة الابن الحقيق فأراد الله أن يقضي على هذه العادة فقضى بزواج زينب من النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال عز وجل : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا » .

ثالثا : تخلف المعجزات الحسية كدليل لنفي الإيحاء :

يعرض الأستاذ سويتمان Sweetman في كتابه (الإسلام واللاهوت المسيحي) [1] لمناقشة دارت بين الخليفة المهدي والبطريرك تيموثي Timothy حول مذهب التثليث في المسيحية وغير ذلك من الموضوعات الاعتقادية الهامة كصفات الله وموت المسيح عليه السلام والكتب المنزلة وغير ذلك . ويقول : إن الخليفة المهدي سأل البطريرك بقوله : (هل تصدق بأن القرآن كتاب منزل من عند الله على محمد ؟ » فيجيبه تيموثي بأنه لا يستطيع الإجابة عن هذا السؤال مباشرة وكأنه يستطيع أن يؤكد أن الكتب السماوية (الرسالات) أكدتها خوارق ومعجزات . فلما أراد الله أن ينسخ الشريعة الموسوية أكد ذلك بمعجزات عيسى ، وكان يجب لذلك أن يؤكد إلغاء الشريعة المسيحية (العهد الجديد) بمعجزات أخرى يأتي بها محمد لو أراد نسخ هذه الشريعة بالقرآن .

ومن الغريب أن الأستاذ سويتمان لم يورد ما قاله الخليفة المهدي ردا على البطريرك في ذلك .

والمسلمون يردون على هذه الحجة بقولهم: إنه رغم إتيان النبي محمد عليه الصلاة والسلام ببعض المعجزات الحسية كسألة نبع الماء من بين أصابعه ، وتسبيح الحجر في كفه وانشقاق القمر ، وسجود الجمل بين يديه ، إلا أنها لم يقصد منها أن تكون دليلا على رسالته بل كانت معجزته كتابا وبيانا .

والسبب في اختلاف معجزة النبي محمد عن معجزات من سبقه من الرسل ، أن المعجزات تختلف تبعا لاختلاف نوع الرسالة . فإذا كانت الرسالة محلية يقصد بها إقناع قوم معينين من الناس ، كانت أدلة الرسالة حسية مقصودا منها هداية هؤلاء القوم خاصة ، ففي وقت بعثة موسى عليه السلام كان السحر هو مقياس العظمة والجبروت وهو الذي يبعث النفوس على التصديق بمكانة الشخص . فكانت معجزة موسى هي السحر بأوسع معانيه من انقلاب العصاة إلى حية ابتلعت حبال السحرة الآخرين ، إلى انشقاق البحر ليتسع لعبور قومه هربا من فرعون .

في ذلك قال الله تعالى « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه » .

(١) القسم الأول من المجلد الأول طبعة ١٩٤٥ ص ٨٠ .

وفى زمن المسيح عليه السلام كان سبيله إلى محاربة الوثنية الطاغية آيات حسية أخرى كشفاء الأعمى والأبرص والأكمه وإحياء الموتى إلى غير ذلك من آيات عيسى .

أما إن كانت الرسالة قد قصد منها إلى أن تكون عامة للخلق جميعا كالإسلام وأن يختم الله بها رسالات الرسل ، فإنه يجب ألا تكون خارقة حسية تظهر فى عهد الرسول المبلغ لهذه الرسالة ثم تنقضى وتصبح فى خبر ماض بعد وفاته ، بل اقتضت حكمة الله عز وجل أن تكون معجزة خاتم الرسل باقية الأثر لا تزول بوفاته بل تبقى خالدة أبد الدهر ناطقة بالإعجاز ، معلنة التحدى على المنكرين مابقى أثر الوجود الإنسانى .

يقول الله تعالى فى عموم الرسالة الإسلامية :

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » .

« فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً . يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا » .

فالقرآن لم يأت إلا بعد أن اكتمل النمو العقلى فى البشرية وأصبح الإنسان قادرا على تفهم إعجاز اللفظ ، فكانت معجزة باقية تخاطب الأجيال جميعا ، والأمم جميعا لأن احترام العقل فى الإسلام هو كلية من الكليات : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

والقرآن يقدم نفسه بنفسه فى تحد ظاهر ، فيقول سبحانه وتعالى :

« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . ولقد صرفنا الناس فى هذا القرآن من كل مثل ، فأبى أكثر الناس إلا كفورا » .

وكان الله على علم بتكذيب الناس للقرآن فقال سبحانه :

« أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » .

* * *

هذه هى نظرية الإيحاء ألقيتها إليكم موجزة ومنها ترون مدى ما يصل إليه المستشرقون من إسفاف فى هجومهم على هذا الدين الحنيف الذى لم يتنق بعد من أبنائه إنصافا بالدفاع عنه أمام هذه المفتريات ، ولكنه لا يزال وسيظل أبدا شامخ البنيان يحفظه الله عز وجل إلى يوم الدين ، « يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

دكتور صلاح الدين عبد الوهاب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

طبيعة الشعر العربي

للدكتور عبد الله الطيب

— ٢ —

معنى الزحاف

هذا وقد يجيء الشاعر فى جزء الرجز بمقطع قصير فى مكان الضربة الثانية هكذا : —

* * *

مس ت علن

تم تم تم تم

* * *

وقد يجمع بين الذرعين هكذا : —

* * *

م ت علن

تم تم تم

* * *

وفى كل ذلك تجده يقدر فى نفسه سكنات بعد المقاطع . أو فجوات زمانية تحل المقاطع فى جوفها من غير إخلال بالتناسب . وهذا التقدير للسكنات والفجوات من جانب الشاعر هو الذى سماه الخليل وأصحابه بالزحاف . وعندى أن هذه حقيقة معناه . تأمل مثلا الأبيات السابقة من رجز دريد . فإنك تجده قال فى الشطر الثانى :

أخب فيها وأضع

وضربات هذا من حيث نسبها الزمنية هكذا :

أخ ب فى ها و أضع

تم تم تم تم تم تم تم تم

والألف والواو كما ترى حولها فجوات زمانية ، أو بعدها سكنات ، أى التعبيرين ساغ لك فذاك . وليس بعد أى اختلال فى حقيقة الوزن . وليس ثم اختلاف بين أصول نسب الزمانية فى هذا الشطر وبينها فى الشطرين : —

يا ليتنى فيها جذع

أقود وطفاء الزمع

ولا ريب أن التقطيع العروضى بالمقاطع أو بالأجزاء الخليلية يظهر شيئا كأنه خلل وليس به .

وفى اصطلاح العروضيين لفظ الزحاف ما يشعر بأنهم رأوه من قرى الخلل . إذ أصل الزحاف من زحف البعير إذا أعيا فجر قرسنه . فكأن الشاعر عندهم أصابه إعياء فجر قرسن كلامه جرا ليكمل التفعيلة (١) . وأحسب

(١) على أن هذا الوصف نفسه لا يخلو من إدراك عميق لحقيقة الزحاف للموسيقية من جانبهم إذ كأنهم فطنوا إلى أن النغمة فى ذات نفسها تامة وأن تلك المقاطع زائدة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنهم أرادوا هذا الاصطلاح أول الأمر لأمثال قول الأخطل :—

مفترش كافتراش الليث كلكله
لوقعه كائن فيها له جزر

وقول امرئ القيس :—

ألا رب يوم لك منهن صالح
ولا سيما يوم بدارة جلجل

ثم اضطروا إلى إطلاقه على غيره مما يشبه من مخالفة المقاطع للتفعيلات ، الذى لا يظهر أمره لإذن العروض ، كالذى يقع من الإضمار فى الكامل ، وشاهد العروضيين كما تعلم :—

وإذا سكرت فإننى مستهلك
مالى وعرضى وافر لم يكلم

وعندى أن نحو (مفترش) و (ألا رب يوم لك منهن) ليسا بأبعد من صحة النسبة الزمنية من (أخب فيها وأضع) كل ما هناك أن السكتة بعد التاء من « مفترش » أدخل فى حاق السكتة الموسيقية وأقعد فى ذلك من أن يلوكها إخراج الكلام .

وقد كان القدماء من الشعراء يعرفون هذا ويدركون صحته وتلذهم حلاوته ؛ إذ التعبير الموسيقى قد كان من ضمن تعبيرهم الشعرى . أما المحدثون فقد بعدوا شيئا من الفطرة العربية ؛ إذ صار أمر الصناعة التى يدركها الحس اللامس والناظر أسرع إلى إعجابهم ، وكان الإحكام بملء كل فجوة فى التفاعيل ، مما يجرى مجرى الصناعة المرئية الملموسة فراموه ، وبقى قليلون من أهل الذوق الأصيل يطلبون السر الكمين فى موسيقا التفاعيل ، كطلبهم الكمال الإيقاع المقطعى . من هؤلاء أبو تمام وأبو عبادة البحترى على حذر منهم وتقية إزاء الذوق الذى كان يعاصرهم وقد كان أبو تمام أعمد إلى أن يزاحف فيما يجىء به . إلا أن البحترى كان أخبر بحيث ينبغى أن يقع ، وقد كان المتنبى يعرض عن ظاهر الزحاف إلا الخرم ، وعسى أن يكون من أسباب ذلك أنه كان رجلا محاربا تلتمس فى أشعاره السقطات ، فكان لا يألوا تجويدا على أنى أرجح : أنه كان أميل بطبعه إلى الاندفاع والإقدام فهذا ما كان يحول بينه وبين السكتات الطوال ، وعسى أن يكون مذهبه فى الخرم من دلائل إقدامه واندفاعه كقوله :

لا يحزن الله الأمير فإننى
سآخذ من حالاته بنصيب

ويبدو لى أيضا أنه قد استبدل ما يكون من سكتات الأوائل بالاختلاس وهذا قد كان يقع فى أشعارهم كالذى رواه سيبويه من قولهم (١) :

له رجل كأنه صوت حاد
إذا طلب الموسيقة أو زمير

ومن قولهم :

وأيقن أن الخيل إن تلتبس به
يكن لمسيل النخل بعده أبر

(١) الكتاب بولاق ١ / ١١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

معنى الاختلاس :

والاختلاس كالزحاف سواء بسواء .

وأعجب للعروضيين ، إذ لم يذكروه فى باب الوزن ولعلهم اكتفوا بذكر النحويين له فى باب إشباع الضمائر كالذى مر بك من استشهاد سيبويه . ولا ريب أن الاختلاس مذهب موسيقى صادق التعبير عن نفس المثنى الساخن الجارف ـ وإقدامه عليه ـ وكان معاصروه أشد له عيبا منها لكثير من أصناف الزحاف ـ مما يدلك على أصالة الرجل فى موسيقا الشعر العربى وصدق فطرته وفنه . تأمل مثلا قوله :

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر
فزعت فيه بآمالى إلى الكذب
تعثرت به الأفواه ألسنها
والبرد فى الطرق والأقلام فى الكتب

وقد جمع فى قوله (تعثرت به) زحافا خفيا مع الاختلاس كما ترى . وهذا فى قصيدة مما احتفل له وهو ناضج يعرف كيف يقول ، فلا يسبقن إليك أنه قد زل[1] وقد روى أنه كان ربما أنشد « تعثرت بك »[2] فأحسبه إن فعل ذلك إنما كان يلتمس ، ألا يحرج بالسؤال من بعض من قد ينفس عليه وهذا من باب التفية اللازمة أحيانا ، وبين قوله (تعثرت به) و (تعثرت بك) بون بعيد ، ومكان الجودة من الأولى لا يخفى .

هذا وتأمل اختلاسه فى قوله :

ولا إلا بأن يصغى وأحكى
فليته لا يتيمه هواكا

هذه هى الرواية الجيدة المشهورة ، وروى « فليتك » وهى متهافتة . وهذه القصيدة آخر ما نظمه المتنبى وهى من عيون شعره .

وحقيقة الاختلاس هى تحويل الضربة التامة إلى ثنائين متلاحقتين ومن هنا كان كأنه عكر للزحاف ، إذ هذا يعوض إيقاع المقطع بالسكوت ، وأقول (كأنه) لأن هذا مجرد تقريب وتمثيل ، ولزيادة الإيضاح

(١) قد يكون الاختلاس أحيانا من الزلل وضعف الملكة بلا ريب كالذى يقع كثيرا فى شعر الشريف محمود قباد والتونسى كقوله (ديوانه ، طبع تونس ، رقم ٤ / ٣١ بمكتبة العطارين بتونس ص ١٧ س ٥) :

وامتر من أهرام مصر قواعد
وابتز من ديوان كسرى بناء

والاختلاس فى ألف كسرى ، وكقوله (ص ١٢ س ١٥) :

يغنيه خوفه أن تنال يوفه
لكنها أغمادها الأحشاء

وقوله : — (ص ١٨) :

ويكاد رأيه أن يبارى رؤية
فتلوح قبل وجودها الأشياء

وقوله : (ص ٢٠)

فكان فى حلم الأمير وصفحه
ردع يظنه مثلكم إغراء

ورفع الهمزة هنا مشكل إلا أن يكون اتباعا على الحكاية فى ردع وهو بعيد وقل أن يوثق قباد من جهة النحو . فيرجع إلى ديوانه ، فعسى أن يكون هذا البيت من همزية منصوبة إذ عسى أن تكون مقيدة ، والله أعلم .

(٢) ديوان المتنبى تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام ، مصر ١٩٤٤ ص ٤٢٣ — هامش ٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أضرب لك مثلا ما رووه من قول المتنبي (فليتك لا) وهذا جار على ترك الاختلاس وعلى جزء الوافر (مفاعلتن) وما هو مشهور من قوله (فليته لا) وهو جار على الاختلاس وجار أيضا على جزء الوافر (مفاعلتن) ، فالأول بيانه عندنا شيء من هذا القبيل :

مفا ع ل تن
فليـ ت ك لا
تم تم تم تم

والثاني هكذا :

مفا ع ل تن
فـ لى تكلا
تم تم (تم) (تم تم) معا

وهذا البيان تقريب وواضح منه ما نرمي إليه ، إذ قد راث الشاعر في ضرباته الأوليات وجعل الأخيرة ثنتين متلاحقتين أو كالثنتين المتلاحقتين .

رأي المعري :

هذا الذي ذكرناه من أمر الزحاف والاختلاس من أنهما من عنصر الموسيقا الشعرية نفسه وليسا بعيب يحسن تجنبه كما رأى أكثر المحدثين وقد تنبه أبو العلاء المعري إلى جانب كبير منه في وقفته مع أمرئ القيس في رسالة الغفران إذ قال :

« فيقول ، لا برح منطقيا بالحكم فأخبرني عن كلمتك الصادية والضادية والنونية التي أولها :

لمن طلل أبصرته فشجاني
كخط زبور في عسيب يماني

لقد جئت فيها بأشياء ينكرها السمع كقولك :

فان أمس مكروبا فيارب غارة
شهدت على أقب رخو اللبان

وكذلك قولك في الكلمة الصادية :

على نفنق هيق له ولعروسه
بمنعرج الوعساء بين رصيص

وقولك :

فأسقى به أختى إذ نأت
وإذ بعد المزدار غير القريض

في أشباه لذلك ، هل كانت غرائزكم لا تحس بهذه الزيادة ؟ أم كنتم مطبوعين على إتيان مغامض الكلام وأنتم عالمون بما يقع فيه ؟ كما أنه لا ريب أن زهيرا كان يعرف مكان الزحاف في قوله :

يطلب شأو امرأين قدما حسنا
نالا الملوك وبذا هذه السوقا

فان الغرائز تحس بهذه المواضع فتبارك الله أحسن الخالقين .

فيقول امرؤ القيس : أدركنا الأولين من العرب لا يحفلون بمجيء ذلك ولا أدري ماشجن عنه . فأما أنا وطبقتي فكنا نمر في البيت حتى نأتي إلى آخره . فاذا فني أو قارب تبين أمره السامع .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيقول ثبت الله تعالى الإحسان عليه . أخبرنى عن قولك :

ألا رب يوم لك منهن صالح
ولا سيما يوم بدارة جلجل

أتنشده (لك منهن صالح) فتزاحف الكف ؟ أم تنشده على الرواية الأخرى ؟ فأما يوم فيجوز فيه النصب والخفض والرفع . فأما النصب فعلى ما يجب للمفعول من الظروف والفاعل فى الظرف ههنا فعل مضمر . وأما الرفع فعلى أن تجعل (ما) كافة ، وما الكافة عند بعض البصريين نكرة ، وإذا كان الأمر كذلك (فهو) بعدها مضمر ، وإذا خفض يوم فما من الزيادات ويشدد سى ويخفف . فأما التشديد فهو اللغة العالية وبعض الناس يخفف ويقال إن الفرزدق مر وهو سكران على كلاب مجتمعة فسلم عليها فلما لم يسمع الجواب أنشأ يقول :

فما رد السلام شيوخ قوم
مررت بهم على سكك البريد
ولا سيما الذى كانت عليه
قطيفة أرجوان فى القعود

فيقول امرؤ القيس : أما أنا فما قلت إلا بزحاف : (لك منهن صالح) وأما المعلون فى الإسلام فغيروه على حسب ما يريدون ولا بأس بالوجه الذى اختاروه اهـ (١) .

وجلى من هذه المقالة أن المعرى كان يرى نحوا من هذا الذى نقول به من أن أوزان الشعر إنما هى نسب زمنية وضربات موسيقية فمتى وقع عند الشاعر أنها استقامت له ، فلا بأس عليه أن يختلس المقطع أو يريث به فى داخل ما اختاره من قوالب الوزن والأبيات التى ذكرها المعرى من شعر امرئ القيس مما يوضح هذا أجل توضيح ... خذ مثلا قوله : —

شهدت على أقب رخو الليان

فهنا فى أجزائه الثلاثة الأول ألوان من الزحف والخطف . إذ بعد (شهدت) سكنة يسيرة فى الهمزة من (أقب) سكنة تكاد تختفى فى المد والتسهيل . وفى اللام الساكنة من « أقب إلخ » اختلاسة راقصة ، سببها إتمام الجزء الثالث إتماما مقطعيا ، والذى يجرى عليه الشعراء مزاحفته بالقبض هكذا (رخو لبان) . ولابد ههنا من التنبيه على أن قلقلة (اللام) مما يفسد سياق الموسيقا فى هذا البيت ، وكثيرا ما يقلقها المعاصرون ، وهى حرف هين لين ، والقلقلة تحدث فيه سكنة يزيد بها حجم النغم .

هذا وقول المعرى فى آخر حديثه : — «فيقول امرؤ القيس أما فما قلت إلا بزحاف» هو النص الذى أردنا إليه من سياق الحديث

(١) رسالة الغفران للمعرى تحقيق بنت الشاطئ ، دار المعارف مصر ـ ١٩٥٠ ص ٣٠٧ ـ ٣١٠ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفى خزانة الأدب رأى عمى صاحبه أن يكون نظر فيه إلى مقالة المعرى هذه (١) .

ضربات الوزن

لعله الآن قد وضح مرادنا من القول بأن الوزن يدور على نسب وضربات لا على مجرد تفعيلات مقطعية ، وما ذكرناه بمعرض التبيين عن ألوان الزحاف الظاهر ، والتى حسبها المحدثون خللا وليست به ، مما يساعد على إبراز هذا المعنى

والآن نلفت القارئ إلى ألوان الزحاف الخفى والعلل مما تقبله المحدثون ولم يعيبوه بأنه تنبو عنه الآذان كالذى تمثلنا به من قول دريد : —

أخب فيها وأضع

وكالذى فى بيت عنترة : —

وإذا سكرت فإننى مستهلك
مالى وعرضى وافر لم يكلم

فالذى نراه أن هـذه الزحافات الخفية فى (مستهلك إلخ) وفى (أخب) لم تنشأ عن عجز الشاعرين أن يوردا المقاطع التى تطابق ضربات ما أخذا فيه من وزن اعتماداعلى خفاء هذا العجز عن أذن السامع . كلا ولكننا نرى أن طبيعة الصياغةالشعرية عندهما هى التى اقتضتهما أن يفعلا ما فعلاه . وكذلك يفعل كل شاعر . إذ لا تجد شاعرا يجرى ضربات وزنه مطابقة كل المطابقة لضربات التفعيلات النموذجية ، وإنما يغير وينوع . فيطيل حينا ويقصر حينا . والعروضى قد يعتذر له عن ذلك بأنه غير ناب عن الأذن وإن يك زحافا . والعروضى يخطئ فى هذا الاعتذار ، إذ قد غاب عنه أن الشاعر إنما أراد ليسر الأذن لا مجرد ألا ينبو وزنه عنها . لا بل إنما أراد أن يستغل مادة الوزن النغمية فى البحر الذى هو بصدده أتم استغلال ويستخرج خبء أسرارها ليعبر به عن جانب هام من معانيه. ذلك بأن معانى الشاعر لا تحتمل كلها فى نفسه ليكون تعبيرها من طريق اللفظ المبين ، ولكن جانبا كبيرا منها يروم أن يكون تعبيره من طريق النغم والرنين . والزحاف من أكبر ما يستعين به الشاعر فى هذا الباب .

---

(١) أحسبه فى أوائل الجزء الأول وند عنى موضعه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحركات والسكنات والحروف :

على أن سكنات الزحاف وخلجات الاختلاس وضربات الوزن ، كل ذلك لا يتضح اتضاحا موسيقيا حقا إلا مع الحركات والسكنات وضروب اللين والإشباع والمد والشد والإمالة والإشمام والمخارج التي تخرج بها الحروف . ولا يسبقن إلى وهمك أن تربط هذا بكلمات الشاعر من حيث هي أدوات البيان المحض ، ونعني بالبيان المحض مدلول تقول الظاهر فإن لهذه جميعها قوة تعبير نغمية ، أدخل في حاق الوزن منها في الصياغة البيانية مع أن الكلمات نفسها أدخل في حاق الصياغة البيانية منها في الوزن . ولأمر ما اختلفت رنات الشعراء في البحر الواحد اختلافا جسيما . هذا الفرزدق مثلا ، شاعر فحل مبين ، قدير على ضبط الوزن وتنويع زحافه . ولكنه مع ذلك دون صاحبه جرير في قوة الرنين وإيحائيته . وكذلك تجد إذا وازنت ابن الرومي بالبحتري والشريف الرضي بأبي الطيب المتنبي .

وإذا تأملنا قول جرير مثلا :—

دعوتك واليمامة دون أهلي
ولولا البعد أسمعك المنادى
على علياء ترفع نار خير
وتقدح بالوري من الزناد
إذا ما خفت رد إلى نفسي
وصار إلى مساكنه فؤادي

لم نجده زاد في التنويع الزحافي على (مفاعيلن) في أول العروض أو الضرب .

ومع ذلك نحس في أبياته هذه طربا شديداً ورنينا عظيما ومع هذا الرنين إيحاء وجدانيا يصل إلى سويداء القلب ولا ريب أن هذا منشؤه من الصياغة الموسيقية التي التزمها الشاعر ، حيث أعطى كل ضربة من ضربات تفعيلاته ألوانا تناسب معاني نفسه من الحركة والسكون واللين والمد والإشباع وأصوات الحروف . وإنما تجيء أصوات الحروف بعد ما قدمناه . ومتى صار الشاعر إليها فقد دنا من الكلمات والبيان اللفظي المحض .

ولا أكاد أرتاب أن الشاعر ربما جاش المعنى في نفسه بشيء من هذا القرى أول الأمر :—

تتم ت ت تم تـ
تا تتنـــا تتم تم
ت تو تو توتتت تم
تم تتم تم
دعوتك تا دعوتك
تا دعوتي
ولولا ذاك قد علم المنادى
دعوتك والفراشة فوق عيني
دعوتك والنهائم فوق عيني
دعوتك والمفاوز بين قومي
دعوتك والمفاوز دون أهلي
دعوتك واليمامة دون أهلي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ترم تم تم لأسمعك المنادى
ولولا البعد أسمعك المنادى

وهذا مجرد تمثيل كما ترى .

والحديث عن الحركات واللين والإشباع يؤدى بنا إلى الحديث عن القافية لا محالة . ذلك بأن الحركات تنزل من ضربات الوزن منزلة الحدة والارتفاع والانخفاض فى الضربة الموسيقية، والمخرج ينزل منزل الصوت الذى تؤدى به الضربة . والقافية فى الوزن العربى إن هى إلا رمز جامع بين عمل الحركة وعمل المخرج وضربة الوزن .

القافية :

الذى عندى ، أن الشاعر العربى إنما عمد إلى القافية فقرنها بالوزن ليضفى عليه صبغا نغميا متى اصطبغ الوزن به صار أكثر تهيؤا لأداء ما يختلج فى صدره من معان . وإن جاز لنا أن نشبه أبعاد الوزن ونسبه الزمانية برنات متناسبة ، فإن موقع القافية من هذه الرنات شبيه بموقع الكشافة من رنات الموسيقا ، مثلا الشدة التى تشد عليها أوتار العود فى قطعة ما . وللزيادة فى توضيح هذا المعنى نضرب لك أمثالا أخرى ، خذ دقات الطبل ودقات القدم على الأرض ، والنقر على النحاس ، والنقر على قرع مكفأ على وجه الماء . والصفير المتلاحق على هيئة دقات . كل أولئك لهن طبائع صوتية متباينة ، أو قل لهن كثافات صوتية متباينة . وإذا فرضنا الشبه الزمنى الكامل فى جميع هذه الدقات فإن الوزن المجرد المبنى عليه التناسب الزمنى فيهن جميعا واحد ، وليس فيه أدنى تفاوت . وهذا التناسب الزمنى المجرد أشبه شىء بأعاريض الشعر المكامنة وراء أرزام الشاعر .

والطبائع الصوتية المختلفة الناشئة من دق القدم ، ودق الطبل ، ونقر النحاس ونقر القرع وهلم جرا ، أشبه شىء بالطبائع النغمية التى تضفيها القوافى على الأوزان . ولقد ألمعنا إلى شىء من هذا المعنى فى مقدمة المرشد الأول إذ تحدثنا عن ألوان القوافى وضربنا لها أمثالا من ألوان الشعر (١) . وقد أخطأ قدامة حيث زعم أن القافية شىء زائد على الوزن لأنها كما قال كلمة تزاد عند مقاطع البيت ليست لها ذات قائمة بنفسها . وقد بينا هذا من خطئه فى الجزء الثانى من المرشد فليرجع إليه (٢) .

طور التنويع :

ولا أكاد أشك أن الشاعر العربى كان أول أمره ينوع القوافى . ولعل هذا أن يستفاد من مقال ابن سلام إن أوائل العرب كانت

(١) راجع المرشد ١ ـ ص ٤٠ ـ ٧٣ .
(٢) المرشد ٢ ٤٣ ـ ٤٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تصنع البيت والأبيات فيما يعن لهـا من حوادث (١) . وأحسب أنا أن الشاعر القديم ربما كان ينشد بيتاً أو بيتين من روى واحد . ثم يسكت وينشد آخرين من روى آخر . .

ولعل الشعراء أول اهتدائهم للوزن قد كانوا ينوعونه أو يخلطون أصنافاً منه . ثم استقـام لهم طريق العروض من بعد ، وأحسب نحو قول القائل : —

الشيخ شيخ تكلان
والورد ورد عجلان
أنعى إليك مرة بن سفيان

ربما صح أن يستشهد به فى هذا الموضع لاختلاف أعاريضه . وإن يك كله من بحر الرجز (٢) وقد عثرت على أبيات أخرى تشبه هذه ند عنى الآن موضعها ولعلها فى سيرة ابن هشام . ومما يجرى هذا المجرى من أراجيز السيرة ما رواه ابن إسحق من ارتجاز نساء هوازن بعد حنين (٣) : —

قد غلبت خيل الله خيل اللات
وخيـله أحق بالثبـات

وفى السيرة بعض أشعار كثيرة مضطربة الأوزان مما أرى أنها كانت من قبيل الغناء الشعبى . وابن هشام يعلق على أكثرها بقوله وهذا سجع لا شعر . وربما روى ما يستقيم به وزنها من بعد .

هذا وكثير مما بلغنا من الأراجيز التى كان يتناشدها الأبطال عند المناجزة (أو ينسب إليهم إنشادها فى معرض القصص) مما يجوز به الاستشهاد ههنا إذ منهجها يقوى هذا الذى نذهب إليه من أن القـوم كانوا ينوعون قوافيهم قبل أن يصلوا إلى توحيدها . خذ مثلا قول ابنة عتبة يوم أحد : —

وبها بنى عبد الدار وبها حماة الأدبار
ضربا بكل بتـار
نحن بنات طارق إن تقبلوا نعانق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

(وقد سبق منا الاستشهاد بهذه الأبيات فى المرشد (١) ومما يجرى مجراها ما كانت تتسـاب به الفتيات فى ملاعبهن . تلقى إحداهن رويا تمـدح به أباها وتنسب أبا قرينتها ، وتجيبها الأخرى بنحو من ذلك . من ذلك ما رواه صاحب الحماسة من قـول إحدى الجوارى (٢) : —

سبى أبى ، سبك لن يضيره
إن معـى قوافيـا كثيرة
ينفح منها المسك والذريرة

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٢٣ دار المعارف تحقيق العلامة محمود محمد شاكر .
(٢) المرشد ١ ـ ٩٦ .
(٣) السيرة ٤ ـ ٧٩ .

(١) المرشد ١ ـ ١٠ .
(٢) الحماسة ، مصر ١٣٣٥هـ ـ ٢٠ ـ ٣٧٧ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والذريرة طيب يعمل من الصندل المدقوق وهي معروفة عندنا في السودان ، وقول الأخرى : —

يا رب من عادى أبي فعاده
وارم بسهمين على فؤاده
واجعل حمام نفسه في زاده

وأذكر على سبيل الاستطراد أن هذا اللون من نساب الفتيات معروف عندنا في قرى السودان منه مثلا قول إحداهن : —

أبوي أنا
الراكب الحرا
المحجلة
وأبوك أنت
الراكب الكديس
يمشي وينيص
والكديس هو القط في عاميتنا

هذا ولا يبعد أن كانت العرب تذهب بأناشيد الأعراس إلى شيء من التنويع والتسميط ، بدليل اعتمادها الأوزان القصار كالذي يروى عن الجرادتين : —

أقفر من أهله مصيف
فبطن مكة فالعريف
هل تبلغن ديار قومي
مهرية سيرها دفيف
يا أم نعمان تولينا
قد ينفع النائل الطفيف

وقد روى المعري في رسالة الغفران بيتين من قصير المتقارب ، مما كانت تتغنى به الجواري في الأعراس ، لا يكاد يشك الناقد أنهما بقية من أسماك تشبههما ، وهما : —

وأهدى لنا أكبشا
تبحبح في المربد
وزوجك في النادي
ويعلم ما في غد

ولا يخفى أن نحو هذا إنما كان يراد به محض الترنم ، لتباعد أطراف معانيه ، وأحسب أن هذين البيتين خلصا إلينا لارتباطهما ببعض ماجاء في الحديث ، إذ هما مذكوران في حديث الربيع بنت معوذ بن عفراء ، وفيه أن الجواري أنشدن ، وفينا نبي يعلم ما في غد ، فنهاهن صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يعلم الغيب إلا الله . على أنه صلى الله عليه وسلم لم ينههن عن الغناء نفسه . والله تعالى أعلم . وحديث الربيع مما رواه البخاري رضي الله عنه .

هذا وشواهد الإيطاء والإقواء وتقارب المخارج نحو : —

بني أن البر شيء هين
المنطق اللين والتعيم

كلها مما يقوى حجتنا في أن أمر القوافي لم يبدأ محكما . ولعل أكثر الأنماط الشعبية لم تكن تلتزم الإحكام أو تعمد إليه . وفي فواصل القرآن ما ينبئنا أن تشابه الوزن

(البقية على صفحة ١٠٧٩)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والعجب عندى كل العجب كيف ذهبت كل هذه الأغلاط عن أعضاء اللجنة التى ناقشت هذا الكتاب ومنحت مؤلفه الدكتوراه ؟!

إن الكتاب ـ فى جملته جيد ، ولكن كان ينبغى أن تتنبه اللجنة لمثل هذه الأخطاء. وبذلك يسلم الكتاب ويصفو .

ثم إن أبا هلال العسكرى استدل على غلط قدامة بدليل هو أقرب إلى القواعد العلمية مما ذكره مؤلف قدامة ، فقد قال : لا نرى فى شعر زهير شيئاً من هذا الجنس ، ويوجد فى أكثر شعر الفحول نحو ما نفاه عنه عمر رضى الله عنه .

وأيا ما كان فذكر المعاظلة فى قول سيدنا عمر يشير فى رأى أكثر النقاد والبلاغيين إلى عيب لفظى نجا منه شعر زهير .

على العمارى

(بقية المنشور على صفحة ١٠٧٩)

والجرس وتقارب المخرج ربما نزل منزلة الروى كالذى فى سورة الطور مثلا : ـــ « والطور وكتاب مسطور . فى رق منشور . والبيت المعمور . والسقف المرفوع » وكالذى فى سورة ق : ـــ « قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد . قال لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد . ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد . يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد . وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد . هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب . ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد . وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا فى البلاد هل من محيص » وقبل هذا ـ « ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد . مناع للخير معتد مريب . الذى جعل مع الله إلها آخر فألقياه فى العذاب الشديد » وفى سورة الإنسان نجد فواصل من أمثال « كان مزاجها سلسبيلا » « كان مزاجها كافورا » « قواريرا ، قواريرا » « جزاء ولا شكورا » « وذللت قطوفها تذليلا » .

ثم إن الشعراء أحكمت القوافى كما أحكمت الوزن بعد طول تدرج ، والتمست وحدة الروى فيما تحتفل له من كلام ، وهذا مدلول قول ابن سلام الذى ذكرناه آنفاً حيث قال : إن القصيد إنما قصد على عهد هاشم وعبد المطلب ابن هاشم .

الدكتور عبد العظيم الطيب

(البحث بقية)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مع البلاغيين :

اللفظ والمعنى

للأستاذ على العمارى

— ٢ —

لم تدون هذه المسألة علمياً قبل القرن الثالث ، ويغلب على الظن أن الجاحظ أول من دونها ، ولكن النقاد منذ العصر الجاهلى كانوا يتجهون فى نقدهم الشعر أو النثر إلى الألفاظ أو إلى المعانى ، وهما بابان واسعان يدخل تحتهما أنواع توجه إليها كلها النقد ، وقد عدد عبد العزيز بن على الجرجانى صاحب كتاب الوساطة بين المتنبى وخصومه بعض هذه الأنواع . فقال وهو يتحدث عن أغاليط الشعر « ودونك هذه الدواوين فى الجاهلية والإسلام هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح إما فى لفظه ونظمه ، أو ترتيبه ، أو تقسيمه أو معناه ، أو إعرابه » . ثم ذكر فى موضع آخر بعض المآخذ التى لاحظها النقاد على الشعراء مثل الإحالة وفساد المعنى ، ومثل اللحن والغلط .

ونسوق — هنا — أمثلة لمآخذ النقاد على الشعراء فيما يتعلق بالألفاظ :

من ذلك ما حدث للنابغة الذبيانى ، فقد كان يقوى فى شعره ، فدخل المدينة وأهل الحجاز يعجبون به ويقدمونه ، فلم يجرءوا لهيبته فى نفوسهم أن يبدهوه ، ويبينوا له موضع العيب فى شعره فدسوا له قينة تغنيه بشعره فى المتجردة ، وفيه الإقواء — وهو اختلاف حركة الروى — فلما بلغت قوله :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا
وبذاك خبرنا الغراب الأسود

أطالت مدة الدال ، والقوافى كلها مكسورة ، وكانت حين أنشدت أحد الأبيات السابقة لهذا مدت الدال مخفوضة ، وامتد بها الصوت منخفضا فتبين له عيب شعره فكان يقول : « وردت يثرب وفى شعرى بعض العهدة فصدرت وأنا أشعر العرب » .

وفى رواية أنهم قالوا له قد أقويت ، وأفهموه فلم يفهم ، فجاءوه بمغنية تغنيه (من آل مية) وتبين له الياء فى القوافى المكسورة والضمة فى القوافى المضمومة .

ومعنى هذا أن أهل يثرب فى ذلك التاريخ كانوا يعرفون بعض المصطلحات العروضية التى دونها الخليل بن أحمد فيما بعد ، ولا غرابة فى ذلك ولا بعد .

ولما سمع عبد الملك بن مروان — وكان

ناقدا ذواقة للشعر - قصيدة عبد الله بن قيس الرقيات التي يقول فيها :

إن الحوادث بالمدينة قد
أوجعنني وقرعن مروتيه
وجبينى جب السنام ولم
يتركن ريشا فى مقاديمه

قال : أحسنت لولا أنك خنثت فى قوافيك، فعبد الملك لم تعجبه هذه القوافى المتمنعة فى الليونة وكان يفضل عليها قوافى متماسكة ، ولا يشفع له ما ذكره من أنه ما عدا كتاب الله « ما أغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانيه » ذلك أن (الفرق جسيم بين أواخر هذه الفواصل فى النغم والروح ، وبين قوافى ابن الرقيات ، وهو وإن أراد أن يحتذى القرآن إلا أنه لم يكن موفقا فى ذلك الاحتذاء) [1] .

ولا شك أن نقد عبد الملك هذا يتصل بالألفاظ لا بالمعانى فلو أن الشاعر قال : (وقر عن مروتى) و (فى مناكبى) لم يتوجه النقد إلى هذه القوافى ، فاللين إنما جاءها من الإضافة إلى ضمير الغائب ، وهو شىء يحسه الذوق .

وهذا التخنث فى الألفاظ غير التخنث فى المعانى التى تدل عليها بعض الألفاظ ، فقد يكون اللفظ فى نفسه قويا ولكن دورانه فى مجالات خاصة يضفى عليه لونا من الظلال يجعله خنثا .

ومن أمثلة ذلك ما وقع من نقد فى شعر للأعشى والنابغة فقد تناظر ربعى ومضرى فقال المضرى للربعى : شاعركم - يريد الأعشى - أخنث الناس حين يقول :

قالت هريرة لما جئت زائرها
ويلى عليك ويلى منك يا رجل

فقال الربعى : أفعل صاحبكم - يريد النابغة - تعول حيث يقول :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه
فتناولته واتقتنا باليد

لا ، والله ، ما أحسن هذه الإشارة إلا مخنث .

(وعندنا أن بيت النابغة ألطف فى هذا المعنى ، فإنه تناول إشارة وحركة يصحبها فى الغالب كلام من كلام النساء فى مثل هذه الأحوال ، أما الأعشى فذكر « ويلا » وكلاما تفعله مواجن النساء ، وقد لا يتصل بهذا النوع المحبوب فى المرأة من الحياء والخفر ، ولا يزال دل الفعل ، وحركات الجوارح أعشق للمتغزلين من خنث الكلام [2]) .

وربما حق لنا أن نقول إن النابغة لم يزد على أن وصف مشهدا رآه ، وهذه حركات كثيرا ما تقع من النساء المحجبات حين يسقط عنهن الخمار وهن مرغمات ، فكان من دقة الوصف أن يذكر النابغة هذا المشهد ،

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٣٦ للمرحوم طه ابراهيم .

(١) الأدب العربى وتاريخه ص ٢٣٠ لأستاذنا المرحوم محمد هاشم عطيه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وليس من الحتم أن يكون وقع من امرأة ماجنة ، وإذا صح أن القصيدة التى منها هذا البيت قيلت حقاً فى وصف امرأة النعمان وهى متجردة كما أراده النعمان على ذلك كان للنابغة عذره فى تسجيل هـــذا المشهد ، أما الأعشى فكان فى حل من ترك هذه الألفاظ التى يتماجن بها النساء .

ومن نقدهم للفظ وصف أبى عمرو بن العلاء لشعر لبيد بأنه (رحى بزر) يريد أنه خشن لا يستحليه السمع .

وربما كان منه قول جرير بن الخطفى فى شعر ذى الرمة : (نقط عروس ، وأبعار ظباء) وقد فسر ذلك الأصمعى فقال : شعر ذى الرمة حلو أول ما تسمعه فإذا كثر إنشاده ضعف ولم يكن له حسن لأن أبعار الظباء أول ما تشم يوجد لها رائحة ما أكلت من الشيح والقيصوم والنبت الطيب الريح فإذا أدمن شمه ذهبت تلك الرائحة و نقط العروس إذا غسلتها ذهبت ، أو كما قال المبرد : إنما تبقى أول يوم ثم تذهب .

وعلى كثرة ما دارت هذه الكلمة على ألسنة الرواة لم يبينوا لنا هل هذه الصفة فى شعر ذى الرمة راجعة إلى الألفاظ التى تخدع ببريقها أول ما تلمس الأذن ثم تذهب روعتها إذا أعيد إنشادها ، أو إلى المعانى التى تبدو لأول وهلة رائعة فإذا تأملها المتلقى لم يجد لها من الروعة ما وجد لأول مرة .

ولكن اتفقوا على أن ذا الرمة كان يجيد التشبيه حتى قال بعضهم إنه لا يحسن غير التشبيه فهل أراد جرير أن تشبيهات ذى الرمة تبدو رائعة ، فإذا فتش عما وراءها لم يكن شىء فالنقد حينئذ يتصل بالمعانى .

كما أن ذا الرمة كان يكثر من الغريب فى شعره فيبدو عند إنشاده أول مرة سامقا رائعا فإذا تأمله السامع لم يجد وراءه كبير معنى ، وهو نقد كذلك يتصل بالمعانى .

ويبدو أن ذا الرمة ، كان صاحب طريقة جديدة فى وصف الصحراء والكائنات التى فيها ســـواء كانت كائنات ناطقة أم كائنات صامتة فلم يرق هذا النحو من القول لشعراء عصره ولا لرواته ، ولذلك نجدهم لا يعدونه فى الفحول ، وحين يسأل ذو الرمة الفرزدق عن ذلك يجيبه بأن الذى منعه أن يعد فى الفحول صفة الصحارى وأبعار الإبل ، ومرة أخرى يجيبه حين يسأله : مالى لا ألحق بكم معاشر الفحول ؟ فيقول الفرزدق : لتجافيك عن المدح والهجاء واقتصارك على الرسوم والديار.

ومن هنا ـ فيما أعتقد ـ جاء حكم الأصمعى بأن شعر ذى الرمة لا يشبه شعر العرب ، وقد ظلموا ـ والله ـ الرجل !

ومن نقدهم للمعانى ما ورد فى حكومة (أم جندب) بين امرئ القيس وعلقمة الفحل ، وذلك إن امرأ القيس لما نزل فى طيء تزوج امرأة منهم يقال لها (أم جندب) وكان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مفركا تبغضه النساء فكرهته زوجه هذه ، ثم أتاه علقمة الشاعر فتذاكرا الشعر عندها فقال كل منهما لصاحبه : أنا أشعر منك ، فقال علقمة ، قل شعراً وأنعت الصيد ، وهذه الحكم بيني وبينك يعني أم جندب فقال امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها :

خليلي مرا بي على أم جندب
لنقضي حاجات الفؤاد المعذب

وقال علقمة قصيدته التي مطلعها :

ذهبت من الهجران في غير مذهب
ولم يك حقا كل هذا التجنب

فقالت لامرئ القيس : هو أشعر منك ، رأيتك ضربت فرسك بسوطك ، وحركته بساقك ، وزجرته بصوتك تشير إلى قوله :

فللزجر الأهوب ، وللساق درة

والسوط منه وقع أهوج منعب(١)

ورأيته أدرك الصيد ثانيا من عنان فرسه تشير إلى قول علقمة :

فأدركهن ثانياً من عنانه
يمر كمر الرائح المتحلب

فأم جندب إنما نقدت المعاني ، فامتدحت معنى علقمة ، وهجنت معنى زوجها امرئ القيس .

ومن ذلك ما قاله الرشيد للمفضل الضبي : هل تعرف بيتا أوله أكثم بن صيفي في أصالة الرأي ، ونبل الحظة ، وآخره بقراط لمعرفته بالداء والدواء . فقال المفضل : قد هولت علي فليت شعري بأي مهر تفترع عروس هذا الخدر ؟ قال : بإنصافك وإنصائك ، وهو بيت الحسن بن هانئ :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

وربما جمع النقد بين اللفظ والمعنى ، ومن ذلك وصف الأصمعي لشعر لبيد بن ربيعة بقوله . كأنه طيلسان طبري . يعني أنه جيد الصنعة ، وليست له حلاوة .

ووصف محمد بن سلام الجمحي للبيد بقوله : كان عذب المنطق ، رقيق حواشي الكلام ، وكان مسلما رجل صدق .

ومن أشهر العبارات في ذلك كلمة سيدنا عمر رضي الله عنه ، فقد كان عمر يقدم زهير ابن أبي سلمى ، ويقول في تعليل ذلك : إنه كان لا يعاظل في المنطق ، ولا يتتبع الغريب الحوشي ، ولا يقول إلا ما يعرف ، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه .

فبعض هذا النقد يرجع إلى اللفظ وهو ترك الحوشي أي الغريب الذي يقل دورانه على الألسنة ، وبعضه يرجع إلى المعنى وهو البعد عن المبالغة في الأوصاف وإيثار الصدق في المدح .

أما المعاظلة فقد اختلف العلماء في تفسيرها

---

(١) الأهوب - بضم الهمزة - شدة جري الفرس الدرة - بكسر الدال - جري في اهف . الأهوج : الأحمق المنعب - بكسر الميم وفتح العين - الذي يتعبن بصوته .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهى فى الأصل مداخلة الشيء فى الشيء يقال تعاظلت الجرادتان إذا ركبت إحداهما الأخرى ، وفسرها قدامة بن جعفر بمداخلة بعض الكلام فيما يشبهه من وجه أو فيما كان من جنسه ، وهذا ليس بمنكر ، وإنما النكير عنده فهو فى أن يدخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه ، وما هو غير لائق به ، قال : وما أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة مثل قول أوس :

وذات هدم عار نواشرها
تصمت بالماء تولبا جدعا

فسمى الصبي تولباً ، وهو ولد الحمار ، فإن ما جرى هذا المجرى من الاستعارة قبيح لا عذر فيه ، وقد استعمل كثير من الشعراء الفحول المجيدين أشياء من الاستعارة ليس فيها شناعة كهذه ، وفيها لهم معاذير إذا كان مخرجها مخرج التشبيه (١) .

ويفهم من عبارات قدامة أن من المعاظلة الحسن والقبيح ، ومرجع ذلك إلى إصابة الشبه المقبول فى الاستعارة ، وقد جعلها قدامة من عيوب اللفظ ، ولكن عيب التشبيه من عيوب المعانى .

وفسر غير قدامة المعاظلة بتفسير آخر ، وعابوا على قدامة تفسيره هذا ، ومن هؤلاء الآمدى والعسكرى ، وابن سنان ، وابن الأثير ، وهى على تفسيراتهم من عيوب اللفظ ، وأول من نبه على غلط قدامة الآمدى ، والمعاظلة - عنده - أن يداخل الشاعر لفظة من أجل لفظة تشبهها أو تجانسها وإن أخل المعنى بعض الاختلال ، وذلك كقول أبى تمام :

خان الصفاء أخ خان الزمان أخا
عنه فلم يتخون جسمه الكمد

فانظر إلى أكثر ألفاظ هذا البيت وهى سبع كلمات آخرها قوله (عنه) ما أشد تشبث بعضها ببعض ، وما أقبح ما اعتمده من إدخال ألفاظ فى البيت من أجل ما يشبهها وهو (خان) و (خان) و (يتخون) وقوله (أخ) و (أخا) فإذا تأملت المعنى - مع ما أفسده من اللفظ - لم تجد له حلاوة ولا فيه كبير فائدة لأنه يريد : خان الصفاء أخ خان الزمان أخا من أجله إذ لم يتخون جسمه الكمد (١) .

ونحو قوله :

يوم أفاض جوى أغاض تعزيا
خاض الهوى بحرى حجاه المزبد

فجعل اليوم (أفاض جوى) والجوى (أغاض تعزيا) والتعزى موصولا به (خاض الهوى) إلى آخر البيت ، وهذا غاية ما يكون من التعقيد والاستكراه مع أن (أفاض) و (أغاض) و (خاض) ألفاظ أوقعها فى غير موضعها ، وأفعال غير لائقة بفاعلها ، وإن كانت مستعارة لأن المستعمل

(١) نقد الشعر ص ١٧٤ ، ١٧٥ الطبعة الأولى .

(١) يتخون يتنقص ، والعبارات من الموازنة ص ٢٣٦ ، ط السعادة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى هذا أن يقال : قد علم ما بفلان من جوى ، وظهر ما يكتمه من هوى ، وبان عنه العزاء ، وذهب عنه العزاء والتعزى . فأما أن يقال : فاض الجوى أو أفيض أو غاض أو أغيض فإنه - وإن احتمل ذلك على سبيل الاستعارة - قبيح جداً . وكذلك خوض الهوى بحر التعزى معنى فى غاية البعد والهجانة ، ثم اضطر إلى أن قال (بحرى حجاه المزبد) فوحد المزبد وخفضه وكان وجهه أن يقول (المزبدين) صفة للبحرين ، فجعله صفة للحجى ، ويقال إنه أراد ببحرى حجاه المزبد قلبه ودماغه لأنهما موطنا العقل ، وذلك محتمل إلا إنه جعل المزبد وصفا للحجى ، ولا يوصف العقل بالإزباد ، وإنما يوصف به البحر ، وهذا وإن كان يتجاوز فى مثله فإنه إلى الوجه الأردأ عدل به ، وجنب الطريق عن الوجه الأوضح (١) .

وإنما أطلت بذكر كلام الآمدى لأنبه على أخطاء وقع فيها بعض الباحثين المحدثين وواضح أن الآمدى يريد أن المعاظلة قد ينشأ عنها إخلال بالمعانى ، فالمعاظلة عنده هى ذكر لفظة مراعاة للفظة أخرى وهذا حدها ، وهى عيب لأنها قد تؤدى إلى استعارة غير محمودة أو إلى تعقيد فى المعنى أو استكراه فى الألفاظ ، فهى ليست الاستعارة القبيحة ، ولا المعنى المعقد ، وإنما هى المداخلة التى ينشأ عنها مثل هذين .

أما العسكرى فى الصناعتين فكانت شواهده من النوع الذى يسميه علماء البلاغة المتأخرون بالتعقيد اللفظى .

ثم نستطرد إلى التنبيه على ما وقع فيه بعض المحدثين من أخطاء ، قال صاحب كتاب (قدامة بن جعفر) بعد أن ذكر آراء علماء اعترضوا على قدامة : « والذى نستطيع أن نستخلصه من كلامهم أن (المعاظلة) هى كل ما يؤدى إلى التعقيد سواء أكان تعقيداً لفظيا منشؤه تنافر الحروف فى الكلمة الواحدة أو فى الكلمات المتجاورة ، أم كان تعقيداً معنويا منشؤه ما فى الكلام من تقديم وتأخير عن المواضع الأصلية للكلام » (١) .

وفى هذه العبارات القصيرة أغلاط .

فالشواهد التى ساقها الآمدى والعسكرى ليس فيها تنافر فى الحروف ولا فى الكلمات والتعقيد اللفظى ليس منشؤه التنافر وإنما التنافر قسيم له . والتعقيد المعنوى ليس منشؤه التقديم والتأخير .

والذى نعرفه فى مقدمة كتب البلاغة أن التعقيد اللفظى سببه التقديم والتأخير وما أشبههما ، أما التعقيد المعنوى فمنه الاستعارة البعيدة على حد ما ذكره قدامة . وكل ذلك معروف مشهور فى كتب البلاغة .

(١) المصدر السابق ص ٢٣٧ .

(١) قدامه بن جعفر ص ٢١٤ الدكتور بدوى طبانة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد ذكر المؤلف أن الأبيات التي تمثل بها الآمدي فيها ضرب من تنافر الحروف في الكلمات مجتمعة لأنها تكررت متجاورة ، وهو كلام غير مقبول ، فإن أحداً لم يقل إن في هذا الكلام تنافرا في الحروف ، ولم يشر الآمدي إلى هذا .

والمؤلف يدافع عن رأي قدامة على الرغم من أنه يذكر أن رأي العلماء بعد قدامة يكاد ينعقد على رفض ما ذهب إليه .

وحجة صاحب قدامة في الدفاع عن رأيه غريبة فهو يقول : إن المعنى اللغوي للمماثلة وهو التراكب أو التشوب أو التداخل لا يتنافى مع مذهب قدامة لأن التداخل المعيب يؤدي إلى التعقيد ، وليس شيء يظهر فيه التعقيد مثل الذي يبدو فيما مثل به قدامة .

فما هو التداخل المعيب ؟ وما مثاله ؟ هل هو الذي ذهب إليه الآمدي ومن تبعه ؟ وإذا لم يحقق المؤلف هذا التداخل المعيب بصورة معينة من صور الكلام ، وجعله لفظاً بلا حقيقة ، لينطبق هذا اللفظ أخيراً على الاستعارة المردودة فهل كل عيب يؤدي إلى التعقيد يصح لنا أن نسميه معاظلة ؟ والجواب : لا . فهذه اصطلاحات قصد بها التحديد ، ولا مانع أن تؤدي أنواع مختلفة إلى نتيجة واحدة .

والقضية : هل في الاستعارة تراكب وتداخل ؟ المؤلف يرى أنه (نعم) وغيره من علماء البيان - وأعتقد أن ما ذهبوا إليه الحق - يرون أنه (لا) . فالاستعارة هي استعمال الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة فنحن ننقل كلمة من معناها الأول إلى معنى ثان إذا كان بين المعنيين مشابهة فنجيء باستعارة مقبولة فإذا لم تكن هناك صلة بين المعنيين أو كانت الصلة بعيدة ، والتداخل غير واضح في هذا النقل ، إن لم نقل إنه غير متحقق بالمرة .

وأشد غرابة من هذا قول المؤلف : والتنافر كلمة اصطلاحية استخدمها الجاحظ ثم جرى استعمالها على ألسنة البلاغيين والنقاد ، فما العيب في أن يحاول قدامة أن يحدد معنى كلمة المعاظلة ، ويجعل لها مدلولا اصطلاحياً تمتاز به من كلمة التنافر التي وضحت دلالتها وتبين معناها ؟

ولو راجع المؤلف هذه العبارات لعجب من تدوينه لها ، فليس أبعد من هذا الكلام عن التحقيق العلمي .

فالجاحظ لم يقل إن التنافر هو التعقيد ، ولا هو سبب من أسبابه ، وليس من هم المؤلف المتأخر أن يخالف من تقدمه ، وإذا كان وضح معنى التنافر واستقر فهل يلزم أن يلتمس مؤلف للمعاظلة معنى اصطلاحياً آخر ، ولو لم تظهر المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ؟ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والعجب عندى كل العجب كيف ذهبت كل هذه الأغلاط عن أعضاء اللجنة التى ناقشت هذا الكتاب ومنحت مؤلفه الدكتوراه ؟!

إن الكتاب ـ فى جملته جيد ، ولكن كان ينبغى أن تتنبه اللجنة لمثل هذه الأخطاء. وبذلك يسلم الكتاب ويصفو .

ثم إن أبا هلال العسكرى استدل على غلط قدامة بدليل هو أقرب إلى القواعد العلمية مما ذكره مؤلف قدامة ، فقد قال : لا نرى فى شعر زهير شيئاً من هذا الجنس ، ويوجد فى أكثر شعر الفحول نحو ما نفاه عنه عمر رضى الله عنه .

وأيا ما كان فذكر المعاظلة فى قول سيدنا عمر يشير فى رأى أكثر النقاد والبلاغيين إلى عيب لفظى نجا منه شعر زهير .

على العمارى

(بقية المنشور على صفحة ١٠٧٩)

والجرس وتقارب المخرج ربما نزل منزلة الروى كالذى فى سورة الطور مثلا : ـــ « والطور وكتاب مسطور . فى رق منشور . والبيت المعمور . والسقف المرفوع » وكالذى فى سورة ق : ـــ « قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد . قال لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد . ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد . يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد . وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد . هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب . ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد . وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا فى البلاد هل من محيص » وقبل هذا ـ « ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد . مناع للخير معتد مريب . الذى جعل مع الله إلها آخر فألقياه فى العذاب الشديد » وفى سورة الإنسان نجد فواصل من أمثال « كان مزاجها سلسبيلا » « كان مزاجها كافورا » « قواريرا ، قواريرا » « جزاء ولا شكورا » « وذللت قطوفها تذليلا » .

ثم إن الشعراء أحكمت القوافى كما أحكمت الوزن بعد طول تدرج ، والتمست وحدة الروى فيما تحتفل له من كلام ، وهذا مدلول قول ابن سلام الذى ذكرناه آنفاً حيث قال : إن القصيد إنما قصد على عهد هاشم وعبد المطلب ابن هاشم .

الدكتور عبد العظيم الطيب

(البحث بقية)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلام فى تنجانيقا

للأستاذ عطيه صقر

فى التاسع من شهر ديسمبر سنة ١٩٦٢ ، وعلى قمة جبل كيليمانجارو Kilimanjaro الذى يرتفع عن سطح البحر ١٩٫٣٤٠ قدما ، والذى قال عنه جون جنتر : إنه هو الذى يقطف السحب البنفسجية من الرياح الموسمية الهائمة ، ويعصرها مطراً فيصنع بها الحياة ، يصنع الأنهار والحدائق ، وتتحول الأنهار إلى بحيرات ، ويبقى هو شامخا يحمل الغابات على ظهره . فى هذا اليوم وفوق قمة هذا الجبل - الذى يقدسه الأهلون ويصلون له إذا تأخر المطر ، ويعتقد بعضهم أنه عرش الإله - يرتفع علم مكون من اللون الأخضر والذهبى والأسود إيذانا بمولد جمهورية تنجانيقا Tanganvika ، التى نالت الاستقلال فى مثل هذا التاريخ من العام الماضى ، بعد ثلاثة وأربعين عاما كانت فيها مشدودة إلى عجلة التاج البريطانى .

تقع هذه الجمهورية فى شرقى إفريقيا ، وتحدها شمالا كينيا ، وجنوبا موزمبيق ، وشرقا المحيط الهندى وزنجبار ، وغربا الكونغو . وتبلغ مساحتها ٣٦٢٫٧٦١ ميلا مربعا ، وأهم حاصلاتها الكتان والسيسال الذى تصنع منه أجود الحبال ، والذهب والماس الذى تعتبر تنجانيقا ثالث دولة فى العالم فى إنتاجه . وعاصمتها مدينة دار السلام التى تقع على ساحل المحيط ويتكون سكانها من ٦٦ ٪ من الإفريقيين و ٢٩ ٪ من الآسيويين من العرب والهند وباكستان ، و ٥ ٪ من الأوربيين ، وطابع المدينة ألمانى فى المبانى والشوارع والمظهر العام .

يبلغ سكان تنجانيقا نحو ثمانية ملايين حسب إحصاء سنة ١٩٥٠ ، ويقدره بعضهم الآن بعشرة ملايين نسمة ، وهؤلاء السكان خليط من أجناس مختلفة وقبائل متعددة ، فالإفريقيون ويبلغ عددهم أكثر من ثمانية ملايين يتكونون من ١٢٧ قبيلة أهمها السوكوما والنياكيوزا والماساى والواشاجا والباهايا ، ويذكر الرحالة والباحثون أن قبائل الماساى تعيش على الفطرة ، وهى شديدة البأس فى القتال ، غذاؤها اللبن ممزوجا بالدم الذى يسحب من عروق البقر بثقبها ثم تضميدها بالبن .

كانت البلاد جزءاً من السلطنة العربية العمانية ، ثم استولت عليها ألمانيا سنة ١٨٨٥ م ثم وضعت تحت الانتداب البريطانى عقب الحرب العالمية الأولى بمقتضى معاهدة فرساى ، واستمرت تحت وصايتها حتى استقلت منذ عام ثم أعلنت جمهورية فى ديسمبر الماضى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكانت قبل سنة ١٩٢٥ يدير شئونها حكام مسلمون من قبل سلطان زنجبار ، من أصل عربى وسواحيلى ، غير أن حكومة الانتداب أصبحت تتعامل فيما بعد مع رؤساء القبائل ، وتعطى بعضهم شيئاً من السلطة فى إدارة الشئون الخاصة بالقبيلة ، واجتهدت فى إقصاء المسلمين عن المناصب الرئيسية ، متذرعة ـ كما هى عادتها فى سياستها الاستعمارية ـ بأنهم يهتمون بنشر الإسلام ويهملون شئون الرعية .

وللبلاد مجلس وزراء وبرلمان كان عدد أعضائه فى أغسطس سنة ١٩٦١ يبلغ ٨٢ عضواً منهم اثنان من العرب ، ١٥ من الهنود ، ١٦ انجليزيا . ورئيس الجمهورية هو يوليوس نايريرى Julius Nyerere ونائب الرئيس هو رشيدى كواوا وكان قبل ذلك رئيساً للوزراء وهو رئيس اتحاد نقابات العمال التابعة لحزب تانو « اتحاد تنجانيقا الإفريقى الوطنى » وهو أكبر حزب سياسى تكون سنة ١٩٢٩ باسم « الجمعية الإفريقية لتنجانيقا » ألفها جماعة من الموظفين الانجليز لإلقاء المحاضرات الثقافية ثم تطورت بعد الحرب العالمية الثانية ، ولما عين نيريرى رئيساً لها سنة ١٩٥٣ حولها سنة ١٩٥٤ إلى حزب سياسى.

لم يعرف الغربيون تنجانيقا إلا فى مطلع القرن السادس عشر حين اجتاحها داليدا D'almeïda البرتغالى سنة ١٥٠٥ م . ومن الثابت أن العرب عرفوها من زمن قديم حيث كانت لهم بها علاقات تجارية قام بدور كبير فيها عرب الجنوب المشهورين بنشاطهم البحرى فى المحيط الهندى . وقد زارها المسعودى المؤرخ والرحالة الشهير فى بداية القرن العاشر الميلادى مع البحارة العمانيين ، ووصفها فى كتابه مروج الذهب الذى أتم كتابته سنة ١٩٤٧م ، وقال إن أهلها ماهرون فى صناعة المعادن وصيد الفيلة ، ويجعلون للحديد قيمة أكبر من الذهب ، وأن فيهم خطباء ممتازين ، ولهم عقائدهم الدينية الخاصة . وزار ابن بطوطة فى القرن الرابع عشر الميلادى مدينة كلوا Kilwa على الساحل ، وقال إنها واحدة من أجمل المدن وأحسنها بناء ، وذكر أن مذهبهم شافعى ، وأن سلطانهم يسمى أبا المظفر حسن .

دخل الإسلام تنجانيقا بشكل واضح فى بداية القرن العاشر الميلادى على أيدى التجار العرب ، وكان أول من هاجر إليها من المسلمين ـ كما يقول أرنولد فى كتابه « الدعوة إلى الإسلام » ـ جماعة من العرب نفوا لأنهم اتبعوا تعاليم خارجة على الدين كان يقول بها شخص يدعى زيدا من سلالة النبى ... ولا يبعد أن يكون زيد هذا هو زيد ابن على حفيد الحسين ، وقد ادعى فى عهد الخليفة هشام أنه المهدى ولكنه قتل سنة ١٢٢هـ (٧٤٠م) . وجاء عرب آخرون أسسوا مدنا على الساحل الإفريقى منها مقديشو

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى منتصف القرن العاشر ، ومن هذه المدن تسرب الإسلام إلى الأهالى ونفذ إلى داخل القارة . وفى أوائل القرن الحادى عشر جاء إليها مهاجرون من الخليج الفارسى بزعامة رجل يسمى عليا ، وهو أحد أبناء سلطان شيراز السبعة ، وأسس مدينة كلوا إحدى مدن تنجانيقا .

والدين الغالب فى هذه البلاد هو الوثنية الإفريقية والآسيوية ، وفيها نحو مليون كاثوليكى ، أما المسلمون فقد اختلفت الإحصاءات فى تقدير عددهم ، وأقربها ما ذكره أطلس التاريخ الإسلامى الذى نشرته جامعة برنستون الإمريكية فى طبعة ١٩٥٤ م حيث يقدرهم بنحو ١٤٦٠٠٠٠ . وتقول نشرة فيدس التبشيرية الصادرة فى ١٣/٤/١٩٥٧ إن عددهم ١٨٣٤٠٠٠ من مجموع ٨٥٦٠٠٠٠ فنسبة المسلمين على أقصى تقدير لا تصل إلى ربع المجموع العام للسكان . وقد نشر على لسان أحد الزعماء أن نسبتهم ٧٠٪ ولكن ذلك مراعى فيه مجموع سكان شرقى إفريقيا بدوله المتعددة التى تكثر نسبة المسلمين فى بعضها .

والحالة العلمية فى البلاد متخلفة بشكل عام. وكان للاستعمار أثر كبير فى ذلك ، ففى سنة ١٩١١ م كان فيها ١٠٠٠ مدرسة بها ٦٦ ألف تلميذ ، وليس فيها الآن هذا العدد ، وكان المفروض أن يزيد طبقا لسنة التدرج الطبيعى ، ولكن صدق فى تنجانيقا المثل السواحيلى العامى الذى يقول : « إذا تشاجر فيلان فالحشائش دائما هى التى تدوسها الأقدام » والفيلان هما ألمانيا وانجلترا ، والحشائش هى شعب تنجانيقا .

المدارس الموجودة منها حكومية وطائفية ، ومدارس الإفريقيين بدائية فى نظامها وعلومها . ويدرس فى بعضها القرآن والكتابة بالكيسواحيلية . ومدارس الطوائف منظمة وتدرس فيها اللغة العربية مع الانجليزية ، والدين يدرس بقدر ضئيل فى المدارس الحكومية ، وهناك ميل لتعليم البنات بين المسلمين ، غير أنهم طلبوا من الحكومة ألا تكون المدارس تحت سيطرة المسيحيات ، والمسلمون لا يقبلون على دخول مدارس المبشرين ، ويفضلون الجهل على التعلم فيها .

وفى المناطق التى يكثر فيها المسلمون توجد كتاتيب كثيرة ، ففى منطقة تابورا Tabora وبخاصة مركز يوجيجى Ujiji الواقع على شاطئ بحيرة تنجانيقا يوجد ٣٣ مكتبا ، والآباء يحبون أن يعلموا أولادهم القرآن ، ويدفع الولد للمعلم ٦٠ شلنا عند نهاية الدراسة ، وإذا حفظ ٣٠ سورة التحق بمدرسة عليا يديرها أحد المشايخ ، ويوجد من هذا النوع ست مدارس تدرس فيها علوم التوحيد والشريعة إلى جانب العلوم المدنية .

واللغة السائدة هى الكيسواحيلية Ki Swahili وكى معناها لغة ، وسواحيلى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نسبة إلى الساحل ، وهذه هى لغة التخاطب وهى مزيج من لغة السكان الأصليين والوافدين عليها يقول عنها باسيل دافيدسون إن أسسها وعناصرها تتصل اتصالا وثيقا بلغات قبائل البانتو الإفريقية ، وإن كان قد لحقها تأثير عربى كبير فى قرون طويلة .

وبعض العرب يتكلم العربية فى نطاق ضيق والغالبية يفاخرون بعروبتهم مع جهلهم باللغة ، والهنود يتكلمون الجوجارتية والأوردية ويعتزون بهما ، وبالرغم من أن لغة الخدم والمربيات هى الكيسواحيلية فإنها لم تستطع أن تغزوها بين اللغتين كما غزت اللغة العربية . والعربية لا تدرس فى المدارس الحكومية واللغة الانجليزية هى اللغة الرسمية . وفى تنجانيقا صحف تصدر بلغات عدة ، أشهرها « تنجانيقا ستاندارد » وتصدر بالانجليزية . وتصدر صحيفة « أوانجازا » بالسواحيلية ، وليست هناك صحافة إسلامية تذكر ...

والمسلمون منتشرون فى أنحاء تنجانيقا ، ويشاركون فى الحياة العامة للدولة جنبا إلى جنب مع سائر المواطنين ، ولبعضهم مراكز هامة فى الحكومة كانت ذات أثر كبير قبل أن تعمل بريطانيا على إبعادهم من المناصب الحساسة ، لتفسح المجال للمبشرين لكى يصنعوا رجالا على أعينهم يخدمون أغراض الاستعمار . ونائب رئيس الجمهورية الآن مسلم هو رشيدى كواوا . وعمدة دار السلام يسمى عبيدى وهو أول عمدة مسلم لها . ورئيس المجلس التشريعى سنة ١٩٦٢ هو عبد الكريم كريمجى من أصل باكستانى واسع الثراء ، ويمتلك مبنى الجمعية التشريعية ويمول حزب « تانو » . والسلطان عبد الله فوندیكيرا وزير فى الحكومة وعضو الحزب المذكور وزار القاهرة سنة ١٩٦٢ .

والمسلم هناك يحرص على لبس « الكانزو » وهو قباء خاص من القطن الأبيض وطاقية بيضاء تسمى « الكيباندیكو » ، ويتكلم الكيسواحيلية باعتزاز وإن كان يتكلفها .

والتقاضى فى تنجانيقا أمام المحاكم التى تقضى بالقانون الانجليزى وبعض التقاليد الخاصة بالبيئة ، والأحوال الشخصية يرجع فيها للوالى وهو يحيلها إلى محكمة زنجبار الشرعية والنساء غير المسلمات سافرات ومثلهن المسلمات الإسماعيليات ، أما غيرهن ففى ستر كامل .

وفى البلاد مناطق يكثر فيها النشاط الإسلامى من أهمها « تابورا » التى يقول عنها الدكتور شيبل فى مجلة العالم الإسلامى التى تصدرها الجمعية الألمانية للثقافة الاسلامية ببرلين : إنها حصن الإسلام المنيع فى إفريقيا الشرقية بها هى وضواحيها ثلاثون مسجداً وكتابا ، وأربع مساجد كبيرة لصلاة الجمعة ، أحدها للعرب والثانى للهنود والباقيان للوطنيين . وأغلب المؤذنين والمدرسين فى هذه المساجد من سكان الساحل الشرقى وهم يتقنون كتابة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحروف العربية وقراءتها وإن كان الكثيرون لا يجيدون فهمها ولا يستعملونها إلا فى الأغراض الدينية .

وفى هذه المنطقة يوجد مركز « يوجيجى » وهو ذو أهمية بالغة ، يقع عند نهاية الخط الحديدى الذى يصل دار السلام بالبحيرة ، وقد أنشأه التجار العرب ليكون محطة للقوافل ، وذلك منذ مائة عام تقريباً . ويقدر عدد المسلمين به بنحو ٣٥ ألفاً . والمبشرون فى منطقة كيجوما Kigoma يبدون تخوفا كبيراً منه .

والمسلمون يعتنون بنظافة مساجدهم ويحافظون على إحياء الشعائر فى رمضان ، ويمدون الموائد إلى ساعة متأخرة من الليل يتردد عليها كثير من غير المسلمين فيعشقون الإسلام إعجابا بنظامه التكافلى العظيم . وفى يوجيجى جمعيات لمحاربة البدع كما يوجد نشاط كبير للطرق الصوفية ، فإن إحداها تقيم كل يوم سبت حلقات الذكر على الأنغام والأناشيد .

ومن أهم المراكز الإسلامية أيضاً باجامويو Bagamoyo وطنجة Tanga حيث توجد بها جمعيات كثيرة يفد إليها الراغبون فى المعرفة من أقاصى البلاد ، كما يقوم كبار رجالها برحلات تعليمية فى أنحاء الجمهورية .

ومن الجمعيات الدينية البارزة : جمعية نشر الثقافة الإسلامية تأسست سنة ١٩٥٣ برياسة الشيخ أحمد صاح البوسعيدى والى دار السلام والجمعية الإسلامية برياسة السلطان عبد الله فونديكيرا ، ولها مجالس إقليمية فى طنجة برياسة عبدالله كريمجى ، وفى دار السلام برياسة أخيه ، وفى غيرها من البلاد . وقد أنشأت هذه الجمعية ٧٠ مدرسة ، ٥٣ مسجداً فى تنجانيقا .

وأشهر المساجد فى دار السلام المسجد الجامع ومسجد الكلالة ، والمذهب الفقهى السائد عند أهل السنة هو الشافعى وهناك بعض الأحناف . وذلك إلى جانب مذاهب الشيعة الإمامية والزيدية والإسماعيلية ، والمذهب الأباضى .

ومن الشخصيات الإسلامية المعروفة غير من ذكرنا : الشيخ حسن عمير عالم أهل السنة بدار السلام ، والشيخ حسين جمعة وهو زعيم إفريقى ومدير مدرسة الحسين ، وتيوا رئيس الجمعية الإسلامية فى تنجانيقا وزنجبار ، والسلطان سعيد فونديكيرا والد السلطان عبدالله وكان له جهده فى نشر الإسلام فى منطقة تابورا

هذا والمبشرون قنقون جداً من نشاط المسلمين فى نشر الدعوة ، ويقررون أن كل مسلم صغيراً كان أو كبيراً يعد نفسه داعية للإسلام وكبار الزعماء لهم نفوذهم فى هذا المجال ، ويساعد على انتشار الإسلام زواج المسلمين من غير المسلمات الوافدات من « يوروندا » وغيرها طلباً للعيش فى ظل هـــذه المناطق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الخيرة ، وهـذه فرصة لإسلامهن وإسلام من يتصل بهن من الأقارب وغيرهم .

والمبشرون يوجهون أكبر اهتمامهم لمقاومة الإسلام فى يوجيجى ، ولكى تأخذ صورة أوضح على هذا أذكر لك ما جاء على لسانهم فى نشرة فيدس الصادرة فى ١١ / ٦ / ١٩٥٥ وهذا نصه :

لا شك أن دين محمد عائق رهيب للرسالة الكاثوليكية ، وليس الخوف من سرعة انتشاره ، بل لأنه يحيل أتباعه إلى متعصبين ضد المسيحية ، إن إيمان المسلم مع بساطته يشبع رغبته الدينية ، فهو يسمح له بحرية واسعة فى سلوكه ... إن الإسلام يفوق المسيحية فى سرعة انتشاره ، فإن التجار ومخاصة المنود والباكستانيون دعاة يارزون متحمسون حيث يقيمون متاجرهم فى الأماكن المزدحمة بالسكان ، بل يقيمون كثيراً منها وسط الأدغال ، وهى دائما مراكز لنشر الإسلام ، والأهالى يودون التخلص من عار الوثنية والجاهلية بهذا الدين الذى لا يكلفهم كثيراً ... هل سيصير الإسلام دين الأغلبية ؟ نحن نأمل ألا يكون ذلك وإن كانت إمكانياتنا للعمل محدودة جدا .

وبعد ، فإن الدكتور شيبل قال فى مجلة العالم الإسلامى : « إن المسلمين الغرباء تمكنوا فى سنة ١٩١١/١٩١٢ من التغلغل إلى المناطق الغربية من إفريقيا الشرقية ، ونشروا الدعوة بين الوطنيين ، كما استطاعوا وضع البلاد تحت نفوذهم الاقتصادى والتجارى ، ولو أنه لا تزال هناك نواح لم يتمكن فيها الإسلام من ترسيخ قدمه ، رغما من وجود ما يدل على تطور فكرى نحو الأفكار الإسلامية بين قبائل الوطنين من حين لآخر » .

والواجب على المسلمين فى جميع الأقطار أن يقدروا مثل هذا الكلام وأن ينتهزوا فرصة تطلع الناس هناك إلى الإسلام وما يحاول المبشرون أن يصنعوه فى هذا المجال ، وإذا كان فى الأزهر الآن طالبان من تنجانيقا وإذا كان قد أرسل سنة ١٩٤٦، ١٩٥٣ بعض علمائه لاستطلاع الأحوال هناك ، فإن هذا غير كاف فيما يجب على الجمهورية العربية بالذات أن تفعله إزاء هذه الجمهورية الفتية ، التى لها وضعها الخاص بالنسبة إلى كثير من الدول المجاورة ، والمقبلة على عهد جديد من الحرية والوحدة والإحساس العميق بالقومية الإفريقية العامة ، والتبرم بسياسة الغرب القائمة على الاستغلال والتفرقة العنصرية التى عانت منها إفريقيا زمنا طويلا وإنا لمنتظرون ؟

عطية صقر
مفتش الوعظ بالأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الدين وعلاقته بالأدب

عند : ت . س . إليوت

للأستاذ رشاد محمد خليل

يكاد الإجماع فى أوساطنا الأدبية ينعقد على ضرورة الفصل بين الدين والأدب ؛ لأنهم يعتبرون الدين حجراً على حرية الأديب وإبداعه ، مع أن هذا الفصل غير ممكن فى واقع النفس الإنسانية ؛ لأن النفس الإنسانية وحدة لا تتجزأ ؛ والدين والأدب كلاهما يصدران عن هذه النفس ، ويتجهان نحو هدف واحد هو تنظيف الوجدان الإنسانى ، وبناء الضمير على أساس سليم ، وهم يحتجون لهذا الفصل بتاريخ الأدب الغربى وأحكام نقاده ، ويعتبرون كل من يربط الدين بالأدب ملحداً فى حق التقدم الإنسانى .

ونحن نقدم هنا علماً من أعلام الأدب الغربى المعاصر ، دارت حوله فى صحافتنا الأدبية معارك حامية ، وانقسم النقاد حول (معادله الموضوعى) [1] بعضهم ينادى به ، والبعض الآخر يتهجم عليه ، وإن كانوا جميعاً قد سكتوا عن رأيه فى صلة الدين بالأدب ، مع أن هذه الصلة فى رأى إليوت وتفكيره أخطر من قضية المعادل الموضوعى ، المهم أن إليوت باعتراف الجميع أكبر الشعراء الانجليز المعاصرين ، ومن أكبر نقاد الأدب فى العالم ، فهو غير متهم على الأقل فى مقدرته الفنية ، أو تذوقه ، وحين يتكلم عن العلاقة بين الدين والأدب لا يمكن أن يتهم بأنه يصدر فى كلامه عن جهل بالاعتبارات الفنية ، أو يستجيب للوثة من لوثات الهوس الدينى ، وإذا كان نقادنا تحت تأثير تيار النقد المادى المعاصر قد أهملوا رأى إليوت فى العلاقة بين الدين والأدب ؛ فإنى أعتقد أن الأمانة تقتضينا أن نكون من الشجاعة بالدرجة التى تمكننا من أن نقدم الرجل من جميع جوانبه لقراء العربية ، ولا نكتفى بنظريته فى المعادل الموضوعى ، وذلك نظراً إلى تأثير إليوت العميق فى الأدب العالمى وفى أدبنا العربى المعاصر على السواء ، ثم إن اتجاه النقد العالمى إلى فصل الدين عن الأدب لا يستلزم منا الخضوع الأعمى ، وإن وقوف إليوت فى وجه هذا التيار ليقول رأيه بشجاعة ليؤكد أن سيطرة الاتجاه المادى على الواقع المعاصر ليست خاتمة المطاف ، كما يؤكد أن هذه الحيرة التى تجتاح عالم اليوم أخذت بالفعل تتلمس

(١) المعادل الموضوعى نظرية اشتهر بها إليوت وهى تذهب إلى أن العمل الأدبى ليست مهمته نقل الواقع أو نقل إحساس صاحبه ، وإنما مهمته خلق حالة نفسية عند القارئ تعادل العمل الأدبى نفسه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

طريقها إلى راحة عميقة لن يكون لها مصدر في غير الدين .

وإليوت يعتبر ربط الأدب بالدين مسئولية النقد الأدبي فيقول : (إن النقد الأدبي يجب أن يكمل بوجهات نظر أخلاقية وعقائدية معينة ، وفي كل عصر من العصور الماضية وجد اتفاق عام على مسائل أخلاقية وعقائدية قام في ظلها النقد الأدبي ، ولكن في عصر كعصرنا حيث لا يوجد مثل هذا الاتفاق العام نجد من الضروري بالنسبة للقراء المسيحيين أن يقوموا قراءتهم خصوصا ما كان منها خاصا بالأعمال التخيلية بموازين أخلاقية وعقائدية واضحة دقيقة ، فالأدب في معظمه لا يمكن أن يقوم بالموازين الأدبية البحتة هذا إذا افترضنا أصلا إمكان وجود أدب يقوم بالموازين الأدبية البحتة وحدها [1] .

ثم يستمر إليوت في نظرته الجزئية فيعتبر تطور الأدب الغربي تطورا منحرفا عن قاعدة الاعتقاد الغربي وهو المسيحية ، ويرى أن هذا الانحراف مر بثلاث مراحل . المرحلة الأولى اعتبرت الرواية المسيحية قضية مسلما بها في اعتقاد العصر فابتعدتها من تصويرها للحياة ، وفي المرحلة الثانية وقفت الرواية من الاعتقاد المسيحي موقف المعارضة وفي المرحلة الثالثة وهو العصر الحديث اعتبر الروائيون جميعا ما عدا جيمس جويس المسيحية مجرد ترهات) .

ثم يسخر من الذين يريدون تجزئة العقل الإنساني إلى جزء متدين وآخر غير متدين بقوله : (هل من الممكن أن يؤمن الناس بفكرة محدودة دينية كانت أو غير دينية بجزء من عقولهم ثم يقرءون الرواية أو الشعر بجزء آخر ؟ [1] بل إن إليوت ليذهب إلى أبعد من ذلك فيجزم باستحالة اتخاذ موقف حيادي إزاء العمل الأدبي (إني أعتقد أن الموقف المحايد إزاء الأدب لا يجدي ، فحتى ولو كان الكتاب الذين يحاولون فرض وجهات نظرهم في الحياة علينا أصحاب أصالة ذاتية في الحقيقة ، أو حتى لو كنا نحن أفرادا أصحاب أصالة ذاتية في الحقيقة ، فماذا ستكون النتيجة ؟ إن الذي سيكون بالتأكيد هو أن كل قارئ سوف يتأثر في قراءته بما كان مستعدا لأن يتأثر به من قبل فقط ، إنه سوف يسير في الركب ومن هنا لن يكون هناك أي ضمان لكي يصبح رجلا أفضل) [2] وإذن فالشخصية الإنسانية تتلقى الأدب ككل وتتأثر به ككل ومهما يحاول الإنسان أن يفصل بين تذوقه الأدبي واعتقاده فلن يتيسر له ذلك (فالحقيقة أن ما نقرأه لا يتعلق فقط بما نسميه الذوق الأدبي ولكنه يؤثر مباشرة في تكويننا

(1) Religion and Literature : Selected prose : I.S. Eliot

(١) ، (٢) نفس المصدر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإن كان ذلك يحدث وسط مؤثرات أخرى إن جملة تكويننا - على ما أعتقد - عبارة عن أحسن ما ننتخب عن طريق الامتحان الواعي خلال دراستنا الأدبية . صحيح أن من الممكن أن نقرأ الأدب للتسلية فقط أو الاستمتاع الجمالي إلا أن هذه القراءة لا يمكن أن تؤثر في جزء مستقل من تفكيرنا فقط ، وإنما تؤثر فينا ككل ، كموجودات بشرية ، إنها تؤثر في وجودنا الأخلاقي والديني) [١] .

ويرى إليوت أن الأدب والدين كلاهما مكمل للآخر فيقول : (لكي نتمكن من إصدار أحكام أدبية سليمة يجب علينا أن نعرف شيئين أولا : ماذا نكون فعلا ؟ وثانيا ، ماذا يجب أن نكون ؟ ... إنه ليس كافيا أن نفهم ماذا ينبغي أن نكون مالم نعلم من نكون ونحن لا نعرف من نكون مالم نعرف ماذا ينبغي أن نكون ، إن الوعي الذاتي بماذا نكون وما ينبغي أن نكون يجب أن يسيرا جنبا إلى جنب ... إن واجبنا كقراء للأدب أن نعلم ماذا نكون وإن واجبنا كمسيحيين كما هو واجبنا كقراء للأدب أن نعلم ماذا يجب أن نكون ، إن واجبنا كرجال أمناء ألا نسلم بأن ما نكونه هو ما ينبغي أن نكونه) [٢] .

بل إن إليوت ليدعو بحرارة إلى قيام أدب مسيحي (إن أمنيتي الآن هي أن يوجد نوعان من الأدب أدب خاص بالعالم المسيحي وآخر خاص بالعالم الملحد [١]) ويدعو المسيحيين إلى تقويم الأدب تقويما مسيحيا (إني أعتقد أنه يقع على عاتق جميع المسيحيين واجب إقامة موازين ومقاييس نقدية معينة لكل ما يزودنا به العالم من أدب ، وبهذه المقاييس والموازين يجب أن نقوم جميع ما نقرؤه ، إن من واجبنا أن نتذكر أن معظم قراءاتنا الحالية قد كتب بواسطة أناس ليس لهم أي اعتقاد في نظام سام ، وإن كان بعضه قد كتب بواسطة أناس لهم آراء خاصة في نظام سام غير نظامنا . إن معظم قراءاتنا الهامة قد كتب بواسطة أناس ليسوا فقط مجردين من هذا الاعتقاد ، ولكنهم أيضا يجهلون حتى حقيقة وجود أناس في هذا العالم ، هم من التخلف للدرجة التي تجعلهم مازالوا مستمرين في الإيمان بعالم من هذا القبيل . . إننا بقدر ما نكون واعين بالحواجز التي تفصلنا عن الجانب الأكبر من الأدب المعاصر بقدر ما نكون في موقف أقل أو أكثر أمنا من أذاه . .) .

ذلك هو موقف ت س إليوت الأديب الناقد الفيلسوف من صلة الدين بالأدب باعتباره مسيحيا ، فما هو موقف أدبائنا ونقادنا من هذه الصلة باعتبارهم مسلمين ؟ ! .

رشاد محمد خليل

(١) و ٢ المصدر نفسه .

(١) المصدر نفسه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من أعلام المسلمين في الهند :

مولانا أبو الكلام أزاد

للأستاذ عبد المنعم النمر

— ٥ —

صلة بالسابق « قبض على مولانا أزاد في أوائل الحرب العالمية الثانية وظل بالمعتقل حتى أخرج عنه ليتولى المفاوضات مع « كريبس » ممثل بريطانيا سنة ١٩٤٢ ولما اخفقت المفاوضات ، وبدأت الأمور تتأزم اعتقلته الحكومة الانجليزية مع الزعماء الهنود الآخرين في السنة نفسها وظل في المعتقل حتى أفرج عنه في يونيو سنة ١٩٤٥ لاتجاه بريطانيا إلى المفاوضة لحل مسألة الهند

لقد اتجهت بريطانيا إلى حسم مشكلة الهند بعد أن انهزمت ألمانيا في ربيع سنة ١٩٤٥م وأفاق الحلفاء من كابوس ثقيل ، ولذلك وجه اللورد ويفل نائب الملك في الهند دعوة إلى ممثلي حزب المؤتمر والرابطة الإسلامية للاجتماع به في يوليو سنة ١٩٤٥ بمدينة « سملا » في شمال الهند وكانت الحكومة تتخذها مصيفا لها ، فكان مولانا أزاد - باعتباره رئيسا لحزب المؤتمر - وغاندي هما اللذان يمثلان الحزب في هذه المفاوضات ، وكانت المشكلة الحقيقية أمام المتفاوضين هي التقسيم أو عدم التقسيم . كانت الرابطة تصر على التقسيم ، وحزب المؤتمر يصر على الوحدة ، وانجلترا تكاد تخفض يدها من الهند وتسلمها لأهلها ... ومن وراء المتفاوضين كانت الهند كلها تموج بالخلافات والفتن الطائفية والمذابح هنا وهناك وكلما مر الوقت اشتدت الفتن وكثرت المذابح بين المسلمين والهندوس ... مما جعل المتفاوضين يوافقون على قرار التقسيم ، الذي وافق عليه المؤتمر رغما عنه ، والرابطة تساهلت من ناحيتها فيما يتصل ببعض الولايات مثل تقسيم بنغال وبنجاب ، وانتهى الأمر أخيرا إلى إعلان الحكومة البريطانية قرارها بتسليم السلطة نهائيا إلى الدولتين الوليدتين في أغسطس سنة ١٩٤٧ .

وكان مولانا أزاد يؤمن إيمانا تاما بالوحدة فوقف ضد فكرة التقسيم من أولها لم يتزحزح عنها إلا مضطرا برغم ما كان يصيبه أحيانا من إيذاء المنتمين للرابطة ...

وهكذا ظل مولانا أزاد يجاهد ويقود المجاهدين ، ويوجه دفة السياسة في حزب المؤتمر ، ويتولى المفاوضات باسمه حتى ظفرت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

البلاد باستقلالها ، وظل بعد ذلك رئيسا للحزب حتى سنة ١٩٥٠ ، حيث اختير رئيسا للبرلمان ثم وزيراً للمعارف فى وزارة الهند المركزية وظل يشغل هذا المركز حتى توفى . وكان وضعه باعتباره من الأقلية لا يسمح له بتولى رياسة الجمهورية برغم أن الأنظار كانت تتجه إليه أكثر من غيره . ولكنه مع بقائه وزيراً للمعارف كان يعتبر المرجع الأول فى توجيه دفة السياسة الداخلية والخارجية للهند ، لا يقطع فيها برأى دون أخذ رأيه والاستنارة بتوجيهاته ... حتى ليقول نهرو فى كلمته التى أبنه بها :

« إلى من أذهب الآن للتشاور إذا عنت لى مشكلة سياسية ؟ لقد ترك وراءه فراغه عظيما يتسع كلما تقدم الزمن حتى لا نجد على مر الزمن من يسد مسده .

وإذا كان مولانا أزاد قد بلغ القمة فى جهاده السياسى فإنه أيضا يقتعد القمة فى جهاده الدينى بل إنه من طريق جهاده الدينى . طريق إيمانه بدينه الذى يأبى الهوان والذل والاستعباد بدأ كفاحه من أجل تحرير بلاده ... وخطا خطواته إلى القمة ...

لقد تثقف فى بصفوة الثقافة الدينية المعتادة فى بلاده - كما عرفنا من قبل - وبعد أن انتهى من دراسته الدينية بدأ يتشرب الثقافة الغربية ، ويتعلم اللغات الأجنبية ، حتى أصبح ضليعا فيها ... وتفتحت له أنهر جديدة من الثقافة والمعرفة لم يكن يعرفها من قبل . وساعدته هذه الثقافة ، على حسن إدراكه لثقافته الدينية ، وحسن توجيهها ، فكان صاحب الثقافتين الشرقية والغربيـــة ، وصاحب الإمامتين : الإمامة فى الدين ، والإمامة فى السياسة ، وكانت إمامته فى الدين تسبق إمامته فى السياسة ، حتى ليقول الأستاذ همايون كبير عنه : « كنت أظن أن مولانا أزاد عالم من كبار علماء الدين - كما ظن كثيرون غيرى - ، ولا يعرف من السياسة وحل المشاكل على النهج الحديث إلا قليلا ، ولكنى دهشت حينما علمت أن معالجته لكثير من القضايا السياسية ، كانت معالجته علمية دقيقة ، وأحسن من معالجة كثيرين من الساسة الهنود الذين تلقوا علوما حديثة .

ويصفه المهاتما غاندى فيقول : « إنه لا يبارى فى العلوم الإسلامية كما كان متبحراً فى اللغة العربية ، ووطنيته متينة صادقة كإيمانه بالإسلام » .

كان قد تلقى العلوم الدينية ونبغ فيها فى مقتبل شبابه ، ونقبلها كأمثاله ممن يتخرجون فى المدارس الدينية ، ولكنه لم يلبث بعد أن اطلع على الثقافة الغربية واتسعت مداركه أن اضطرب بين الثقافة القديمة والحديثة ، وخرج من هذه المرحلة بعد أن اتخذ له

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منهج الحرية فى البحث أساسا لمعلوماته حتى سمى نفسه فى هذه الفترة « أزاد » بمعنى حر . وبدأ يدرس ويؤمن من جديد فازداد إيمانه وقوى يقينه واشتدت حماسته لما يؤمن به حتى نجده يقول :

« إن أثمن الكنوز التى قدها الدين الحنيف للعالم هى رسالة الديمقراطية والتساوى بين البشر ، أنا مسلم وأعتز بإسلامى . وبأن تقاليد الإسلام تراثى ، وتعاليم الإسلام وتاريخه وفنونه وآدابه وحضارته هى غنائى وثروتى وواجبى أن أحتفظ بهذا التراث وبهذه الثروة » .

ويقول مبينا خطته فى البحث : — لا أستطيع أن أومن بأمر وأقبله قبل أن أغربله بغربال عقلى وأعرضه على محك فكرى ويقول « إن كل ما وهبت لى أسرتى وبيئتى وأسلمت إلى من أوضاع المجتمع وتقاليده أبيت أن أقتنع به منذ أول يوم ، فما حالت دونى قيود التقليد وعوائده فى أية ناحية قصدتها ، ولم تزل عاطفة الفحص والتنقيب منى طامئة أينما حللت ، فلى فى داخل فؤادى اليوم يقين ، شاكته الظنون بأصنافها وألوانها ، ولى فى أعماق روحى عقيدة ، ابتليت بكل بلاء العصيان ، وعذاب الشك ، ولقد شربت السم من كل كأس . واختبرت دواءه المضاد من كل مستشفى ، وحينما كنت ظمآن لم يكن ظمئى كغيرى كان مشربى غير المنهل العام الذى يشرب منه الناس » .

دخل مولانا أزاد ميدان السياسة من طريق الدعوة إلى الدين الصحيح الذى لا يقبل الاستعباد ويأبى على أتباعه الرضوخ للذل والهوان مثله فى ذلك مثل السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده ، ولم يكن غريبا بعد هذا أن نجد صرخاته فى المسلمين تتشابه فى أسلوبها ومعانيها مع صرخاتهما فقد كانوا جميعا ينهلون من منبع واحد .. ويهدفون إلى هدف واحد منبعهم الإسلام وتعاليمه وحيويته وعزته وكرامته وهدفهم إيقاظ المسلمين ، وبعثهم من جديد ليعيشوا كراما أعزاء كما جعلهم الله ... خير أمة أخرجت للناس .

اقرأ معى صرخة من صرخاته للمسلمين ولاحظ وجه الشبه بينه وبين الأفغانى يقول :

« إن العقل موهبة من الله وهبها لنا لنستخدمها فى الإصلاح ، لا لنضيعها فى الغفلة ، فما بالنا لا نميز بين اليقظة والنوم ، وبين الموت والحياة ؟ ولا نفكر فيما سيقوله عنا التاريخ إذا لم ننهض ؟ وكيف لا تفجع أكبادنا ، وتلتهب أرواحنا ، وتتلاع قلوبنا ؟ وما يمنعنا أن نعنى بجروحنا الدامية ، التى تكاد تقضى على القوة الروحية ؟ ، ما يمنعنا أن نرى ما يجب على العيون أن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تراه ، وأن نفقه ما على القلوب أن تفقهه ، ونسمع ما على الآذان أن تسمعه ؟ ألسنا من أتباع الدين القويم وحاملين أمانة الله ! وخلفاءه فى الأرض ، فما بالنا نخاف ونتخاذل ، ولا نجاهد ، لكى نصبح أحرارا ذوى سيادة ، نتمتع بالكرامة ، ونخطو خطوات واسعة فى سبيل تخليص الأمم المستعبدة من ربقة العبودية ؟ » .

« وإذا أعرضنا ولم نستغل مواهبنا ، فسيطوى التاريخ ما خص لنا من باب حافل بالمجد والشرف ، ويفتح لنا بابا آخر يسجل فيه أمام الأجيال : أن الهند سمت إلى الحرية ، وجاهدت فى نيل الاستقلال ، ونادت أبناءها لحمل لواء الجهاد ، فلبى قوم نداءها ، واحتجب آخرون ، ولجئوا إلى مغارات الذلة . وواحسرتا حين يقول : إن هؤلاء كانوا أمة مسلمة تزعم أنها قائدة الأمم ، وزعيمة الأقوام ! ! » .

كان نضجه مبكرا على غير العادة . . وإن كان على سنة الموهوبين النادرين ، فاندفع بنضجه وموهبته ، إلى خدمة دينه وأمته فى وقت مبكر ، فكان يكتب فى المجلات ، ثم أنشأ له مجلة سماها « لسان الصدق » قبل الهلال والبلاغ وأخذ يكتب فيها مقالاته الدينية على أسلوب عقلى جديد عرف به ، حتى ظنه القراء الذين لم يروه ، شيخا محنكا ، خبر الأيام وخبرته ، فدعاه أعضاء مجلس « جمعية حماية الإسلام » فى « لاهور » إلى إلقاء محاضرة ، عن « الأساس العقلى للدين » ، وهو لم يبلغ العشرين من عمره . وكم كانت دهشة الحاضرين فى الاجتماع ، حين زاوا أمامهم شابا صغيراً ، جاء من بعيد ، ليلقى عليهم محاضرة فى هذا الموضوع الدينى الجديد ، واتجهت أذهانهم إلى أن يكون نائبا عن « أزاد » فى قرارة محاضرته ، ولكنهم حين عرفوا أن « أزاد » الذى سمعوا عنه وقرءوا له ، وأعجبوا به ، هو هذا الشاب الصغير الذى يلقى عليهم محاضرته ، ازدادت دهشتهم وإكبارهم له ...

وحين أصدر سنة ١٩١٢ مجلة « الهلال » فى ثوب لم تألفه المجلات الدينية من قبل ، كان قد ثبت أقدامه على الطريق ، فبدأ يتخذ منها مناراً قوى الإشعاع ، لبث آرائه ونشرها لإيقاظ الهمم الخامدة ، وهدى النفوس الحائرة بأسلوبه الشيق الجديد ، وصدر العدد الأول الأول بكلمة قال فيها :

« رب أدخلنى مدخل صدق ، وأخرجنى مخرج صدق ، واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيرا » ، وبعد : فقد حلت بعين اليقظة النابهة سنة ١٩٠٦ ، ومكثت سنين متتالية ، أبحث عن التعبير العملى لهذه الرؤيا ، وكنت فى غاية الاشتياق ، لتحقيق هذه البغية ، ومازالت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الآمال والعزائم ، ولطالما هاجمنى القنوط مهاجمة عنيفة ، للتغلب على عزائمى ، والنيل من إرادتى ، لكننى تشبثت بعزيمتى المستحكمة معتمدا على عون الله واثقا بتأييده ، إلى أن حان يوم أقول فيه : « هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا » ، ولا يخفى على عالم السرائر ، وعارف الخفايا ما يحيط بى من المشاكل المضنية ، وما يهددنى من الآلام والأحزان ، مما يكاد يذهب معه وعيى ، ويحرمنى طمأنينة البال ، بيد أننا لا نجد مبررا لترك حياتنا تسير معطلة ، وتضييع سدى .

ومالنا نشغل - كعادتنا - بالحديث عن الفشل والخيبة ، وشكوى الدهر !! ليت شعرى .. ماذا دعا الناس إلى الإيمان بأن الحياة لا بد أن تكون مقرونة بالطمأنينة والهدوء ، وما يمنعنا أن نقوم فى وجه النوائب والآلام ألا ترون أن الغواصين يسبحون البحر إلى شاطىء السلام ، بينما يرتعد الخائفون وجلا وهم راكبون فى السفن ، إلا أن الحياة مقرونة بالشدائد لا فكاك لها قبل الموت ، فهلا روض الشاكون الناحبون نفوسهم ، لاحتمال المشاق ، ومكابدة الشدائد ، فعبروا الأبحر دون خوف أو خشية ؟!.

وهكذا بدأ يخاطب العقل بجانب العاطفة ويغوص إلى أعماق النفوس ، فهزها لتسير معه ، وتنفض عنها غبار الخوف والجبن ، وتقتحم الحياة وصعابها دون تردد . ويذكرهم بأمجادهم ، وأسلافهم ، ليعيدوا سيرتهم ، ويكونوا خير خلف لهم ، وينذرهم عاقبة القعود والجحود ، وترك الميدان لغيرهم يسبقهم ، بينما يسجل التاريخ لهم صفحة خزى وعار .

فيقول مفتتحا كلمته بآيات فاصلة من القرآن الكريم .

« يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن الحكم إلا لله ... الآية » . ثم يقول : « يا قوم اعلموا وأدركوا ، أنه ما قدر له أن يكون سيكون ، وما من أحد يحول دون حدوثه ، وسيأتى يوم تكون الهند فيه قد اجتازت آخر مراحل التطور السياسى ، وسيسجل التاريخ تقدم البلاد وخطواتها فى سبيل النهضة ، أفلا فكرتم فيما سيسجله التاريخ عنكم .. إلخ » .

وفى الوقت الذى يهز فيه النفوس بهذه الكلمات يتجه إلى العلماء الذين يقودون العامة ويغذونهم بالمعلومات الدينية فيكتب لهم فى صدر مجلته مقالا باللغة العربية أحيانا وهو يجيدها ، وهم يعرفونها كذلك ليزحزحهم عما اعتادوه من تقليد ، ويدفعهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تدرّج القرآن فى تشريعات التحريم

للدكتور سعد الدين الجيزاوى

جاء الإسلام ليبنى مجتمعا سليما ، متكاملا الجوانب على أسس صالحة لكل زمان ومكان ، مكان مجتمع كانت تسوده الفوضى ، وتنتشر فيه عادات ألفها الناس دون نظر إلى ما فيها من صلاح أو فساد ، ولم يكن ذلك عجيبا من قوم ألفوا عبادة الأوثان لا لمنافع رأوها فيها ، بل لأنهم وجدوا آباءهم كذلك يفعلون.

وبعد أن اخترقت دعوة التوحيد شغاف القلوب ، وتنبهت العقول إلى ما كانت فيه من غفلة ، أصبحت النفوس مستعدة لقبول مبادئ الإصلاح ، واقتلاع ما كان متأصلا من سيىء العادات ، وقبيح الأفعال ، أسوة بما اقتلع من جذور الوثنية والإشراك ، ومن ثم فقد تداركت رحمة الله العباد بما جاءتهم به آيات الكتاب الكريم من تشريعات صالحة ، ومبادئ سليمة ، اطمأنت إليها

(بقية المنشور على صفحة ١١٠١)

للقضاء على الخرافات والبدع ، التى اندست على الإسلام ، وتسربت لأذهان العامة ، فاعتبروها خطأ — من الدين ، وليست من الدين فى شيء ، كان يدعو العلماء للتحرر العقلى ، وتناول القضايا الدينية ، بروح العالم المفكر الفاهم لأهداف الدين وروحه ، الذى لا تهمه القشور ، ولا يثير خلافات عليها ، يفرق بها ، كلمة المسلمين . ويزيد من ضعفهم وكان يهدف من هذا كله إلى فهم روح الدين ، الذى لا يرضى بالذل والاستعباد ، ولا بالتأخر والجمود والضعف ، حتى إذا فهم العلماء هذا استغلوا نفوذهم وسط عامة الشعب المسلم فبعثوا فيه الهمم النائمة ، ودفعوه إلى الركب المتحرك العالمى .

وحينما كنت بالهند وقع فى يدى العدد الأول من مجلته « البلاغ » التى أصدرها بعد ما عطلت السلطات البريطانية مجلة « الهلال » وكان هذا العدد بتاريخ الجمعة (٤ من المحرم سنة ١٣٣٤ هـ ١٢ نوفمبر ١٩١٥ م) فكانت افتتاحية هذا العدد باللغة العربية ففرحت بها أيما فرح ، وأقبلت على قراءتها بشغف ، فلمست فيها روح جمال الدين الأفغانى ، وأحسست فيها أسلوبا مثل أسلوبه ، وقدرة فائقة ، وتوفيقا بالغا فى الاستشهاد بالقرآن والسنة ، كانت الافتتاحية طويلة وعنوانها « الاجتهاد والتقليد » حرصت على نقلها كما هى كأثر من آثار مولانا أزاد باللغة العربية أحتفظ به حتى تتاح الفرصة لدراسة شاملة عن مولانا أزاد ... وإلى العدد القادم إن شاء الله ؟

عبد المنعم النمر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تدرّج القرآن فى تشريعات التحريم

للدكتور سعد الدين الجيزاوى

جاء الإسلام ليبنى مجتمعا سليما ، متكاملا الجوانب على أسس صالحة لكل زمان ومكان ، مكان مجتمع كانت تسوده الفوضى ، وتنتشر فيه عادات ألفها الناس دون نظر إلى ما فيها من صلاح أو فساد ، ولم يكن ذلك عجيبا من قوم ألفوا عبادة الأوثان لا لمنافع رأوها فيها ، بل لأنهم وجدوا آباءهم كذلك يفعلون.

وبعد أن اخترقت دعوة التوحيد شغاف القلوب ، وتنبهت العقول إلى ما كانت فيه من غفلة ، أصبحت النفوس مستعدة لقبول مبادئ الإصلاح ، واقتلاع ما كان متأصلا من سيىء العادات ، وقبيح الأفعال ، أسوة بما اقتلع من جذور الوثنية والإشراك ، ومن ثم فقد تداركت رحمة الله العباد بما جاءتهم به آيات الكتاب الكريم من تشريعات صالحة ، ومبادئ سليمة ، اطمأنت إليها

(بقية المنشور على صفحة ١١٠١)

للقضاء على الخرافات والبدع ، التى اندست على الإسلام ، وتسربت لأذهان العامة ، فاعتبروها خطأ — من الدين ، وليست من الدين فى شيء ، كان يدعو العلماء للتحرر العقلى ، وتناول القضايا الدينية ، بروح العالم المفكر الفاهم لأهداف الدين وروحه ، الذى لا تهمه القشور ، ولا يثير خلافات عليها ، يفرق بها ، كلمة المسلمين . ويزيد من ضعفهم وكان يهدف من هذا كله إلى فهم روح الدين ، الذى لا يرضى بالذل والاستعباد ، ولا بالتأخر والجمود والضعف ، حتى إذا فهم العلماء هذا استغلوا نفوذهم وسط عامة الشعب المسلم فبعثوا فيه الهمم النائمة ، ودفعوه إلى الركب المتحرك العالمى .

وحينما كنت بالهند وقع فى يدى العدد الأول من مجلته « البلاغ » التى أصدرها بعد ما عطلت السلطات البريطانية مجلة « الهلال » وكان هذا العدد بتاريخ الجمعة (٤ من المحرم سنة ١٣٣٤ هـ ١٢ نوفمبر ١٩١٥ م) فكانت افتتاحية هذا العدد باللغة العربية ففرحت بها أيما فرح ، وأقبلت على قراءتها بشغف ، فلمست فيها روح جمال الدين الأفغانى ، وأحسست فيها أسلوبا مثل أسلوبه ، وقدرة فائقة ، وتوفيقا بالغا فى الاستشهاد بالقرآن والسنة ، كانت الافتتاحية طويلة وعنوانها « الاجتهاد والتقليد » حرصت على نقلها كما هى كأثر من آثار مولانا أزاد باللغة العربية أحتفظ به حتى تتاح الفرصة لدراسة شاملة عن مولانا أزاد ... وإلى العدد القادم إن شاء الله ؟

عبد المنعم النمر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفوسهم ، وأقبلت عليها قلوبهم ، فراحوا يتلقونها بصدور رحبة ، ويتفهمونها ، ويستزيدون فى تفهمها ، ويستفسرون عما يخفى على فهمهم منها ، وكانت الآيات تجيبهم عما يسألون فى رفق وتدرج ووضوح ، فكانت أحكام تأتى بعد أحكام : تنسخها ، على قول من يعتبرون النسخ من علماء التفسير أو تقيد إطلاقها ... حتى كملت هذه المبادئ السامية فى تشريعات الإسلام يوم ، نزل قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » (المائدة ٣).

ونعرض فى كلمتنا هذه صورة من أسئلة المؤمنين ، وإجابات السماء عليها تبين كيف كان التدرج فى التشريع :

قال تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل : فيهما إثم كبير ، ومنافع للناس ، وإثمهما أكبر من نفعهما » .

« ويسألونك : ماذا ينفقون ؟ قل العفو . كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون . فى الدنيا والآخرة .

« ويسألونك عن اليتامى . قل : إصلاح لهم خير . وإن تخالطوهم فإخوانكم . والله يعلم المفسد من المصلح . ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم » (البقرة ٢١٩ - ٢٢٠) .

وكانت هذه الأسئلة وأمثالها صادرة عن يقين ، رغبة فى الاطمئنان إلى إرساء قواعد المجتمع السليم الذى يتفق مع قوم قد عرفوا ربهم ، وآمنوا به وبرسوله ، ورسخ فى نفوسهم أن هناك يوما آخر يقوم فيه الناس لرب العالمين فيحاسبون على كل كبيرة وصغيرة : الخير خير والشر شر ، حساباً عادلا

ولقد كان من العادات الشائعة فى الجاهلية عادة شرب الخمر ولعب الميسر . فأما الخمر فقد كانت لها مجالس يغشاها الفتيان والشيوخ وفى كثير منها النساء والفتيات ، ولم يكن هناك تحرج أو تأثم فى تناولها ، اللهم إلا قبيل ظهور الإسلام حين كانت هناك إرهاصات عامة تؤمن بضرورة عهد جديد تتغير فيه عامة الأوضاع فقد أخذ بعض عقلاء القوم يتحرجون بعض الشىء عن مجالسها وتناولها .

ونظراً لأن شرب الخمر كان من الأمور المسيطرة على النفوس ، فقد تدرج التشريع الإسلامى فى تحريمها ، وكان هذا التدرج على مراحل أربعة : المرحلة الأولى كانت فى آية النحل . « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقا حسنا [1] » ، وفى تفسير هذه الآية عدة أوجه .

منها أن المراد بالسكر : « الخمر » . وأن ذلك قبل التحريم ، ثم نسخت الآية بآية المائدة : « يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر

(١) النحل ٦٧ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

ومنها أن المراد بالسكر : الخمر أيضاً ولكن مقابل الرزق الحسن أى أنكم تتخذون مما هو حلال مباح : نوعين : أحدهما الخمر وهو خبيث ، والآخر ما تأكلونه طيباً من هذه الثمرات وتربحونه من مكاسب .

ومنها أن المراد بالسكر : « النبيذ » الذى لا يعتبر خمرا فى بعض أقوال الحنفية ، وهو ما طبخ من عصير التمر والزبيب والعنب حتى ذهب ثلثاه ، وعلى هذا لم يكن هناك نسخ « والأقوال الثلاثة مقبولة ، وأولها هو المناسب لتدرج التشريع [1] .

والمرحلة الثانية فى تحريم الخمر كانت الآية التى صدرنا بها هذا المقال ، فعند ما رأى كبار الصحابة أمثال عمر بن الخطاب ، ومعاذ ابن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشرب الخمر أبدا أدركوا أن وراء هذا الامتناع سرا وراحوا يسألون الرسول الكريم عن حكم الله فى شربها فنزلت الآية الكريمة مناسبة للظرف الذى وجه فيه السؤال من فترة التشريع وعندئذ أخذ كثير من الصحابة يمتنعون عن شربها .

وكانت المرحلة الثالثة عند ما خلط بعض الصحابة آيات من القرآن الكريم عند ما كان يؤم بعض إخوانه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتم كثيرا وانتظر حكم السماء وسرعان ما نزل قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » [1] وهنا ترك أكثر الصحابة شربها ، وإلى هذه المرحلة لم يكن هناك تحريم بات ، وإنما كانت الآيات تحذيرا وتنبيها على ما فى الخمر من أضرار .

أما المرحلة الأخيرة فقد كانت عندما تلاحى جماعة من المسلمين بالمدينة المنورة وتضاربوا وثارت بينهم فتنة أشبه بما كان يجرى فى الجاهلية من التفاخر والتهاجى بعد أن لعبت الخمر برءوسهم ما لعبت ، وغضب الرسول لما حدث ، وغضب كبار الصحابة ، واتجه عمر إلى الله يسأله أن يبين لهم فى الخمر بيانا شافيا ، واستجاب الله فأنزل على رسوله هذا البيان الشافى « يأيها الذين آمنوا : إنما الخمر ، والميسر ، والأنصاب ، والأزلام ، رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » [2] وهنا قال عمر : قد انتهينا يا رب .

(١) وقد عرفوا الخمر بأنه ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وكذلك نقيع التمر أو الزبيب الذى لم يطبخ وذهب ثلثاه فعلماء الحنفية على خلاف فى إباحته ، والقاعدة العامة فى تحريم الخمر أن : « كل ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

(١) النساء ٤٣ .
(٢) المائدة ٩٠ — ٩١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهل بعد هذا البيان من دليل على تحريم الخمر ؟ إنها قرنت فى الآية بالأنصاب فهى تعدل فى جرمها عبادة الأوثان ، وفعل الأمر « فاجتنبوه » صريح فى النهى عن شربها .

هذا هو الحديث عن « الخمر » الذى كان جزءا من السؤال ، أما الجزء الآخر وهو « الميسر » الذى صار عاملا فى هدم الأسر وخراب البيوت وخلق طائفة من المتعطلين الواهمين فى كسب غير ثابت ولا مشروع ، فإن فكرته الأولى كانت أشبه شىء بالاكتتاب لمساعدة الفقراء والمعوزين ، إذا كان العرب بادئ ذى عند ما يشتد القحط يأتون ببعير يذبحونه ويجزئونه ثمانية وعشرين جزءا ، وكانت لهم عشرة أقداح - أسهم - يوزعون على سبعة منها أجزاء البعير وهى « الفذ » وله سهم واحد ، والتوأم وله سهمان ، والرقيب ثلاثة ، والحليس أربعة ، والنافس خمسة والمسبل ستة ، والمعلى سبعة (وهذا هو مورد المثل المشهور عندما نقول : لفلان القدح المعلى) .

أما السهام الثلاثة الباقية (المنيح السفيح والوغد) فليس لها أنصباء وكانوا يضعون هذه السهام العشرة فى جراب ثم يجيلونها ويطلبون من أحدهم إدخال يده فى الجراب وإخراج سهم على اسم فلان من المستهمين وهكذا ، فمن خرج له سهم ذو نصيب أخذه ووزع قيمته على الفقراء ومن خرج له أحد السهام الثلاثة الأخيرة ألزم بدفع ثمن البعير كله ، وقد كان هذا العمل من مفاخر الجاهلية إلى أن تنوسى هذا الأصل وصاروا يتخذون السهام للربح دون نظر إلى معونة الفقراء ، واستمروا ذلك بطول الزمن ثم بالغوا فيه حتى إن الرجل كان يقامر بكل ما يملك ويصبح معدما بعد يسار .

ولما كان الإسلام ينشد المجتمع الصالح فقد وجه أنظار المسلمين عند ما سألوا عن حكم هذا العمل بأن ما فيه من مضار أكثر مما فيه من منافع ، ثم نهى عنه كلية عند ما قرنه بالأنصاب ، وخاطب المسلمين بفعل الأمر : فاجتنبوه .

ولم يكن تحريم الخمر والميسر عبثا بل كان لحماية الأبدان والأموال ، وتفصيل ذلك يحتاج إلى صفحات وصفحات ، فتبارك الله الذى شرع لعباده كل ما فيه خيرهم وصالحهم .

ماذا ينفقون ؟

« ويسألونك : ماذا ينفقون ؟ قل : العفو » [1] .

ولما كان إنفاق المال من الأمور التى تشق على أكثر النفوس البشرية فقد وجه القرآن أنظار المسلمين فى آيات كثيرة مبينا لهم فضل الإنفاق مرغبا إياهم فى البذل فى مثل قوله

(١) البقرة ٢١٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تعالى «وأنفقوا فى سبيل الله»(١) و «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه (٢)» ، «من ذا الذى يقرض الله قرضا حسناً فيضاعفه له أضعافا كثيرة(٣)» إلى غير ذلك . وحرصاً من المسلمين الأولين على أن يقع إنفاقهم موقعا يرضى الله ورسوله فإنهم راحوا يسألون الرسول تارة عن نوع المال الذى ينفقون ـ وتارة عن مقداره ـ وثالثة عن الجهة التى ينفقون فيها .. فكانت الآيات تجيبهم إجابات تناسب مقام السؤال ففى الآية التى نحن بصددها بيان بأن الإنفاق إنما يكون من القدر الزائد على حاجات المرء الأصلية دون إرهاق وفى موضع آخر كانت الإجابة عن بعض مصارف النفقة الواجبة للوالدين والأقربين ولغيرهم من اليتامى والمساكين ... «قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل (٤)» .

وليس فى دعوة الإسلام إلى الصدقة أو فى فرض الزكاة على الأغنياء لمستحقيها ليس فى ذلك شيء يدعو إلى البطالة أو خلق طبقة تتكفف الناس وإنما هو نوع من التعاون الاشتراكى يعود فيه ذو اليسار بفضله على المعسر حتى تصلح حاله ويشعر أهل المجتمع أنهم أسرة واحدة . وقد نهى الإسلام عن التكفف ودعا إلى العمل ورسم إلى ذلك أمثل الطرق .

رعاية اليتامى والنساء

ومن حرص التعاليم الإسلامية على سلامة المجتمع وإقامة عدالة اجتماعية شاملة كانت عناية تلك التعاليم بشأن الأيتام الذين لا يملكون من أمر التصرف فى أموالهم شيئا . فقد كانت الولاية على أموال الأيتام إلى بعض أقربائهم ولما كانت هذه الأموال مظنة الطمع فيها ولا سيما إذا كان الولى ضعيف النفس غير أمين فقد توالت الآيات فى النصح للأيتام والحرص على ما فيه مصلحتهم حتى يشبوا ويكبروا ومن ذلك قول الله تعالى «ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن» (١) وقوله «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا» (٢) وقوله: «وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ، إنه كان حوبا كبيرا» (٣) ولقد تحرج كثير من المسلمين بسبب ما فى هذه الآيات من تحذير ، وعزلوا أموال

(١) البقرة ١٩٥ .
(٢) ١ ـ سبأ ٣٩ .
(٣) البقرة ٢٤٥ .
(٤) البقرة ٢١٥ .

(١) الإسراء ٣٤ .
(٢) النساء ١٠ .
(٣) النساء ، والحوب ، الذنب والإثم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اليتامى التى كانت لهم عليها ولاية عن أموالهم ، وأصبحوا يرون فى التعامل معهم مظنة للجور وقد كان فى هذا العزل خسارة على الأيتام ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتجه إلى الله يسأله البيان ، فنزل قوله تعالى: « قل : إصلاح لهم خير . وإن تخالطوهم فإخوانكم ، والله يعلم المفسد من المصلح ».(١)

وقد تضمنت هذه الإجابات أمورا أهمها: أن المحافظة من حيث هى لا ضرر فيها ما دامت النيات فى إصلاح شأن اليتيم خالصة ، بل ينبغى أن تكون هذه المخالطة لازمة على أن تراعى مصالح اليتيم كما تراعى مصالح الوصى نفسه ، واعتبرت الآية أن اليتيم أخ للوصى . وقد لجأت الآية إلى مخاطبة الذات العليا من الإنسان وهو الضمير : « والله يعلم المفسد من المصلح » أى أن المظاهر لا وزن لها لأن الله تعالى يعلم السرائر . وفى الترغيب فى هذه المخالطة رعاية من الله بشأن الأيتام .

وهكذا نرى كيف كانت إجابة السماء على أسئلة السائلين فيها تعليم وإرشاد ، وكانت متمشية مع ظروف السائلين ومدى حاجتهم إلى المعرفة حينا ، صالحة لكل زمان ، متدرجة مع تطور فترة التشريع .

وتمشيا مع سياسة القرآن فى التعقيب بدرس مفيد عقب إجابة السائلين وحرصا على البيان والتفصيل فى أدق الأمور التى تتصل بالأسرة فقد عقب بعد الإجابة على أسئلة المؤمنين عن الخمر والميسر والإنفاق واليتامى بتوجيه النظر إلى أمر هام فى بناء الأسرة وهو أن يكون ركناها : الرجل والمرأة مؤمنين ، لأنه إذا كان أحد الطرفين مشركا تسبب عن ذلك فساد الذرية . وقد راعى القرآن هنا حالة نفسية أصيلة فى نفوس البشر ، هى الإعجاب والميل الجنسى ، فنهى عن اختيار أحد الطرفين ولو كان قد أعجب الطرف الآخر ما دام مشركا فقال تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ، ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار ، والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ، ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون» . ٢٢١ البقرة).

والمقصود هنا : المشركون والمشركات الذين لا كتاب لهم . أما عن أهل الكتاب فقد نزلت آيات أخرى تبيح زواج المسلم من الكتابية دون العكس : « اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم . والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » .(١)

دكتور سعد الدين الجيزاوى

(١) البقرة ٢٢٠ .

(١) المائدة (٤) .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شكيب أرسلان الناقد

آراؤه في الشعر

للأستاذ أحمد الشرباصي

حقيقة الشعر :

في سنة ١٩١٢ نشر مصطفى لطفي المنفلوطي كتابه (مختارات المنفلوطي) وفيه مقال عنوانه (حقيقة الشعر) **لأمير البيان الأمير** شكيب أرسلان[1] ، وفي هذا المقال تصوير لرأي شكيب في حقيقة الشعر ومكانته ، ولذلك يستحق التلخيص والتعليق .

يعبر شكيب عن الشعر بأنه قول ثقيل وعبء عقلي باهظ ، لا يحسنه إلا أصحاب (السليقة الفائقة ، والطبيعة الصافية التي لا تتاح إلا للآحاد ، ولا يؤتاها إلا الأفراد ، يكاد قائله يتجرد من عالم المادة بقوة نفسه ، وشفوف حسه ، ويلحق بالملأ النوراني في مضاء عزمه ، وورى زنده ، وسرعة فكره ، ولو كانت الكهربائية شخصاً لكانت هي الشاعر)

ثم يذكر شكيب أن القدامى كانوا يحسبون الشعر (قوة من وراء الطبيعة ، وربما جعلوا له شياطين . وكان الشعر في الجاهلية دولة وملكا) . وذكر أنهم كانوا يجلون النابغ من الشعراء إجلالهم للأمراء والرؤساء ، وإذا جاءهم رسولهم بكلام معجز أحالوه على الشعر ، كأن الشعر هو (الدرجة الثانية التي يمكن أن تنزل عنها الآيات من عتبة الوحي) .

ويرى أن الشعر هبة من الله ، وقوة روحية يفيضها على من يشاء من عباده ، فتحلق به في سموات الخيال ، فيرى الطبيعة في أجمل صورها ، ثم يصور مشاهدها بلغة شبيهة بموضوعها ، فإذا (فكر سام ، ومقام شريف ، وما أردت من معنى بكر ، ولفظ جزل ، لذلك قيل : إن الشعر هو لغة تامة) .

ويشير شكيب إلى أهمية الانفعال في الشعر واستمداد فيوضه من منابع النفس والقلب ، فيقول : (وإذا تغلغل الشاعر في أنحاء النفس وأحناء القلب ، وهام في أودية الانفعال ، وأخذ يؤدي من هناك ما يلقيه إليه مضاعفاً هوى ملح ، وشوق هاف ، وحب شاغف وتمن واصب ، وتوسل هالع ، ورغبة ورهبة وإيمان كإيمان العجائز ، ثم آب من أودية إحساساته وأعطاف فراساته بذلك إلى سامعيه أشجى وأصبى ، وأرقص وأبكى ، وأحرق

---

(١) مختارات المنفلوطي ، ص ٨٣ ـ ٨٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأروى ، ونضر وأذوى ، وأيأس وأرجى وأفقر وأغنى ، وأسعد وأشقى ، وبلغ من كل مقام الغاية القصوى ، وجذب بأفنان سدرة المنتهى) .

* * *

ثم يذكر شكيب عدة تعريفات وجيزة للشعر ، هي هذه التعاريف :

١ ـ الشعر مظهر المرء في أسمى خواطر فكره ، وأسمى عواطف لبه ، وأبعد مرامي إدراكه .

٢ ـ الشعر هو رؤية الإنسان الطبيعة بمرآة طبعه .

٣ ـ الشعر شعور عام ، وحس مستغرق يأخذ المرء بكليته ، ويتناوله بجميع خصائصه ، حتى يروح نشوان خمرته ، أسير رأيته ويريه الأشياء أضعافا مضاعفة ، ويصورها بألوان ساطعة وحلى مؤثرة تفوق الحقائق .

٤ ـ الشعر كلام ياقي بلسان الإحساس ، ونطق ينزل عن وحي المخيلة ، وأوصاف يقضي بها الشوق .

ويلتفت شكيب لفتة شاعرية ، إذ يعلل للمبالغة في الشعر فيقول : « وإنما كانت المبالغة زيادة على الحقيقة لتمكين السامع من الوصول إلى مقدار الحق ، والحرص على ألا ينقطع منه قسم على طريق الإلقاء وفي أثناء الانتقال ، فكأن هذه الزيادة جعلت لتملأ الفراغ الواقع بين المدرك والمدرك ، حتى لا يصل إلى الذهن إلا كاملا بكل قوته ، ولا يحل في العقل إلا بجميع حاشيته » .

ويرى شكيب أن الشاعر أن يفتن في الأساليب بحسب اختلاف المطالب ، ويتعرض لموسيقى الألفاظ والعبارات الشعرية . فيقول: « وللشعر سعة المذهب ، والتفنن في شعوب القول بحسب ما تقتضيه المطالب ، فهو ملك الكلام ، يتصرف فيه كيف يشاء ، فيه تجسيم المجرد ، وتجريد المجسم ، وتشبيه المجردات بالمحسوسات ، وتلطيف المحسوسات إلى درجة المجردات ، فتارة يجسم المجرد حتى يكاد يحس ويمس ، وتقع عليه الأيدي ، وتنعكس أشعة نوره على العين ، وتهتز دقائقه فتهز طبلة الأذن ، وطورا يهفهف [1] به الملبوس ، ويهلهل حتى يشف شفوف البلور ، ويسطع من ورائه النور » .

ويرى شكيب أن الكلام لا يحيط بكل الانفعالات مهما كان الإنسان ذلق المنطق قوي الأداء مبين اللسان ؛ لأن الألفاظ تتقاصر عن الإحاطة بجميع المعاني : « وأنى للشاعر أن يتغنى لسانه بكل ما يتغنى به جنانه؟ وأين الثريا من يد المتناول ؟ فإن اللغة رموز محدودة وإشارات مخصوصة ، وهي تطمع أن تعبر عما في النفس البشرية ، والنفس البشرية عالم بنفسه » .

(١) يهفهف : يرفق .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ثم يعود ليتحدث عن مكانة الشعراء وأنهم أمراء الكلام ، ولهم حق التصرف باللغات ، ويتحدث عن خلود الشعر والعناية بروايته منذ القدم ، وأن ذكرى الملوك تذهب وتبقى ذكرى الشعراء ، وأن الشعر يحفظ اللغة ويسجل التاريخ ، ويزيل عن القلوب صدأ الكروب ، وأن أبقى الآثار الآدمية هو القول ، وأبقى القول هو الشعر ، إذ يتناثر النثر تناثر الشرر ، وأما الشعر فيرسخ رسوخ النقش على الحجر ، وقد تزول النقوش ولا يمحى الشعر من رءوس البشر !

هذه خلاصة وافية لمقال (حقيقة الشعر) ، ونلاحظ عليه عدة ملاحظات :

١ - أتى شكيب فى صدر المقال بمفردات غريبة لاحاجة إليها ، وكأنه أراد أن يتفاصح بها ، فذكر هذه الألفاظ : (الخناذيذ القرح - المغاوير السبق - الناخعون الكمل - المنة الوثيقة) .

وكان يستطيع أن يقول مكانها : (المجيدون المبرزون - الأبطال السابقون - الخبراء الكاملون - القوة المحكمة) .

٢ - أجاد التعليل حينما ذكر أن الجاهليين حينما جاءهم كلام الله ولم يخضعوا له قالوا عنه إنه شعر ، كأن الشعر فى اعتقادهم هو مايلى الوحى .

٣ - كان موفقا عند ما تحدث عن أهمية الانفعال فى الشعر ، واستمداده من القلب والنفس ، وليت شكيب طبق هذا المبدأ على نفسه فى شعره إذن لصار لشعره شأن آخر ، فقد كان فى شعره يجيد الصنعة أكثر من استجابته للانفعال .

٤ - نلاحظ أن تعاريفه للشعر فيها اختصار وتعميم وإبهام ، وقد وقع فى هذه التعاريف تكرار لبعض المعانى ، ولعل أقرب هذه التعريفات إلى حقيقة الشعر هو التعريف الأخير : (الشعر كلام يلقى بلسان الإحساس ، ونطق ينزل عن وحى المخيلة ، وأوصاف يقضى بها الشوق) لأنه جمع الأصول اللازمة للشعر وهى : الإحساس ، والتخيل ، والوجدان .

٥ - ومن النبضات الحية فى المقال تعليله المبالغة فى الشعر ؛ لأن الشعر وصف لإحساس ولو عانى السامع ما عاناه القائل من إحساس ، لأدرك كإدراكه ، وتأثر بالشىء المحس كإدراك الشاعر الذى يتحدث عنه ، ولكن الشاعر أحس ولمس ، والسامع سمع فحسب ، وشتان بين الرؤيا والسماع ، فالإحساس أقوى من الإدراك ، والمشاهدة أقوى من الحكاية ، والصورة أوضح من الكلمة . فلكى يعوض الشاعر الفرق بين معاناة التجربة والاستماع إلى حديثها ، يعمد إلى لون من المبالغة فيعرض الشىء فى شعره مضاعفا ، ويصوره بألوان ساطعة ، ويحليه بحلية تزيد عن الحقيقة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٦ ـ كان شكيب موفقا حين تحدث عن لزوم تصرف الشاعر فى القول بحسب ما تقتضيه المطالب ، بحيث يجسم المجرد إذا أراد تقريبه وتمثيله ، ويجرد المجسم إذا أراد له الدقة والعمق المؤديين إلى إثارة التأمل والبحث .

٧ ـ وكان موفقا حين ذكر أن الألفاظ مهما كثرت تتقاصر عن الإحاطة بجميع المعانى ، ولذلك قال الكثيرون إن اللغة عبارة عن رموز وإشارات ، وليست رسما كاملا ولا نقلا تاما ، و « أخذ الأدباء والشعراء ينكرون على اللغة قدرتها على أن تنقل إلينا حقائق الأشياء ، وقالوا إنها لا تعدو أن تكون رموزاً تثير الصور الذهنية التى تلقيناها من الخارج ، أو كوناها من الجمع بين أشتات من الصور التى تلقيناها من ذلك الخارج ، وعلى هذا الأساس لا تصبح اللغة وسيلة لنقل المعانى المحددة أو الصور المرسومة الأبعاد ، وإنما تصبح وسيلة الإيحاء .

ولما كانت وظيفة الأدب الأولى هى توليد المشاركة الوجدانية بين الكاتب والقارئ أو المشاهد ، فقد قالوا بأن الأدب لا يسعى إلى نقل المعانى والصور المحددة ، وإنما يسعى إلى نشر العدوى ونقل حالات نفسية من الكاتب إلى القارىء ، أو على الأصح الإيحاء بها ، وبالتالى يسعى الأدب أو الشعر الرمزى إلى أن ينقل وقع الأشياء الخارجية أو الداخلية من نفس إلى نفس [1] » .

٨ ـ أكثر شكيب فى مقاله من المترادفات والألفاظ الخطابية مع تكرار المعانى ، مع أن الموضوع يحتاج إلى دقة وضبط ؛ لأنه يتحدث عن « حقيقة الشعر » .

شروط الشاعرية :

والشاعرية فى رأى شكيب شروط ذكرها حينما حكم « لشوقى » بأنه استوفى جميع شروط الشاعرية . وهى (النسج الرقيق المتين ، والأسلوب الرشيق الرصين ، واللغة العربية الفصحى التى لا تؤتى من جهة ، والمعنى المتناهى فى الدقة ، اللابس من اللفظ أجمل حلة ، والانسجام المطرد من الأول إلى الآخر فى سكب واحد وسبك متوارد) .

ونلاحظ أن فى الشروط تكراراً ، فما الداعى إلى قوله (اللابس من اللفظ أجمل حلة) بعد أن ذكر قبله قوله : (والأسلوب الرشيق الرصين) ؟ . وماذا يريد بالانسجام المطرد من الأول إلى الآخر ؟ أيريد أن يكون لكل كلمة مع صاحبتها مقام ، أم يريد وحدة الموضوع وتسلسل الفكرة ؟ .

ولم يكتف شكيب بالحديث عن شروط الشاعرية فى نثره ، بل تحدث عنها فى شعره فقال:

---

(١) محاضرات فى الأدب ومذاهبه ، ص ٧٧ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

... ...

والشعر أن تجد النفوس رضاءها
والشعر ما رسم الضمائر ناقلا
منها الكنائن ، نالجا أحناءها
والشعر ما ترك المعانى مُثَّـــلا
فتكاد تلمس بالأكف هباءها
والشعر حيث يقال : من ذا قالها
ماالشعرحيث يقال: من ذا قالها[1]

وهذه الأبيات تذكرنا بمقاله (حقيقة الشعر) فهناك تحدث عن الطبيعة الصافية ، والقوة الروحية ، والتغلغل فى أنحاء النفس ، وأحناء القلب ، والهيام فى أودية الانفعال ، وعن مضاعفة الشيء ، وتجسيم المجرد ، والتفنن فى القول ؛ وهنا يتحدث عن رغبات النفوس ، ونجوى الضمائر ، واستبطان ما فى أعماقها لنشر ما فى أحنائها ، وتمثيل المعنويات حتى تصير كالمحسات ، وحتى تكاد صغائرها تلمس بالأكف ، فيعجب الناس بمن يحقق هذا ، ويهتفون باسمه . فبين المقامين تشابه وتقارب .

ولكننا نلاحظ أن البيت الأخير من الأبيات السابقة لا يعطى شرحا محدداً ، ولعل شكيب اندفع إليه بهوى المقابلة بين كلتى (قالها) و (قاءها) ، مع ما نحسه من بعد الكلمة الأخيرة عن لغة الشعر !.

ومن يدرى ، لعل هذا هو السر فى أن شكيب حذف هذا البيت من القصيدة حين أوردها فى كتابه عن شوقى[1] .

وإذا كان شكيب فى مقال (حقيقة الشعر) قد وصف الشعراء بأنهم يكادون يلحقون بالملأ النورانى ، وأنهم كالأمراء والرؤساء فى مكانتهم وجلالة قدرهم ، وأنهم ملوك الكلام ، وأن شعرهم أبقى الآثار ، فلا غرابة إذا رأيناه يوصى الشاعر بأن يجعل الشعر فوق كل شيء ، وفوق كل منحى من مناحى الحياة ، مادام يريد أن يكون شاعراً علما ؛ فيقول شكيب :

« ولا يجوز للشاعر أن يجعل السياسة أو الاقتصاد أو الصناعة أو الفقه أو شيئا آخر من مناحى الحياة فوق الشعر ، بل ينبغى أن يكون الشعر هو غرضه الأول ، وأن تدور حياته من حوله ، فجميع المشاغل تكون له فضلة ويكون الشعر هو العمدة .

ولهذا قال خليل مطران : (إن شوقى كان يفكر فى الشعر قاعداً وقائما ، وحاضراً وباديا ، وسائرا وساريا ، وفى المركبة وماشيا ، إلى غير ذلك ... فقد قام نحو الشعر بالواجب الذى لم أقم به أنا ولا غيرى ممن جعل الشعر فضلة عمله ، ولم يقله إلا عند الضرورة .

---

(١) ديوان الأمير ، ص ٤٤ .

(١) كتاب (شوقى) ، ص ٨٥ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قد أعطى شوقي نفسه للشعر ، فأعطاه الشعر مالم يعط غيره في هذا العصر »[1] .

وهو يتحدث هنا عن الشاعر الذي يريد أن يأتي أولا ، وإلا فهناك شعراء جمعوا بين الشعر وغيره من الأعمال ، وكان شعرهم جيداً ، وإن لم يتصدروا الطليعة بين الشعراء .

* * *

ويقول شكيب : (ومن المعلوم أن صاحب الصنعة إنما يتقدم فيها إذا كان راغبا لا متكلما ، ومغرما لا متبرما ، وكان مجتهداً أن يبدع فيها لأجل الإبداع ولأجل سبق غيره من الصناع[2]) .

ونلاحظ هنا أنه لم يذكر (الهبة) أو (الطبع في الشعر) مع أنه قال في مقالة (حقيقة الشعر) إن الشعر لا يحسنه إلا أصحاب الطبيعة الصافية ، وقال فيها أيضا إن (الشعر هبة من الله) .

ولو اقتصرنا على الرغبة والمحبة وحدهما - دون الموهبة والاستعداد والمعاناة والتمرس والاقتداء والتجربة - لما كفت الرغبة والمحبة وحدهما لتخريج شاعر . فما أكثر الذين يرغبون ويحبون أن يكونوا شعراء ، ثم لا يكونوا ، لأنهم حرموا الطبع الشعري ، واكتفوا بالأماني ، وإنما هي بضائع النوكى .

* * *

ولقد يريد شكيب أن يبدي رأيا في بعض الشعر ، أو يحدث أن يطلب إليه طالب أن يبدي هذا الرأي ، فيأتي حديثه غير محدد ، فيه التعميم والتوسع ، والتعبير بالألفاظ البراقة والعبارات الطنانة ، دون أن تستبين بها معالم واضحة ، ويمكن أن نسوق على ذلك أكثر من شاهد :

يقرأ الأمير في سنة ١٩٣٠ قصيدة الشاعر محمد حسن النجمي في مدح الملك عبد العزيز ابن سعود . فيقول عنها :

(قرأت شعراً يعتنقه الطبع ، ويشربه الخاطر ، ويعرف القارئ أعجازه من صدوره ، وتتمثل قافيته من أول كلمة من بيته ، يدل على ملكة غير معتادة ، وطبع متناه في الصفاء ، ومكانة في اللغة رفيعة ، وتصرف في القول سلس القياد ، ويجول به صاحبه كما أراد ، فقلت : والله إنه لعبقري من يفري هذا الفري » . ثم يلحق شكيب هذا الشاعر بأبي تمام[1] ! .

وكان من الممكن لشكيب - وهو أمير البيان . والمالك لنواصي القول أكثر من عنان ، والجوال بقلمه في أكثر من ميدان -

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .

(١) مجلة الفتح ، عدد ١٣ فبراير سنة ١٩٣٠

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن يمد سبب الحديث على هـذا النمط من الأحكام العامة والآراء المبهمة ، كأن يزيد مثلا هذه العبارات : « وقرأت شعراً يطعم منه العقل ، وتكتحل به العين ، ويحيط القارئ بمناهيه من مباديه ، ويلمح قاصيه حين يسمع دانيه . . . » إلخ » . وإذا كان شكيب لم يمد سبب الحديث هنا على هذه الصورة فقد مده ومده في موطن آخر .

فقد كتب شكيب بتاريخ ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨ مقدمة لديوان الشاعر شبلي ملاط . فماذا فعل ؟ . إنه لم يحلل الديوان ولم يفصل القول عنه ، ولم يذكر ما له وما عليه ، ولم يبين طريقة الشاعر في شعره ، ولا خصائص هذا الشعر ومميزاته ، بل انطلق يثبت أنه صاحب قلم قدير طيع لآماله ، يستطيع أن يحركه فيرسم لوحات من التعبيرات ، وصوراً من البيان ، ومعارض من النثر الفني .

ولنصبر على مطالعة المقدمة كاملة . فليست بذات طول ، والوقوف عليها مهم لنرى كيف تسبح الحقائق مغمورة بطوفان هذه الصيغ الرشيقة الجذابة التي تكثر فيها المترادفات وتتكرر المعاني .

يقول شكيب رحمه الله :

« شعر الأخ الأستاذ شبلي بك ملاط لا يمكن وصفه بأحسن من عرضه . ولا نعته بغير الحث على حفظه ، فإنه لا يبلغ الواصف منه معشار ما يبلغ هو من نفسه ، فهو الشعر الذي يصح أن يقال فيه : عينه فراره ، وسره استظهاره ، وتمريغه تبليغه ، وتحليته تسويغه ، ورواية رواؤه ، ونعته جلاؤه ، والإشادة به نفس إنشاده ، والترنم به مجرد إيراده ، فمهما نبهت على محاسنه كان تنبيهه على نفسه أبلغ وأسرع ، ومهما أقمت عليه من البراهين كان برهانه في ذاته أظهر وأسطع » .

إنه لعمري هذا السهل الممتنع ، الداني المرتفع ، القريب البعيد ، المعتصم بقنن الامتناع وهو أقرب من حبل الوريد ، وإنه هو النوع المرقص المطرب المعرب عما في نفسك بأحسن ما تريد أن تعرب ، لا تكلف ولا تعسف ، ولا تصنع ولا تزيد ولا تعمل ، بل الجمال الذي لا يحتاج إلى تجمل .

وهي الألفاظ على أقدار المعاني ، لا تزيد ولا تنقص ، والأثواب على نسبة القدود فلا تطول ولا تقصر ، وهي القوافي لا تجد منها قافية إلا معروفة قبل الوصول إليها ، وترى البيت كله منصبا عليها ، مصدقا ما خلفها وما بين يديها .

وأما دخول الآذان بلا استئذان فإن هذا في هذا العصر شعر ألقيت في وجهه حجابة السامع ، وتناولته حتى أفهام البلداء تناول

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأبصار الجامدة للبروق اللوامع ، فيكون شعر الأخ الملاط فى وضوحه ونصوعه ، وبروزه وسطوعه ، وتعلق خواتمه بهواديه ، وارتباط أواخره بمباديه ، وبأنه لا يحير قارئا ولا سامعا ، ولا يتعب لها ذهنا ، ولا يسومهما بقدر الهباءة كدا ولا جهدا ، وإن كان يسومهما العـــلاء فهو علاء دون تصعيد جاهد ، ولا كد ناصب ، وإنما يطير بك فى آفاق المعالى وأنت على مهاد وثير ، ومركب كريش النعام موطأ بالحرير ، وأنت راكب جناح الأثير ، لا تسمع الملاط بيتا إلا هتفت له : مرحى ، وتظن أنك تسمع بيتا فإذا بك تسمع آية : « يا هامان ابن لى صرحا » .

ولا ينحصر نبوغ الملاط فى المقاصد العالية والمرائى النائية ، والمنازع التى تجد فيها طائر شعره محلقا دائما ، وإن كان فى هذا الموطن لا يشق له غبار ، ولا يدرك له مطار ، وإنما هو مستول على الأمد فى أكثر المواضع .

وإن كان قد ملك ناحية الجزل فما فاته الرقيق ، وإن جال فى مآسد السباع فطالما جال فى مراتع الآرام ، لا يرد حتى يصـــيد ، ولا يجول حتى يصول ، ولا يصول إلا صولة الفحول .

ولعله فاته من مزايا الشعر تقليد ما يقال له « الشعر الجديد » ، وخير له أنه لا يحسن هذا النوع الذى يشرب منه الإنسان ولا يروى وكأنما قارئه يأكل فى نومه كما يقال .

تعمد أهله أن يأتوا بما لم يأت به الأوائل ، ففاتهم الأوائل والأواخر معا ، وحاولوا أن يبدعوا ويغربوا فما قدروا على شىء سوى الإتيان بالأعجم الذى لا يفهم ولا يفهم ، وما قاربوا الإحسان إلا عندما استولت عليهم السليقة الأصلية ، ونزع لهم العرق العربى الصحيح ، فرجعوا إلى ما نشئوا ، فهم بين أمرين :

إما أن يقولوا ما يفهمه الناس ، وتسيغه أذواقهم ، وحينئذ فهو الشعر العربى المطبوع على غرار الشعر الجاهلى أو المخضرم أو المولد ، وليس شىء من هذا بجديد .

وإما أن يقولوا ما يخالف أسلوب هؤلاء ليقولوا بدعا ويحدثوا غير معهود ، فحينئذ هو الشعر الذى لا يعرف له قبيل من دبير ، ولا شرق من غرب ، وأنا فى شك هل يفهمه أنفس قائليه ؟ وإن تظاهروا بفهمه !

إن الفصيح لا يتعلق بقديم وجديد . وإنما هو ما يوافق الذوق البشرى ، ولاءم الطبع الإنسانى ، وخاض فى السمع بلا تفكير ، وامتزج بالطبع بلا طبع ، وإن هذا مركوز فى فطرة الإنسان منذ وجد الإنسان .

فإن كان للشعر العربى الملائم لذوق هذه اللغة مرآة صافية نقية ، فيكون فى شعر الأخ الملاط الذى ينادى القارئ كل عبارة منه :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن تحتك معنى سريا ، وأن هذا الشعر مذ كان كان عبقريا » (١)

الحمد لله ، لقد انتهت المقدمة ، بل انتهت تلك الجمل المسجوعة المصنوعة ، المشققة المنمقة ، التي نستطيع أن نجري القلم عليها فنحذف نصفها ونبقى النصف الآخر ، ومع ذلك لا يضيع من المعنى الذى احتوته شيء ! .

إما أن تكون المجاملة هي التي دفعت شكيب إلى أن يزخرف تقديم الديوان بهذه الألوان من البديع وما إليه . وإما أن شكيب حن إلى « المقامات » التي كان يحفظها ، فأراد أن يضع مقامة على طرازها ، استرواحا لذكرى ذلك الماضي الأدبي العزيز الذى كان يدمن فيه النظر في المقامات تلاوة وحفظا ، وإما أن شكيب أراد أن يبرهن للناس أنه - وإن قارب السبعين ، وكتب مترسلا في الأدب والتاريخ والسياسة والاجتماع ما كتب بلا تحسين ولا تزيين - قادر على أن يصوغ ذلك النثر الفني المقتضى ثروة لغوية ، وذاكرة قوية . وقدرة على تصريف القول المتسلم له هذه الصنعة الفنية الدالة على البراعة والإتقان .

ومهما يكن من أمر فإنك تستطيع أن تسمي هذه المقامة الشكيبية السابقة بما شئت من أسماء ، إلا أن تسميها مقدمة في تحليل ديوان ! .

أحمد الشرباصي

(١) مجلة الكتاب ، عدد يونية ١٩٥٠ .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قال أبو فراس الحمداني :

لا أرتضي ودا إذا هو لم يدم ... عند الجفاء وقلة الإنصاف
إن الغنى هو الغنى بنفسه ... ولو أنه عارى المناكب حافى
ما كل ما فوق البسيطة كافيا ... وإذا قنعت فكل شيء كافى
ويعاف لى طبع الحريص أبوتى ... ومروءتى وقناعتى وعفافى
ما كثرة الخيل الجياد بزائدى ... شرفا ولا عدد السوام الضافى
ومكارمى عدد النجوم ومنزلى ... بيت الكرام ومنزل الأضياف
لا أقتنى لصروف دهرى عدة ... حتى كأن صروفه أحلافى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

البابية أو البهائية

للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشي

تمهيد

الإسلام دين الله الخالد وشريعته الباقية : « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » . أنزله الله على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم تشريعاً كاملا خالداً يصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، ويفى بحاجات البشرية فى أعصارها المتطاولة وأوطانها المختلفة : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » . وفى ذلك إيذان من الله سبحانه لرسوله بإتمام النعمة وإكمال الدين . ودعوته صلوات الله وسلامه عليه عامة إلى الناس كافة فى جميع أقطارهم وأعصارهم : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » .

وذلك إيذان من الله سبحانه وتعالى بأن الإنسانية قد بلغت رشدها ، وأن بين أيديها من مواريث النبوة ، ومبادئ الرسل ما يضىء أمامها الطريق ، ويفتح لها آفاق الخير والمحبة والمساواة ، ما دامت متمسكة بهذا الهدى ، مسترشدة بهداه ، وقد تكفل الله بحفظه ورعايته وقال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

ومن هنا تميزت هذه الرسالة بالكمال والوضوح والشمول ، والقدرة على تقديم الحل لكل مشكل يعرض ، أو حادث يجد ، وكان من طبيعة الرسالة التى حوت هذه المميزات أن تكون خاتمة الرسالات ، وأن يكون صاحبها صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء والرسل ، حتى لا تقع الإنسانية نهبا لأوهام المتنبئين ، وخيالات المشعوذين ، ولهذا اقتضت حكمة الله سبحانه أن يذكر ذلك صراحة فى القرآن الكريم ، ليقطع الطريق على ذوى الانحراف العقلى والشطحات الذهنية ، أو على الأقل ليضع للإنسانية مبدأ تلجأ إليه كلما سول لمخبول شيطانه ، ووسوس له أنه يوحى إليه .

وهذا التوجيه من الله سبحانه هو ما يصرح به قوله : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » . وقد أكد النبى هذا المعنى ، فى قوله صلوات الله وسلامه عليه : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى » . وقوله فى حديث آخر : « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل » ، فإذا كانت الأمم السابقة فى حاجة إلى أنبياء يتعهدونهم بين الحين والحين حتى تأتى الرسالة التالية ، فإن الرسالة الخاتمة قد زودت الإنسانية بزاد روحى خالد نافع يقوم عليه علماء يحفظونه ويعونه ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويكشفون للبشر ما فيه من مزايا وقدرة على مواجهة الأحداث بالحلول الملائمة لها ، وحماية البشر من نزوات الزيغ وموجات الإلحاد . ولكن على الرغم من كل ذلك ، فإن تاريخ الإسلام شهد كثيراً من المتنبئين الأدعياء ذوى النيات السيئة من قرامطة وإسماعيلية وباطنية وما إلى هؤلاء المنحرفين وكان أكثر ما أصاب العالم الإسلامى فى ذلك إنما جاء من وراء العقيدة القائلة بمجىء المهدى ورجعة الإمام وخاصة عند طوائف الشيعة ، فإن هذه العقيدة مازالت تعمل عملها فى صفوف المسلمين حتى يومنا هذا وما البابية والبهائية والقديانية إلا ثمرة مرة لهذا الغرس الغريب على الإسلام وتعاليمه ومبادئه الواضحة النقية .

البابية والبهائية :

هذا تمهيد لابد منه لمن يريد أن يتحدث عن البهائية ، فما البهائية ؟ وما مقصدها وإلى أى شىء تدعو ؟ ، وما موقفها من الإسلام ؟ .

لكى نعرف البهائية لا بد أن نعرف أولا البابية التى انبثقت عنها البهائية وورثت دعوتها ، وقامت على أنقاضها ، أو صارت امتداداً لها ، فالبابية نسبة إلى الباب وهو محمد على الشيرازى الذى أعلن أنه باب العلم بالحقيقة الإلهية وسمى نفسه الباب .

وكلمة الباب معروفة عند طوائف الشيعة والصوفية ، فالإسماعيلية يطلقون كلمة الباب على الشيخ أو الأساس الذى يعلم الناس أمور الدين . والدروز يطلقونها على الوزير الروحانى الأول الذى يشمل « العقل الكلى » .

وقد ولد محمد على فى شيراز أول المحرم سنة ١٢٣٦هـ ٢٦ مارس سنة ١٨٢١ م وكان أبوه تاجراً . فتوفى وهو صغير ، فقام خاله بكفالته ، وأخذ يشتغل بعد ذلك بتجارة أبيه ، ثم ظهر اهتمامه بالأمور الدينية ، وجنح إلى الزهد والتقشف والاشتغال بالتصوف إلى حد الهوس ، حتى لقد كان يصعد إلى سطح المنزل ويظل فى الشمس ساعات طويلة وقد انتهت به هذه الحال إلى أن بدأ عليه خلل فى تفكيره واضطراب فى قواه العقلية .

فبعث به خاله إلى النجف وكربلاء ، للاستشفاء بزيارة قبرى الإمام على والحسين رضى الله عنهما ، ولكنه طاب له المقام هناك ، فأقام فى كربلاء وأخذ يعاود ما كان عليه ، وأكثر من التلاوة والتهجد مما لفت إليه بعض تلاميذ الرشتى فأخذه إلى مجلس شيخه وكان الرشتى شيخ طائفة الشيخية بعد الأحسائى وكان كلاهما يكثر من الحديث عن الموعود والمهدى والقائم الذى أوشك زمانه ويحث أتباعه على البحث الجاد عنه فوجد الشيرازى فى كلام الشيخ الرشتى ما يهدهد أحلامه ، ويفتح أمامه باب الأمل فيما هجست به وساوسه ، فأخذ يكتب ويقلد الرشتى فيما يكتب ، واعتكف مدة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى المسجد ، ثم أخذ يهمس لمن حوله بأنه باب المهدى ، فاغتر كثير من الناس بمظهره وأقبلوا عليه يسمعون منه وهاجمه آخرون .

ويزعم أتباعه أنه حج وكتب فى طريقه عدة رسائل ادعى أنها وحى إلهى ، وأعلن بعد أن عاد إلى فارس « أنه مرآة يظهر فيها نفس الله » .

وكان أمره قد إشتهر وأخذ يهاجم رجال الدين ويتهمهم ، ووجد من يسمع له ، ولا عجب فى مجتمع مثل هذا أن ينصت إليه ، وهو يؤمن بغيبة الإمام وعودته ، ويجىء المهدى ، فقد سهل ذلك على الباب أن يجد من يتعلق به ، وقامت المعركة بينه وبين رجال الدين فى الوقت الذى انضم له بعض الأنصار والتفوا حوله بعد أن تسامع الناس بأمره وأصبحت فتنته على كل لسان ، فأفضى لأصحابه بدعوته الجديدة ، وزاد الأمر فسادا بينه وبين العلماء فرفعوا أمره إلى الحكومة لتمنعه عن نشر مذهبه الباطل وعقيدته المنحرفة الضالة ، وكان قد أعلن أنه « النقطة » أى منبثق الحق وروح الله ومظهر قدرته وجلاله وذلك بعد أن تنازل عن لقب الباب لبعض أصحابه .

« وكثر أتباع الباب ، وأخذوا يجوبون البلاد ، يدعون الناس إلى اتباعه ، ويعلنون رؤيتهم له وتلقيهم بركاته ، فهاجت الخواطر وقامت فى البلاد فتن واضطرابات ، ثم انضم إلى أتباعه يحيى نورى الذى لقب فيما بعد بصبح أزل وأخوه حسين على الذى لقب بالبهاء وصار زعيم البهائية ، وكذلك امرأة تسمى قرة العين » .

وحين بدا للحكومة الإيرانية الخطر الذى يتهدد أمن البلاد من دعوة الباب وأتباعه اعتقلته وحاكمته أمام جمع من العلماء حتى أقر بكفره وتاب أمامهم ، ولكن أتباعه أنكروا ذلك ولم يكفوا عن عبثهم وبث الرعب والقلق فى نفوس الناس وتهديد من يعترض طريقهم حتى قاموا بأكثر من ثورة فى أماكن متعددة ، فلم تجد الحكومة بدا من اعتقاله وإيداعه السجن حتى تهدأ الفتنة التى نشأت بسببه .

وحتى هذه الفترة لم يتأكد من دعوة الباب أنه خارج على ما جاء به الإسلام ، ولكنه فى فترة سجنه عقد أصحابه مؤتمرا فى صحراء « بدشت : يتلقون فيه البشائر التى وردت من الإمام المنتظر ، وعلى الرغم من انعقاد المؤتمر فإن أعضاءه لم يكن لديهم رأى موحد عن موقف دعوتهم من الإسلام ، فكان بعضهم يرى أن دعوتهم تابعة لما جاء به الإسلام ، وكان بالمؤتمر فريق آخر يرى أن البابية أمر جديد ودعوة مستقلة ، وكان يتزعم هذا الاتجاه قرة العين واستطاعت أن توجه المؤتمر حتى أعلنت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن البابية ناسخة للشريعة الإسلامية ، وأنه يجب إنقاذ الباب بالقوة . ووقفت تخطب فيهم معلنة أمورا خطيرة تدعو فيها إلى هدم الدين وتقويض دعائم الشريعة والتحلل من قيود الخلق والدعوة إلى الإباحية فى المال والنساء ، وذلك مادعا إليه القرامطة من قبل وكان حسين على المقلب فيما بعد بالبهاء من رؤساء هذا المؤتمر ، ومن الخير أن نعرض على القراء نص خطبة قرة العين حتى يقفوا بأنفسهم على مدى ما تحمله هذه الدعوة من كفر صراح ، ومن اجتراء على قواعد الأخلاق والسلوك ومن إهدار لقيم الانسانية الفاضلة ومن عجيب أن تجهر بهذه الدعوة امرأة ويأخذ البابيون قولها على أنه دين يتبع وشريعة تقام قالت : « اعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب .

وأن أحكام الشريعة الجديدة البابية لم تصل إلينا ، وأن اشتغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو ، وفعل باطل ، ولايعمل بها بعد الآن ! لاكل غافل وجاهل ، إن مولانا الباب سيفتح البلاد ، ويسخر العباد وستخضع له الأقاليم السبعة المسكونة ، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة ، حتى لا يبقى إلا دين واحد ، وذلك الدين الحق هو دينه الجديد ، وشرعه الحديث الذى لم يصل إلينا إلى الآن منه إلا نزر يسير ، فبناء على ذلك أقول لكم ـ وقولى هو الحق ـ لا أمر اليوم ولا تكليف ، ولا نهى ، ولا تعنيف ، وإنا نحن الآن فى زمن الفترة ، فاخرجوا من الوحدة إلى الكثرة ، ومزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم ، وبين نسائكم بأن تشاركوهن بالأعمال ، وتقاسموهن بالأفعال . واصلوهن بعد السلوة ، وأخرجوهن من الخلوة إلى الجلوة ، فما هن إلا زهرة الحياة الدنيا ، وإن الزهرة لا بد من قطفها وشمها ، لأنها خلقت للضم وللشم ، ولا ينبغى أن يعد ولا يحد شاموها ، بالكيف والكم ، فالزهرة تجنى وتقطف ، والأحباب تهدى وتتحف ، وأما ادخار المال عند أحدكم ، وحرمان غيركم من التمتع به والاستعمال فهو أصل كل زور ، وأساس كل وبال ، ساووا فقيركم بغنيكم ، ولا تحجبوا حلائلكم عن أحبابكم ، إذ لا ردع الآن ، ولا حد ، ولا منع ، ولا تكليف ولا صد ، فخذوا حظكم من هذه الحياة ، فلا شىء بعد الممات .

وكان هذا الخروج الفاجر والإلحاد السافر والحقد الأسود على الإسلام وتعاليمه وشرائعه وعبادته والتكذيب بيوم البعث والدعوة إلى الإباحية والانطلاق .

كان هذا الفسق المحموم الذى جرى على لسان هذه المرأة التى استعبدتها الشهوة الطاغية والنهم المحموم كان ذلك كله صدمة لكثير ممن ظنوا أن هذه الدعوة تحقيق لمجىء المهدى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الذى سيحيي الشريعة وينشر العدل فإذا بهم يفاجئون بهذا الإلحاد ينساب نتنه وتنطلق عقاربه ، فتعقبوا هؤلاء المارقين وطاردوهم واختفت المرأة مع أحد دعاة الباب وكان يلقب بالقدوس ،وقد أورد الأستاذ عبدالرحمن الوكيل كثيرا من أخبار هذه المرأة فى كتابه (البهائية) .

وانتهى هذا الصراع بقتل الباب رأس هذه الفتنة ومحركها ، وتعرض أتباعه للاضطهاد والمطاردة وتشتتوا فى كثير من البلدان .

وعلى أثر قتل الباب أعلن يحيي نورى الملقب بصبح أزل أنه خليفة الباب وتوجه إلى بغداد فنفته الحكومة التركية إلى قبرص ، أما أخوه ميرزا حسين على الذى لقب فيما بعد « بهاء الله » فقبض عليه ثم أفرج عنه ورحل إلى كربلاء . ورحل بعضهم إلى روسيا ، وأقاموا لهم مسجدا هناك وكانت هذه الدعوة تجد عطفا من الروس لأنها تمهد السبيل لأطماعهم فى إيران ولم يفرج عن ميرزا حسين على إلا بشفاعة قنصل الروسيا وشهادته ببراءته ، وتنازع صبح أزل وأخوه بهاء الله على خلافة الباب ، وادعى كل منهم أنه المقصود بقوله « من يظهره الله » وهذا دليل آخر على كذبهم وبطلهم ، وقد أدى خلافهم إلى انقسام البابية إلى الأزلية والبهائية ، والأزلية هم المتمسكون بتعاليم الباب المحافظون عليها وهم أقلية ، أما البهائية فتعتبر الباب مبشرا « بهاء الله » وسلفا له وهم أكثر أتباعا من الأزلية .

تعاليم الباب :

قام الباب بتلفيق عدة من التعاليم جمعها من الديانات المختلفة وأطلق عليها دينه الجديد ودعا إليها أتباعه ومريديه ونجملها فيما يأتى :

١ — ألغى الصلوات الخمس وصلاة الجمعة والجماعة إلا فى الجنازة .

٢ — جعل القبلة هى البيت الذى ولد فيه بشيراز ، أو مكان سجنه ، أو البيوت التى عاش فيها هو وأتباعه وفرض على أتباعه الحج إليها .

٣ — أنكر وجوب الطهر من الجنابة .

٤ — جعل للعدد ـ ١٩ ـ عند البابية تقديراً خاصا ، ولذا فهم يقدسونه جدا .

فالسنة عندهم تسعة عشر شهراً ، والشهر تسعة عشر يوما ، ويدير شئون جماعتهم مجلس يتألف من تسعة عشر عضواً .

والصوم عندهم تسعة عشر يوما من شروق الشمس إلى غروبها وهو يقع فى أول الربيع فى شهر بابه .

وقد أباح الباب لأتباعه خمسة أيام قبل الصوم يقضونها فى لهو ومجون وإقبال منهوم على الشهوات والنزوات بلا قيد ولا حد .

ولا بد من قراءة تسع عشرة فقرة من كتاب البيان فى كل يوم ، ويجب أن يدعو

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كل واحد تسعة عشرة شخصا مرة فى كل تسعة عشر يوما ولو لشرب الماء .

٥ — الزكاة خمس العقار تؤخذ فى آخر العام من رأس المال وتعطى المجلس المؤلف من التسعة عشر عضواً .

٦ — الزواج إجبارى بعد سن الحادية عشر ، ويكفى فيه رضاء الطرفين ويجوز إيقاع الطلاق تسع عشرة مرة ، وعدة المطلقة تسعة عشر يوما ، ولا يجوز الزواج بأرملة إلا بعد دفع دية ، وإلا بعد انقضاء عدتها ومدتها خمسة وتسعون يوما .

٧ — الميراث سبعة أنواع - الولد ، الزوج ، الزوجة ، الأب ، الأم ، الأخ ، والأخت ، وأكبر الأنصبة للولد .

٨ — العيد عيد النيروز ومدته تسعة عشر يوما . وفى صباح كل جمعة يجب استقبال الشمس بالسلام .

والبابية يكفرون بأمور الآخرة كما وصفها القرآن ويفسرونها تفسيراً آخر كما فسرها الباطنية من قبلهم .

فهم يقولون عن القيامة إنها قيام الروح الإلهى فى مظهر بشرى جديد .

وعن البعث إنه الإيمان بألوهية هذا المظهر الجديد .

وعن لقاء الله يوم القيامة إنه لقاء الباب لأنه هو الله .

وعن الجنة إنها الفرح الروحى الذى يشعر به المؤمن بالمظهر الإلهى .

وعن النار إنها الحرمان من معرفة الله فى تجلياته فى مظاهره البشرية .

والباب هو البرزخ المذكور فى القرآن لأنه بين موسى وعيسى .

وقد صرح الباب فى رسالة بعث بها إلى الآلوسى صاحب التفسير المشهور بأن دينه ناسخ للإسلام فقال : كل من كان على شريعة القرآن كان ناجيا إلى ليلة القيامة ويعنى بها الليلة التى أعلن فيها أنه القائم أو المظهر الإلهى الجديد ، ولهذا حرم على أتباعه قراءة القرآن حتى أحرق البابيون المصاحف وزعم أنه أفضل من محمد وأن كتابه أفضل من القرآن ، وأن محمداً بمقام الألف وهو بمقام النقطة .

هذا الكفر الصراح نادى به البابية وورثته البهائية وزادت عليه ألوانا أخرى أكثر ضلالا وكفراً ، وإن كان الباب قد زعم أن الله قد أنزل عليه كتاباً سماه البيان فإن « البهاء » قد زعم أيضا أن الله قد أنزل عليه كتاباً أيضاً سماه « الأقدس » .

وسنتناول فى كلمة أخرى البهاء ومذهبه ومدى ما أضافه من ضلال فوق الضلال الذى ورثه عن الباب ؟

محمد إبراهيم الجيوشى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من إعجاز الرسول :

محمود الغزنوى
البطل الذى ضمّ للإسلام أمّة

للأستاذ محمّد رجب البيّومى

كلما قرأت تاريخ البطل الفذ محمود الغزنوى عجبت كيف لا يجرى اسمه على كل لسان يدين بالإسلام ، وكيف لا تفرد الكتب الخاصة بتحليل خوارقه وتفسير نوادره ! بل كيف تمضى كتب المطالعة المتنوعة فى المدارس والمعاهد دون أن يفرد له باب فى كل كتاب فيعلم الناشئة فى شتى بلاد الحنيفة من هو ذلك البطل المعجز الذى أهدى إلى الإسلام مائة مليون نسمة لا يزال أحفادهم اليوم يمثلون الباكستان وكشمير وبعض المدن فى الهندستان ! ! إن ملكا عظيما كهارون الرشيد يجرى ذكره على كل لسان لا يمكن أن يوازى شيئا إذا قيس بمحمود ! صحيح أن الرشيد خليفة وأن محموداً سلطان يستمد شرعيته من القادر بالله أحد الخلفة من نسل هارون ! !

ولكن خلفاء بنى العباس جميعا من لدن السفاح إلى المستعصم لا يضمون فى سلسلتهم الممتدة بطلا من طراز محمود ! أما آن لنا بعد فى تآليفنا الحاشدة أن نوجه اهتمامنا إلى القمم الرواسخ دون أن نعمد إلى الترديد والتكرار! أم أننا نلتمس أيسر السبل فى التأليف !

لقد كان الزمن الذى تألق فى سمائه كوكب محمود الغزنوى لا يسمح بظهور مثله بحال فليست هناك خلافة راشدة تفسح ميدان البطولة المخلصة لأمثال خالد وسعد وعمرو وأبى عبيدة والمثنى وليس هناك خليفة أموى راسخ السلطان مرهوب الكلمة ، واسع الملك تحتشد حوله الكفاءات الممتازة من أمثال قتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم وموسى ابن نصير ! أما الدولة العباسية لعهد محمود فقد تساقطت جنباتها ، وتداعت أسسها ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى كل مملكة أمير يحكم أو خليفة يناوئ ، أو وال يدل ويتيه ، حتى بغداد نفسها تمنح فريسة لكل طامع من الوزراء الأباعد يهيء أتباعه ويحشد جنوده ثم يصل إلى مقر الخلافة ليكون أمير المؤمنين لعبة فى يده إذ يصدر عن أمره ! ويسير فى تياره فإذا تمكن خصومه من طرده ، وتملكوا الأمر من بعده كان أمير المؤمنين رهن مشيئتهم كما يبتغون ! هذه الحال المؤسفة من تفكك الخلافة الإسلامية وقيام الدولات المستقلة فى العواصم المختلفة وتشاحن المغرضين على الرياسة والسلطان ! أقول هذه الحال المؤسفة لم تحل دون ظهور رجل فذ كمحمود الغزنوى ، يجمع الكلمة ، ويحشد الجند ثم يغزو بأتباعه وقيادته بلاد الوثنية ليعلو الآذان الإسلامى فى ربوع متناثية تقدس الأصنام ، وتعبد التماثيل من دون الله !

والغريب أن هذا البطل الفذ كان بغيضا إلى بعض شعراء عصره فارسيين وعربا ، فلم يرزق شاعراً علهما يسجل بطولاته فى ملاحم رائعة كما رزق سيف الدولة أبا الطيب مثلا على بعد ما بين البطلين من فروق ، بل صدم بشاعرين كبيرين أخذا ينتقصانه ويتحسان العناكب الواهيـــة للتجنى عليه ، وهما أبو العلاء المعرى العربى ، وأبو القاسم الفردوس الفارسى ! ! وأبو العلاء يسير مع طبعه الناقم الساخط حين يهاجم بطلا تتساقط تحت ضربات سيفه أشلاء الضحايا من المنتصارعين فى كل مكان إذ أن الشاعر الذى يرحم الحيوان الضعيف إذ يستفظع ذبحه وإراقة دمه ، لا بد يرتاع لما يسمع عن معارك دامية تفور بالدم ، وتطفح بالجماجم والرقاب ! هذا إلى أنه ملك ، وللملوك فى منطق أبى العلاء غطرسة واستعلاء لا يرضيان إحساسه الرهيف وهم فى أكثر أحوالهم ظلمة جائرون فلا بد أن يهاجمهم الشاعر الفيلسوف ، ولا بد أن ينال شيئا من هجومه أعظم ملك ذكر اسمه فى عصره رنين الرعد فى كل أفق ، مهما كان بطلا فذا ذا مثل وأهداف ، وإلا فهل كان يستحق محمود الغزنوى أن يقول فيه الحكيم الفيلسوف :

أمر إن كنت محموداً على خلق
ولا أمر بأنى الملك محمود
ما يصنع الرأس بالتيجان يعقدها
وإنما هو بعد الموت جلمود

و يقول :

محمودنا الله والمســـعود خائفة
فمد عن ذكر محمود ومسعود
ملكان لو أننى خيرت ملكهما
وعود صلب أشار العقل بالعود

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأبو العلاء وإن كان يفضل عود الحديد على ملك محمود الغزنوى فهو لم يفحش فى حديثه عنه وإن يستطيع ، أما الذى أفحش وبالغ فى الإفحاش حقا فهو أبو القاسم الفردوس إذ أنه قضى أكثر حياته ينظم تاريخ الفرس فى الشاهنامة ويطل نفسه أن الملك الغزنوى سيغرقه بالذهب طوفانا يرجع إليه ما نفذ من ثروته الموروثة وضياعه الشائعة ، ولكن منحة محمود لم تقنع شاعر الفرس المعتز ، ففر من بلاطه مرسلا قوارعه اللاذعة فى هجاء البطل الكبير ! ونحن حين نحقق أمر الفردوس فى أفق أوسع من رغباته الشخصية ، نرى أن محموداً مصيبا فيما فعل ، لأن الفردوس قد استجاب إلى نعرة الأمير نوح بن منصور السامانى حين اندفع يبحث عن أساطير فارس المجوسية ليجعل منها تاريخا يلهم تاريخ العرب والمسلمين ، فأخذ يبحث ما فى خزائن الموابذة والدهاقين من الصحف القديمة لتغدو آية فخار ينبئ عن المجد الغارب ، وحين تم ذلك جعل منه الفردوس مادة حديثه فقضى ثلاثا وعشرين سنة ينظم الأساطير والخوارق ، ولكن الدولة السامانية كانت قد لفظت أنفاسها فى هذا المدى المتطاول وجاءت الدولة الغزنوية ، وملكها محمود لا يشجع هذه النعرات العصبية ، بل يرى فى صنيع الفردوس هراء لا يرضى منزعه الدينى ، وبخاصة إذا كان الملك سنيا شديد الغيرة على مقدسات أهل السنة وقد شن حربا طاحنة على القرامطة والملاحدة وعقد الأواصر الخالصة بالخلافة العباسية حتى منحه القادر بالله لقب يمين الدولة ، وزاد الملك فى وجهته فاضطهد المعتزلة والرافضة ! فإذا جاء إليه شاعر شعوبى يتحدث عن رستم وسهراب والضحاك وذى القرنين وأساطير الجبال والبحار ، فلن يجد منه انشراحا لما فعل !! على أنه قد بذل له المعقول من المال كيلا يضيع جهده هباء والفردوس لا يقنع بادون الإغراق والامتلاء ، فانصرف عنه هاجيا ثائرا ، والمسألة مسألة مبدأ قبل أن تكون مظنة بخل وإمساك !!

أذكر أن إيران قد احتفلت منذ أعوام بمرور ألف عام على وفاة الفردوس ، وبعثت الممالك المختلفة من يمثلها فى مهرجان الشاعر الكبير بطهران !! وقد تورط بعض الخطباء فى نقد السلطان محمود الغزنوى إذ منح الشاعر ما يظنه بعض حقه ! حتى جاء دور الشاعر اللبنانى الأستاذ بشاره الخورى فهجا محمود الغزنوى هجاء مقذعا حين قال :

يا للعقوق أيبنى مجد أمته
ويجعل الدهر مولى من موالیها
أين وفت أمة يوما لشاعرها
رماه سافلها عن قوس واشيها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والأستاذ بشارة يجهل محمود الغزنوى دون نزاع ! فليس الملك من السهولة فى قليل أو كثير ؟ كما أنه يجهـــل ملابسات الشامنامة وتقلبات الزمن بمبدئها ومنتهاها ولو علم ما تجنى فأقذع ! ! .

وبعد ، فكيف سطر هـذا الملك العظيم تاريخ بطولته الخضيل ؟ لقد تفتحت عينه فى الوجود فرأى أباه الأمير سبكتكين ذا قدر وبطش ، فهو قائد فارسى محنك ، واتته الظروف لحكم غزنة من قبل السامانيين حكما قويا عادلا ثم طمحت به همته إلى الهند فغزا شمالها الغربى مرتين متواليتين ! وانتصر انتصاراً مؤزراً شهده ابنه محمود إذ كان يصحب أباه فى غزاته دون أن يتعدى الرابعة عشرة من السنوات . والمدهش الرائع أنه فى عمره الناشئ قد أظهر فروسية وحكمة بل وقف من والده موقف المعارض فى أمر هام ! !

فقد عرض الأمير جيبال راجا لاهور جزية ليفوز بصلح يحقن الدماء ، ومال الأدب إلى القبول مكتفيا بما أحرزه من نجاح ، ولكن محمود الصغير يقف فى وجهه رافضا أن تكون الجزية غاية القتال وقال لوالده فى إصرار : إننا نبحث عن مثوبة الجهاد فى سبيل الله ! لا عن الفضة والنضار ! ! فنزل أبوه على رأيه واستأنف القتال ، ونحن نسجل هذه الحادثة السريعة لنرد بها على من تابعوا ابن الأثير حين ذكر أن السلطان محمودا قد ولى وجهه شطر الهند ليكفر عن حربه المسلمين ! إذ أن فتح الهند كان فى دمه منذ طفولته وقبل أن تنشب الحـــرب بينه وبين أمراء الدول الصغيرة لعهده ! ! وقد كانت هذه الحرب حتما مقدورا لا محيد عنه ، لأن محمودا قد نظر لأول عهده بالسلطان فرأى الصغار من الأمراء يتصارعون فى غير طائل ، وقد تحرش به الأمير السامانى فى خراسان وهم بتشتيته ، فكان لابد من نزاله ليأمن جانبه القريب ! كما أن آل بويه بالرى ومن شاكلهم من السلاجقة لا يرحبون بقيام ملك إسلامى كبير ، وسيكونون بتآمرهم المتواصل سداً فى طريقه فرأى لبعد نظره أن يضم ممالكهم إلى سلطانه ليجند من الوحدة الشاملة ما يساعده على تحقيق مشروعه الخطير فى نشر الإسلام ! ولو لم يأمن جانب جيرانه من المتربصين بعد أن قضى عليهم بعزيمته الواثبة ما استطاع أن يترك بلاده إلى أماكن نازحة تدعوه إلى أن يغمر ظلامها الحالك بنور الهداية والإسلام ! على أن شعوره الدينى قد دفعه إلى مهادنة الخليفة العباسى ، وحوز قبوله وإعجابه ، فكان ذلك مدعاة اطمئنان نفسى كبير أمده برصيد ضخم من الثبات ! ! .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومع ما عرف عن والده سبكتكين من الإعجاب بمحمود والمباهاة ببطولته فقد شاء أن يجعل الأمر من بعده لولده الصغير إسماعيل وهو إنسان ضعيف متردد لا تصل به همته إلى شيء من آمال أخيه الأكبر ، ولم أر فيما قرأت تعليلا لذلك ، ولكني أعتقد أن الأب قد رأى طموح محمود واتساع آماله فخاف أن يقذف بجيشه إلى الهند في حماسة واتقاد دون أن يسلك مسلك الحيطة في الصبر والانتظار ! وآثر أن يرجع بالملك لإسماعيل ليأمن بهدوئه عثار التوثب والانطلاق ، ولم يكن محمود بالشاب القانع المستكين . فنزعان ما انتزع الملك من أخيه ! ! وبدأ فوحد المملكة الإسلامية في فارس ، ليقفز بعدها إلى الهند في عزيمة وإصرار

كانت الهند تروح تحت حكم الإقطاع ! فكل مدينة تخضع لراجا ماله يشبع رغبته الخاصة بطغيانه فإذا أنس من نفسه بعض القوة اتجه إلى من يجاوره فسطا عليه ، وضم إمارته إلى إمارته ثم لا يلبث أن يجد أميرا أقوى منه يستعد لغزاله فتدور الحرب بين المطامعين وتحميها العامة من الزاحفين المسيرين من يضطرون إلى الولاء خيفة من الإرهاب الأحمر ، والطغيان المنجبر ! ! .

فحين صمم محمود على محاربة هؤلاء لم يجد في عددهم الهائل قوة متماسكة تقف أمامه موقف المدافع الصبور ! ! فقد اصطدم في غزاته الأولى (بجيبال) صاحب لاهور عند أبيه ، وكان يغط في نومه ظانا أن وفاة سبكتكين ستمنع تدفق المسلمين من جديد فأيقظه محمود على رأس عشرة آلاف مقاتل فحشد جنوده على عجل واستعان بمجاوريه حتى اكتمل له أكثر من اثنين وأربعين ألفا من المحاربين ، ودارت المعركة رهيبة حامية فأبادت الهنادكة إبادة مخزية ولم يقو الأمير الهندوكي على احتمال كارثته فعرض نفسه على النار تكفيرا عن خذلانه كما تقضي بذلك تقاليد الهنود ! .

وواصل القائد البطل زحفه ، فأحدث الرعب المزلزل في كيان الزاحفات من الحاكمين ، وتجمع أمراء أوجين وكواليار وكلنجر وقنوج ودهلي وأجمير ليقفوا بجيوشهم وأفيالهم وبعنودهم حشداً كثيفا أمام الغازي الفاتح ، وزحفت جيوش الهند مجتمعة لتلقى المسلمين في إقليم البنجاب ! وكان القتال هائلا مخيفا ! ! فقد المسلمون من أبطالهم عدداً يبكى عليه ، لأن جيش محمود لم يتجاوز ستة آلاف مقاتل ! ولكنه بمحض إيمانه وقوة عزيمته قد ثبت بالبقية من رجاله أمام جيوش لم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يستطيع التاريخ عدها على الوجه الدقيق إلى الآن، حتى أحرز الانتصار السابق. ووجد فى معابد الهنادكة من الغنائم الذهبية ما أربى عن الوصف إلى حد أن جنوده قد تركوا صحاف الفضة اكتفاء بما عثروا عليه من الذهب ! فليس لديهم من الدواب ما يكفى لحمل هذه الكنوز ! وكان النصر فى معركة البنجاب سلاحا ذا حدين إذ أثار النشوة فى بلاد الإسلام فأقبل المتطوعون يتسللون من كل حدب إلى جيوش محمود. على حين أحدث الهلع والرعب فى أفراد الشعب الهندوكى وقادته فباتوا يترقبون يومهم القريب.

كانت السنوات تمر دون أن يخلو عام واحد من موقعة هائلة لمحمود الغزنوى يدمر بها أعداءه المحتشدين فتح الملتان وكواكير وما زال ينتقل على شاطئ (هند مند) حتى استولى على بهيم نغر وناردين وبلغ كشمير فغنم بها خمسة أصنام من الذهب الخالص مرصعة بأغلى الجواهر. وحمل من السبى والسلاح ما أمد كفاحه بقوة جديدة واصل بها النجاح !

قال الأستاذ عبد الحميد العبادى فى كتابه (صور وبحوث من التاريخ الإسلامى) ص ٨٠ : « وقد غزا السلطان ما لا يقل عن سبع عشرة غزوة، فكان ينصب من جبال أفغانستان على سهل الهندستان فى جنوده الأتراك الأشداء، بخيولهم الضارمة، وأسلحتهم الموفورة، ونظامهم الحربى البديع انصباب السيل الدافع. فيعبر الأنهار الصعاب. ويكسر الأصنام الهندية لا يبالى تعبا ولا نصبا، ثم يكر راجعا إلى غزنة تملأ يديه من السبى الرائع والغنائم الهائلة مما حوته معابد الهند من كنوز الذهب والفضة، ونفائس الأعلاق وقد انجلى هذا الغزو المتتابع عن امتلاك السلطان محمود إقليمى البنجاب وكشمير، وسيطرته على ملكة كجرات الواقعة على المحيط الهندى، فدخل الهنود فى دين الله أفواجا. وترك لهم السلطان الفاتح من يعلمهم أصول الدين الإسلامى، ويلقنهم عبادته فرسخ الإسلام من ذلك الوقت فى بلاد الهند، وأصبح ديانة قومية ثابتة الدعائم قوية الأساس ».

كانت همة البطل أبعد من أن تحد، فلم يكن يجلس ما بينه وبين نفسه ليفكر فى العواقب ويفترض الأوهام، ولكنه كان إذا هم ألقى بين عينيه عزمه، وإذا كنا ندهش لعزيمة خالد بن الوليد حين اخترق الصحراء يوم اليرموك بجنوده ليبلغ أعداءه من حيث لا يتوقعون فقد قام السلطان بمثل ما قام به سلفه الخالد حين اخترق صحراء (الثار) وهى مفازة جرداء تعد أكبر صحراوات الهند،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكان الوثنيون يظنونها حصنا طبيعيا لا يستسلم لعدو فاتح ! ! فهم يعتصمون بها آمنين ! ! ولكن العزيمة الحديدية تدفع محمودا الى قيادة جنده ضاربا المثل بنفسه ، حين يتقدم الكتائب الغازية فى فلاة مترامية يشتعل بها القيظ ، وتتفجر مراميها القاحلة عن مهالك ذات أهوال ، فلا ماء يروى ولا شجر يظل ، ولا ثمر يشبع ! ! ولكن الأمل فى نصرة الإسلام قد أمده بالماء والثمر والشجر ، فهانت لديه الصعاب ، واستعذب الآلام حتى بلغ مبتغاه ففاجأ الأعداء .

وقد كان معبد الهنادكة فى سومنات معقد إيمانهم وقبلة أفكارهم ، فهم يلتمسون من صنمه الماعض فى عيونهم مثقلا بأوقار الذهب واللؤلؤ والماس مقدرة على الجهاد ، ومعونة على الزاحفين ، وقد أذاعوا فيما بينهم أن غضب إلههم الأصم فى معبد سومنات على أتباعه العاصين هو الذى أمد السلطان الغزنوى بالنصر انتقاما لحقه وثأرا من مروق أتباعه ، وما ظنك بمعبد مقدس ينهض على ست وخمسين سارية ترصع بصفائح الذهب وقلائد الجوهر وتمتلئ ساحاته وأركانه بمئات من التماثيل المصنوعة من الفضة الخالصة والذهب الخر ، أما الصنم الأقدس فقد امتلأ جوفه بثروة ضخمة لا تدخل فى حساب عاد أو تبلغ ظن متوهم مما قذفته مئات السنين فى جوفه من النذور والقرابين ، وكان الهنادكة يعتقدون أن تناسخ الأرواح فى الأبدان يتم حول الصنم فى معبده ، وأن هدير البحر المنبسط من حوله صلاة يقوم بها الماء عبادة وطاعة ، أما الخدم من السدنة فيتجاوزون الألفين من البراهمة ، ومعهم خمسمائة من الراقصات المنشدات يرتلن حوله التسابيح ! وقد اجتمع جميع الأمراء الراجبوتين بكل ما يملكون من عتاد ورجال وخيول وأفيال ذيادا عن إلههم العظيم ، ورأوا فى الاستشهاد بساحته منتهى الأمل فى الحياة ، فدارت معركة رهيبة بين جيوش الإسلام ، وجحافل الوثنية ثبتت فيها القلة الزاحفة ثباتا عد من الخوارق إذ كان محمود يقسم رجاله فرقا فرقا ، ويجعلهم يتناوبون الأماكن المختلفة كل يوم ، فأوقع فى نفوس أعدائه أنه يصحب معه عددا أكثر من عددهم المترامى ، إذ يرون كل يوم من المسلمين جديدا لم يقعوا عليه من قبل ، وكانت مذبحة خطيرة سقط بها خمسون ألفا من الهنادكة وعبر المسلمون على أشلائهم المتزاحمة طريقهم إلى الصنم بالمعبد ، توجه السلطان إليه بنفسه فتهالك عليه بالحديد حتى انفجر جوفه عن ثروات كانت تسيل فى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كل اتجاه مسيل الماء ، ثم حمله الملك الظافر ليضعه بين أحجار عتبات مسجد الفتح بغزنة . فكان كل مصل يطؤه بقدمه خمس مرات ! ! ولعل الذين يتهمون السلطان بحب المال يعرفون أن الهنادكة قد عرضوا عليه قبل معركة سومنات أن يفتدوا الصنم بما يريد من مال مهما جل ، ولكنه صمم على الحرب لأن الهدف من الفتح الظافر هو تحطيم الصنم لا جمع الأموال . وقد صدقت فراسة محمود إذ أن الهنادكة المخدوعين في إلههم الذهبي قد خامرهم الشك في ألوهيته حين رأوه يتساقط منفجراً ثم يجر على الأرض في امتهان . فرأيهم معتقدهم الواهم . وأقبلوا على الإسلام يدرسون مبادئه حتى اعتنقوه عن بصيرة ويقين !!

لقد انتهت غزوات البطل بالنصر ، وإذا كان قد رزق الحظوة السعيدة في جهاده المؤمن ، فقد كانت أعماله الحربية لا تقف حائلا دون إصلاحاته الداخلية إذ أن بلاده تمتعت بكثير من مناحي التعمير والازدهار والرخاء ! وأصبح بلاطه مقصد العلماء والأدباء والشعراء وقد أسس في غزنة جامعة كبيرة حشد لها الأساتذة المختارين من شتى البقاع ، وأجرى على طلابها الرواتب والجرايات وزينها بخزانة ثمينة تجمع أنفس الكتب ، وأغزر المؤلفات ، وهو بذلك قد سبق نظام الملك السلجوقي في إنشاء المدارس ، مما يبطل دعوى ريادته الأولى في هذا المضمار ، وقد كان من بين من عمروا بلاطه من أبطال الفكر البيروني العالم الشهير والهمذاني والعتبي والبيهقي والثعالبي من أدباء اللغة العربية والمنصوري والسجزي والأسدي من أدباء اللسان الفارسي ! وقد استدعى ابن سينا على شوق فلم يجب دعوته لصلات قديمة كانت بينه وبين السامانيين ! رأى أن يبقى لها فلا يتصل بمن فرض سلطانهم في الحياة !

وكان عدله المنصف بين أفراد رعيته سببا وطيدا في تعلق المسلمين به ، ومن خوارقه النادرة في إحقاق الحق أن بعض الناس شكا إليه ابن أخيه إذ ارتكب جريمة قتل ظلما مدلا بمكانته من عمه . فحقق محمود الأمر بنفسه ، واستمع إلى الشهود في غيظ وغضب فلما تيقن الأمر ، دعا ابن أخيه ، وقاده إلى أحد غرف القصر ، ثم أطفأ المصباح وذبحه وطلب جرعة ماء ، ويقول الباحثون في تعليل ذلك أنه كان يحب ابن أخيه حبا جما ، وقد أطفأ المصباح حتى لا يرى وجهه فتأخذه به شفقة تشل يده عند القصاص ! ! وهذه الحادثة وحدها تجسد لك جمال العدل في أصدق معانيه ! وهي تغني عن مئات الصفحات في تدوين شمائل هذا المتحرز المؤمن الحريص!

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لقد هجم بعض الكاتبين من الهنادكة على السلطان فى تاريخ غزواته ، وذلك طبيعى لدى من يتعصبون للقومية ، ولكن العادلين من هؤلاء لو أنصفوا البطل لذكروا ماله وماعليه . ومن بينهم المؤرخ الهندى «براساد» إذ يقول نقلا عن ترجمة الدكتور أحمد الساداتى بكتاب تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ص ٩٧ :

« إن محموداً ليعد فى نظر المسلمين غازيا ومجاهداً كبيراً أخذ على نفسه القضاء على الشرك فى مهاد الوثنية ، وهو فى نفس الوقت عند الهنادكة طاغية مخرب ، حطم مقدساتهم ، ودمر معابدهم وآذى شعورهم الدينى فى كثير ، ولكن المؤرخ المنصف حين لا يسقط من حسابه تقاليد العصر الذى كان يعيش فيه واعتباراته ، لا يسعه إلا أن يقرر أن محموداً كان زعيما بارزاً من خيرة القادة والزعماء ، وحاكما حازما وجنديا عبقريا من الطراز الأول ، اتصف بالعدالة ورعاية الفنون والعلوم فهو جدير أن يعد من أعاظم الملوك طرا » .

كما نقل الدكتور أحمد محمود الساداتى فى حاشيته ص ٩٨ رأى المؤرخ الأوربى لين بول فى محمود إذ يقول : « إن ذلك السلطان الذى أقام تلك المنشآت الضخمة بغزنة وأقام دور العلم ودعا العلماء حتى كان يجود عليهم بما لا يقل عما يعادل مائتى ألف من الجنيهات كل عام ، فضلا عما كان يجرى على طلبة العلم من الأرزاق لا يمكن أن يسلك فى زمرة البرابرة "طغاة !!" » .

هذا هو محمود الغزنوى وهذا بعض أياديه على الدين والأدب والعلم أقلا يصح بعد ذلك أن تفرد له عشرات الكتب وأن تمنحه بعض ما تمنح نابليون والإسكندر وهانيبال !!

محمد رجب البيومى
المدرس الأول بدار المعلمات

دستور عمر لنفسه

قبل أن يضع عمر ، الخليفة الثالث دستورا للولاة وضع دستورا لنفسه : قوامه أن الحكم محنة للمحكومين ، وأنه لا يصلح إلا بشدة لا جبرية فيها ، ولين لا وهن فيه ، وأن الخليفة مسئول عن ولاته ، واحدا واحدا ، فى كل كبيرة وصغيرة ، ولا يعفيه من اللوم أنه أحسن الاختيار .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نحو منهج رشيد لتطوير الفقه الإسلامي :

من معالم الطريق

للأستاذ فتحي عثمان

« ذكر حاصل (الدر المختار) في آخر باب القرض) من كتاب (البيوع) : أن شراء الشيء الرخيص بالثمن الغالي في مقابل الاستقراض من البائع جائز للحاجة ، وقد سموه (بيع المعاملة) - وهي طريقة للقرض بمنفعة » .

« وذكرها أيضا صاحب (الدر المختار) نفسه قبل ذلك آخر باب (المرابحة في البيع) قبيل فصل القرض باسم (المرابحة) : وهي أن يبيع الدائن للمدين شيئاً بأغلى من قيمته بحيث يحصل للبائع ربح يعادل الزيادة التي يريدها لقاء تأجيل الدين إلى المدة التي يطلبها المدين » .

« وقد صرح في هذا المكان من الدر وحاشيته نقلا عن فقهاء المذهب أنه : لو قضى المدين الدين قبل حلول أجله الذي عقدت من أجله المرابحة ، أو إذا توفي المدين بعد المرابحة قبل نهاية الأجل فاستوفى الدائن دينه من تركة المدين لحلول الدين المؤجل بسبب وفاته فإن الدائن لا يستحق من المرابحة إلا بنسبة ما مضى من الأجل ، وإذا كان قد قبض الربح وجب عليه رد حصة ما بقي من الأجل » .

« ونقل ابن عابدين هنا عن صاحب القنية أنه سئل الفقيه نجم الدين : أتفتي بهذا أيضا ؟ قال : نعم . كما أفتى به أيضا الحانوتي ومفتي الروم أبو السعود ، والشيخ حامد العمادي في فتاواه الحامدية » .

« وقد نقل صاحب (الدر المختار) آخر (فصل القرض) أنه ورد الأمر السلطاني وفتوى شيخ الإسلام بأن لا تزيد المنفعة عن خمسة في المائة من مبلغ القرض ، فإذا زادت يعاقب الشخص لمخالفة الأمر السلطاني » .

« ونقل ابن عابدين أيضا في حاشيته هنا عن كبار رجال المذهب كالخصاف ومحمد بن سلمة جوازه ، وعن بعضهم كراهته . ثم نقل عن الساتحاني : (أنه صدر أمر سلطاني مبني على فتوى أخرى برفع نسبة المنفعة إلى خمس عشرة في المائة وعليها العمل) ؛ لأن الأمر بها متأخر عن الأول فكان معدلا له . وعلل ابن عابدين عقوبة من يخالف ويأخذ زيادة عن الحد المحدد في الأمر السلطاني بأن طاعة أمر السلطان بمباح واجبة » .

« وقد بحث ابن عابدين في أن مجرد مخالفة الأمر السلطاني في عقد لا توجب فساد العقد.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكن هذا يدل على أن الأمر السلطاني إذا تضمن النص على بطلان العقد المخالف فإنه يكون باطلا حتما (الدر المختار، ورد المختار ٤).

وقد ذكر ابن عابدين أيضا في (رد المختار) آخر الباب الأول من (كتاب القضاء) أن صاحب (البحر) ابن نجيم قد نقل عن أئمة المذهب: أن طاعة الإمام في غير معصية هي واجبة ...».

هذا أصل جليل ...

نخرج منه بصورة تاريخية فقهية رائعة لتطور الزمان، وبروز صور من المعاملات نتيجة لضغط الظروف الاقتصادية، ومرونة الفقه الإسلامي في مواجهة الأحداث المتجددة.

ونخرج منه بأصل تشريعي جليل يعطي اجتهاد سلطاتنا التشريعية مكانته وأهميته في بناء تشريعاتنا المعاصرة.

وكل هذا، يلقي علينا عبئا أثقل من المسئولية.

المسئولية لنبني فقهنا المعاصر، وتشريعنا المعاصر، على ضوء الدراسة الجادة الواعي، والتفاعل الخلاق مع واقعنا الاجتماعي والفكري ... يقول العميد السنهوري في مقدمته الرائعة لكتابه (الوسيط في شرح القانون المدني الجديد):

«جعل الشريعة الإسلامية هي الأساس الأول الذي يبنى عليه تشريعنا، لا يزال أمنية من أعز الأماني التي تختلج بها الصدور وتنطوي عليها الجوانح، ولكن قبل أن تصبح هذه الأمنية حقيقة واقعة، ينبغي أن تقوم نهضة علمية قوية لدراسة الشريعة الإسلامية في ضوء القانون المقارن، ونرجو أن يكون من وراء جعل الفقه الإسلامي مصدرا من المصادر الرسمية للقانون الجديد ما يعين على هذه النهضة».

* * *

ومن أول مجالات هذه النهضة العلمية لدراسة الشريعة الإسلامية في ضوء القانون المقارن جامعة الأزهر، وكلية الشريعة منها بوجه خاص.

هذه الكلية تستطيع أن تهيئ المناخ الصالح الذي يتحقق في ظله التفاعل الفكري بين تراثنا الفقهي وبين الدراسات القانونية المعاصرة.

ونستطيع أن نستبين على طريق هذا التكوين الفقهي المؤمل المعالم التالية:

بالنسبة لدراسة الفقه الإسلامي:

ينبغي أن تكون الدراسة الفقهية العالية في مستوى الكليات دراسة مقارنة، ولا تكون مقصورة على مذهب معين، ويمكن الرجوع إلى أمهات كتب الفقه التي اعتمدت على القرآن والسنة بصفة أساسية دون أن تلتزم التقيد بمذهب معين مثل كتب ابن حزم (المحلى) مثلا وابن رشد (بداية المجتهد) مثلا وابن القيم (زاد المعاد وإعلام الموقعين) مثلا والشوكاني (نيل الأوطار) والصنعاني (سبل السلام) وهكذا ...

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد سبق أن كتبت فى « الفكر الإسلامى والتطور » أقترح أن يكون التخصص فى الفقه موضوعيا لا مذهبيا : فيكون التخصص فى الفقه الجنائى أو المدنى وفى الفقه الدستورى أو الدولى ، لا فى مذهب بعينه ...

وقد تقدمت بمذكرة مسهبة للجهات المختصة أثناء قيام لجان تطوير الأزهر بعملها تعرضت فيها لفروع الدراسات القانونية المعاصرة ، وإمكان دراسة الفقه الإسلامى على هدى منهجها فى التصنيف والتقسيم ... وأنا أنقل هنا ما سبق أن ذكرته فى المذكرة المشار إليها:

(أ) — القانون العام :

١ — القانون الدستورى والقانون الإدارى : يمكن دراسة نظام الحكم فى الإسلام ، وقد أدخلت هذه الدراسة فى دبلوم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، ويمكن الإفادة مما كتبه المتكلمون والفقهاء عن الإمامة ومن كتب مثل السياسة الشرعية لابن تيمية ، والطرق الحكمية لابن القيم ، والأحكام السلطانية للماوردى ، ومثلها لأبى يعلى ، ومقدمة ابن خلدون ، وكتب الحسبة ... إلخ ...

« ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة الخلافة للسنهورى بالفرنسية والنظريات السياسة الإسلامية للدكتور ضياء الدين الريس » ...

٢ — التشريع المالى : ويمكن الإفادة بصفة خاصة من كتب الخراج ، ومنها ما ألفه أبو يوسف ويحيى بن آدم ابن قرشى ، فضلا عما أوردته كتب التاريخ من تدوين الديوان وجمع الزكاة والخراج وتوزيع العطاء والأرزاق إلى غير ذلك من الموارد والمصارف المالية ، وفى مقدمتها كتب تاريخ الطبرى والبلاذرى وابن عساكر وابن خلدون ... إلخ ، كذلك كتب « السير » التى تتناول قسمة الغنيمة الفيء . « ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة الخراج للدكتور ضياء الدين الريس ، والخراج للدكتور بدوى عبد اللطيف عوض » .

٣ — القانون الدولى العام والخاص : للشريعة الإسلامية أحكامها فى السلم والحرب والعهد والعلاقات الدولية ، وفى أحكام الذميين والمعاهدين والحربيين والمستأمنين ... إلخ ...

وقد وردت مباحث ضافية عن ذلك فى كتب الفقه وخاصة الموسوعات : مثل المبسوط للسرخسى ومدونة سحنون ، فضلا عن كتب السير للأوزاعى وأبى يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى « ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة كتاب الدكتور محمد حميد الله الحيدر أبادى بالانجليزية : سير الدولة الإسلامية » ...

٤ — القانون الجنائى :

يجب الاهتمام بدراسة القسم العام من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القانون الجنائى ، ويشمل أحكام الشريعة الإسلامية فى الجريمة والمجرم والعقوبة ، ومبحث المسئولية الجنائية ، ولا تكون الدراسة مقصورة على الأحكام الجزئية فى القصاص والحدود والتعازير ، كما يلزم أن تكون هناك دراسة موضوعية تاريخية لفقه الإجراءات الجنائية فى الإسلام » ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة : التشريع الجنائى الإسلامى ـ لعودة ، التعذير للدكتور عبدالعزيز عامر ، الجريمة والعقوبة والمسئولية الجنائية لأحمد فتحى بهنسى ... إلخ ... » .

(ب) القانون الخاص :

الحاجة ماسة لبذل محاولات لتأصيل نظرية الالتزام فى الفقه الإسلامى ، مع الاستئناس بالدراسات المعاصرة ومن أهمها : السنهورى مصادر الحق فى الفقه الإسلامى . الزرقا : المدخل الفقهى العام . شفيق شحاته : نظرية الالتزام فى الشريعة الإسلامية . صبحى محمصانى : نظرية الموجبات والعقود فى الشريعة الإسلامية .

ويحسن إبراز وإفراد بعض مباحث البيوع والشركات والرهن والكفالة لمحاولة تبيين ملامح الفقه الإسلامى فى الأحكام التجارية.

كما يحسن إبراز وإفراد الدراسات المبعثرة عن القضاء والشهادة والدعوى والإقرار لمحاولة تبيين ملامح الفقه الإسلامى فى أحكام المرافعات.

(ج) الفلسفة القانونية والاقتصادية :

من المرجو أن تفرد دراسة الفلسفة الحقوقية أو فلسفة الفكر القانونى تجمع فيها آراء الأصوليين ، والمتكلمين والفلاسفة والفقهاء فى فلسفة التشريع الإسلامى » ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة : كتاب فلسفة التشريع الإسلامى لصبحى محمصانى ، وبعض كتابات السنهورى » .

كذلك من الممكن إلقاء أضواء على الفلسفة الاقتصادية الإسلامية .

على أنه من الأفضل أن تدمج الدراسات الإسلامية فى بعض الفروع مع الدراسات القانونية فى دراسة موحدة مقارنة ، فهذا أعون على التفاعل المنشود ، وعلى تكوين العقلية القانونية والذوق الفقهى ، وبخاصة فى فروع القانون التى يمكن أن تنسجم فيها المادة الفقهية الإسلامية مع المادة الفقهية المعاصرة مثل الأحكام المدنية باستثناء الأحوال الشخصية والقانون الدولى ، وكذلك فروع القانون التى لا تشغل الكتابات الإسلامية فيها حيزا مذكورا مثل قواعد المرافعات والإجراءات الجنائية والأحكام التجارية والفلسفة الاقتصادية .

* وتكون هناك دراسة نصية فى أمهات كتب المذاهب ليألف الطلاب البحث الجاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المتعمق فى المراجع الأصلية ، ومن ذلك : كتب الأمام للشافعى والخراج لأبى يوسف والسير الكبير لمحمد بن الحسن والمبسوط للسرخى ومدونة سحنون ... إلخ ...

• وينبغى أن توجه عناية خاصة لدراسة تاريخ الفقه الإسلامى دراسة حية تقوم على أساس متابعة تطور المجتمع الإسلامى والفكر الإسلامى ، ورصد الآثار المتبادلة بين الفقه والحياة فى تاريخ المسلمين .

وبالنسبة للدراسات القانونية المعاصرة :

• يرجى الاهتمام بصفة خاصة بدراسة المدخل للعلوم القانونية ، ويجب ألا تقل محاضراته عن ست محاضرات أسبوعيا ، ليتعرف الطالب على الأسلوب العلمى المعاصر فى الدراسات القانونية ، ويتفهم روحها وفلسفتها .

• كما يرجى الاهتمام بدراسة تاريخ القانون مع العناية بصفة خاصة بتجديد منزلة الشريعة الإسلامية فى البناء القانونى العالمى . والتاريخ نور كشاف ، على ضوئه تتحدد الأصول والمعالم فى إطار تركيبى يعين على الفهم الصحيح للعلم على هدى السنن الاجتماعية الإنسانية ، خاصة بالنسبة للعلوم الاجتماعية والإنسانية والتاريخ منها .

وهناك دراسات قانونية حديثة شرعت كليات الحقوق بجامعاتنا فى دراستها ، وتنبغى أن تدرس كذلك فى كلية الشريعة مع الاستئناس بالتوجيهات الإسلامية العامة ، مثل : علم الاجتماع القانونى ، علم الإجرام أو علم العقاب ، مبادئ الطب الشرعى ، وذلك فضلا عن دراسة تشريعات العمل والتعاون والإدارة المحلية من التشريعات القائمة .

• • •

ينبغى أن يسود الدراسة فى كلية الشريعة أساسا اتجاه عام يتمثل فى التجميع والتركيب والتأصيل ، وتقديم النظريات العامة بقدر الإمكان بدلا من دراسة المسائل الفقهية أشتاتا وتفاريق ، فهذا وحده هو الذى يخلق لدى الطالب ذوقا قانونيا ، بدلا من إتخام الذاكرة بالمعلومات الجزئية التى لا يمكن أن يتسع للإحاطة بها منهج ولا وقت ...

على أنه لابد من تعويد الطلاب على البحث واستخدام المراجع وبخاصة المطولات والأمهات ، وتكوين المزاج العلمى الذى درب على معالجة النصوص وتفهم اللغة الفقهية أسلوبا ومنهجا .

وستنتفع الدراسة الفقهية على هذا النحو من الدراسات القانونية المعاصرة ثم يأتى الوقت الذى تنتفع فيه المعرفة القانونية العالمية من جديد بثمار الفقه الإسلامى العصرى المتطور ... ولكل أجل كتاب .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ؟

فتحى عثمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

النسخ في تقدير علماء الأصول

للأستاذ عباس طه

(معناه — جوازه ووقوعه — أقسامه — حكمته)

— ٢ —

وكذلك يستدل المانعون بقوله تعالى : « وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون . قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » وذلك أنها تدل على أن الذي يأتي مكان آية آية لا حديث ، وقوله : « قل نزله روح القدس » يدل على أنه منزل من عند الله ، وذلك هو القرآن . ويدفع المجيزون هذين الدليلين بأن قوله : « وإذا بدلنا آية مكان آية » لا ينفي أنه قد ينسخ حكم آية بحديث ، فإن عبارة (إذا صنعت كذا) لا تدل على أنه لا يصنع إلا ما ذكرت ، وقوله تعالى : « قل نزله روح القدس » يتناول ما نزل قرآنا وما نزل سنة ، فإنه لا ينطق عن الهوى .

هذا طرف من أدلة المانعين والمجيزين ، نكتفي به في المجلة علما بأن استقصاء مثل هذا مما يكل أذهان جمهور القراء ، وإنما نلم من مثلها بما تتناوله مدارك الأوساط ، ومن شاء الاستقصاء فهذا المقصد ، ولكن لا تتسع صفحات المجلة لبغيته بل محل ذلك كتب الأصول .

ومن منع نسخ الآية بالحديث الشافعي وأحمد ، ومن أجازه بشرط التواتر مالك وأصحاب أبي حنيفة وابن شريح وكثير من المتكلمين أشاعرة ومعتزلة ، على خلاف في الوقوع كما ذكرنا آنفا .

أما حكمة النسخ فالكلام فيها في موضعين : (الأول) حكمة النسخ على العموم ، (والثاني) حكمة نسخ التلاوة مع بقاء الحكم ، أو نسخ الحكم مع بقاء التلاوة .

فالمقام الأول يكفي فيه ما سبقت الإشارة إليه من أن الدين نزل تدريجيا لتربية قوم تأصلت فيهم عادات ومألوفات ، حتى اعتقدوا فيها أنها المكارم ووسائل المجد ، ومرجع الفخار ومقياس عزة النفس ، وقد اختار الله تعالى وجلت حكمته أن يبعث رسوله من هذا الشعب الذي بلغ الغاية العظمى في تقديس أسباب المجد والمفاخر والمآثر ، وغلبت على نفسه وجهة الفخار

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والتحدث بالمحامد والفرار من المذام بدرجة ما عرفت فى شعب غيره ، ويكفى فى ذلك تتبع ما كان يثور بينهم من الحروب الطاحنة إلى درجة التفانى بين المتطاحنين ويبقى ذلك سنوات عديدة فما كانت أسباب ذلك لترجع إلى التزاحم على مال أو متاع أو اقتناء ثروة أو غيرها مما هو هدف الحروب فى زمننا هذا، بل بين المتحضرين كافة فى كل وقت ، وإنما كان مرجع حروبهم فى الكثير الغالب هو الحمية فى الشرف والنعرة فى التفاخر والاعتداد بالفضيلة والتبريز فى المجد والنبل ، فشعب هذا شأنه وقد اختاره الله تعالى للقيام بنصرة نبيه ونشر دينه ليس من الحكمة أن يساس قصراً ، وأن تنتزع منه مألوفاته قهراً ، بل الحكمة كل الحكمة فى أن ينقل تدريجياً من حالة إلى حالة تليها حتى إذا ركن الثانية انتقل إلى درجة تليها وهلم جرا .

يتجلى هذا فى تحريم الخمر التى كان يتغنى بها شعراؤهم ، ويتباهى بها فتيانهم ويتحدث بها شجعانهم ، يرونها أمارة الرجولة وعنوان الشهامة وسمة الفتوة ، فجاءت الأحكام والآيات تستلها من نفوسهم رويداً رويداً ، حتى استقر أمرها على المنع البات واقرأ إن شئت قوله تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » فقد نبههم لينأملوا آثامها ومضارها ، ثم اقرأ قوله سبحانه : « يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » فزاد تنبههم إلى أنها لا تناسب هذا المقام العظيم ، مقام وقوف العبد بين يدى ربه يناجيه بكلامه بكل خضوع ، ويستنزل رحمته بكل جهد ، فينبغى أن يكون حاضر كل العقل ، حتى إذا تفطنوا إلى منافاتها لأعظم مقام تصل إليه نفوسهم ، وجرت حوادث زادت تنبههم إلى ما فيها من ضرر ، تشوفوا من أنفسهم لتحريمها بتاتا فجاء قوله تعالى: « يأيها آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » . أفلا ترى كيف كانت الحكمة البالغة فى تربية شعب اصطفاه الله من بين الشعوب باختيار رسول منه ، لما أودع فيه من صفات النبل والمجد ، فيبقيها له بعد أن ينقيها مما علق بها من الأدران ؟ وكذلك آيتا التربص حولا والتربص أربعة أشهر وعشراً : كان الأول علاجا لعادة تأصلت فى نفوس أشرافهم ، واعتبرت وفاء من الزوجة لزوجها المتوفى عنها ، وهى أنها تحرم على نفسها الرجال من بعده ، فكان فى هذا وفاء حقاً ، ولكنه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

زاد حتى خـــرج عن اعتباره فضيلة ، فالظلم لا يدوم وإن دام دهر ، ولكن العدل إن دام عمر ، فلم يكن من الحكمة أن تقتطع صفة الوفاء الأبدى المندسة فى نظرهم إلى الحكم الذى أراد جل شأنه أن يستقر الأمر عليه ، وهو تربص أربعة أشهر وعشرا طرفة واحدة ، بل الحكمة كل الحكمة أن تكون النقلة على درجتين : (الأولى) إلى حالة كان يراها بعضهم والعقول تسيغها بعد الأولى بسهولة ، وهى تربص الحول ـ ومن يبك حولا كاملا فقداعتذر . (والثانية) بعد هذه وهى ما استقر عليه الحكم ، وهو كاف الوفاء عند الإنصاف .

وهكذا إذا تتبعت الأحكام التى نسخت وأحسنت التأمل ، فإنك ظافر بحكمة تزيدك إيمانا وشكراً وينطق لسانك بقوله جل شأنه : « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » .

الموضع الثانى : حكمة بقاء التلاوة مع نسخ الحكم . أو نسخ التلاوة مع بقاء الحكم . وقد ذكرنا فيما سبق أن معنى نسخ التلاوة هو نسخ حكمها ، أى لم تبق للآية صفة القرآنية ـ من التعبد بتلاوتها ، وصحة الصلاة بها ، ونحو ذلك . فأما القسم الأول وهو بقاء التلاوة مع نسخ الحكم ، فتجلى لنا حكمته البالغة فى تربيتنا ، وتشهد التدرج فى الكمال الذى أعدنا له جل شأنه بتغيير الحكم الذى كان يناسب علة متأصلة فى الأمة إلى حكم مناسب للدوام والاستقرار فنزداد شكراً ويقوى امتثالنا للحكم واقتناعنا بالرحمة المودعة فيه ، فقد يكون انتقالا إلى أخف فنشكر نعمة التخفيف ، وقد يكون انتقالا إلى حكم أشد من الأول فنشكر نعمة التهذيب لنفوسنا ، والتعريض للزيادة فى مثوبتنا ، وتتبع الأحكام التى ورد عليها النسخ تقرأ العجب العجاب .

وأما القسم الثانى : وهو نسخ التلاوة مع بقاء الحكم فيظهر فى كل آية بما يناسبها ، وإذا كان السؤال فى آية الرجم فلنخصها بالذكر ، ولنبد فيها ما يظهر لنا مما تنشرح له الصدور .

لقد وردت الآية فى عقوبة هذه الفعلة الفاحشة جد الفحش فى نفسها ، التى تزداد فحشاً إذا وقعت ممن لم يكن ليظن به أن يتردى فى هاويتها ، ويتلوث برجسها ، ويفتضح بشناعتها ، وهى مع كونها إجراما خبيثاً فيها معنى الفحش والعار والقبح حتى قبح تكرار سيرتها ، فهى مما يستحى من تكراره ، وهى من الشناعة بحيث ينبغى أن تسلك فى مسلك ما يستحيل ولا يكاد يقع ، ربما ينبغى أن تنزه الأسماع عن تكرار سماعه والألسنة عن تكرار التلفظ به .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذا كله فى فرض أن يقع ممن ذاق هذا الأمر وعرف قيمته ، وأما أصل وقوعه ممن لم يعرفه ولا سبق له غشيانه فى حلال ، فهو مما لا يكاد يقتلع كلية من الناس ، فالزنى إذا فرض فمنه ألا يفرض إلا من فتيان لم يتخلصوا من جهالة الشباب ، ولم يتزوجوا طعم التزاوج ، فقد يعذرون فيه فلا يستحقون ذلك الإعدام المزرى ، وهو القتل كما تقتل الحشرات الخبيثة ، ولكن يؤدبون ، فليكن تأديبهم أمرا ماثلا أمامهم تتلى عليهم آياته كل حين ، أما من بلغ درجة الكمال فلا يسع العقل أن يصدر منه هذا حتى يتعرض لحكمه ، فمن الحكمة بعد أن إعلم أمره أن تنسخ تلاوته ويبقى حكمه معلوما فى الشرع ودل على البقاء صنعه صلى الله عليه وسلم مرارا وصنع صحابته من بعده.

ومما يشرح الفرق بين الإجرام والفحش أنك تستبيح لنفسك التحدث إلى بنيك وبناتك بأخبار سرقات أو قتل أو نهب ، وتتحاشى أن يصل إلى سمعهم أو سمعهن أخبار هتك الأعراض أو تعرض الرجال للنساء وتعرض النساء للرجال وعلى ذلك يكون أصل الفريضة لخطرها تثبت بقرآن يتلى ، كما أشار إليه عمر رضى الله عنه فى خطبته السابقة ، وتنزيه الأسماع والألسنة عن تكرار ذكره ، وإدراجه فى سلك مالا يكاد يحصل حتى يتعرض له — مدعاة لنسخ آيته ، وبذلك تتجلى الحكمة البالغة فى التشريع بآية قرآنية ثم نسخها مع بقاء حكمها.

وأما حكمة نسخ التلاوة والحكم جميعا فإنها تعلم بالقياس إلى ما ذكرناه وبالله التوفيق ؟

عباس طه

ملاحظة

اقرأ فى باب أنباء وآراء تعليقا على خطأ وقع فى مقال الدكتور صلاح الدين عبد الوهاب .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يقال عن الإسلام

أقوال وأقاويل .....

للأستاذ عباس محمود العقاد

لعالم النشر فى البلاد الأوربية عادات متفق عليها ، تتكرر فى كل فترة من فترات الثقافة العامة على نمط يناسبها .

وإحدى هذه العادات التى لاحظناها غير مرة فى هذا الباب أن مواسمهم « الطباعية » لا تمر فى سنة من السنين دون أن تظهر فى الموسم بعد الموسم منها كتب عدة عن الإسلام والبلاد الإسلامية .

وقد تلحق بهذه العادة عادة أخرى نلاحظ فى الكتب التى لم يخصصها المؤلفون بالموضوعات الإسلامية ولم يقصروها عليها ، فقد يصدر الكتاب عن موضوع من موضوعات العقائد العامة ، أو موضوع من موضوعات التواريخ والرحلات ، أو موضوع شائع يتعلق بالحياة البشرية فى أدوارها المختلفة ، فلا ينسى مؤلفه أن يتناول شيئا من الدراسات الإسلامية من جانبها الفكرى أو جانبها التاريخى أو جانبها السياسى ، أو جوانب الأخلاق والمصالح الاجتماعية ، فلا ينفصل موضوع الإسلام عن موضوع التاريخ الإنسانى ، ولا سيما التاريخ المتصل بتطور العقائد والنظم الاجتماعية .

وبين يدى الآن خمسة كتب وصلت فى بريد واحد ، أربعة منها تتناول الكلام على الإسلام والمسلمين فى بعض النواحى العامة أو الشخصية ، والخامس منها قد خلا من الكلام عن الأديان عامة ، فلا ذكر فيه للإسلام ، ولا للمسيحية ، ولا لليهودية ، أو البوذية ؛ لأنه بحث مقصور على العلاقة بين الكيمياء والحياة الحيوانية .

• • •

وأقرب هذه الكتب إلى موضوعات الدين كتاب ألفه الأستاذ ف . ك . هابولد Happold عن المذاهب الباطنية ، أو المذاهب التى نطلق عليها اسم « الصوفية » ، لما فى التصوف أحيانا من أسرار روحية يعلمها بعض أهلها ويشيع بين طلابها ومريديها أنها تخفى على غير الواصلين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تكلم هابولد عن كل طريق من طرق الصوفية المشهورة فى عقائد الهنود والفرس والمسيحيين الأقدمين والمحدثين والإسرائيليين فى نشأتهم بفلسطين على الخصوص ، وأفرد للصوفية الإسلامية فصلا كبيرا معززا بالشواهد من الشعر والنثر فى كتب الأقطاب البارزين من شيوخ الطرق بين الشعوب الإسلامية ، فذكر جلال الدين الرومى والجامى وابن الفارض والعطار والحلاج والبسطامى وغيرهم ممن لم يشتهروا فى الشرق والغرب مثل شهرتهم ، وذكر حجة الإسلام الغزالى ليسند إليه ميزان الاعتدال بين المذاهب الصوفية التى يرضاها أهل السنة وبين المذاهب التى جاوزت حد الاعتدال وبلغت من الشطط فى القول بالحلول ووحدة الوجود حداً لا يرضاه الجلة من أئمة الإسلام .

وأنصف المؤلف إذ قال : إن الإسلام أشد الديانات الكبرى حرصا على تنزيه الذات الإلهية من عوارض البشرية والتجسيم ، سواء ظهرت فى القول بامتزاج الإنسان بالإله ، أو امتزاج الإله بالإنسان ، أو ظهرت فيما يسمونه بالتجلى ويعنون به رؤية « الحق » فى صورة إنسان أو مخلوق من المخلوقات .

وقسطاس الاعتدال كما شرحه الإمام الغزالى فى مشكاة الأنوار ، أن العابد يفنى فى حب الله وينسى أنه فان لأنه ينسى ذاته ولا يذكر وجوده الباطل إلى جانب الوجود السرمدى الحق فى الذات الإلهية . فليس هناك وحدة أو حلول أو امتزاج بين ذات الخالق وذات المخلوق ، وإنما هناك الحب الذى يبطل « الأنانية » كما تبطل الأثرة فى نفس العاشق حبا للمعشوق ، ولكن مع الفارق الشاسع بين العشق الإلهى وبين عشق الإنسان للإنسان .

• • •

والكتاب الثانى عن الكنيسة الأرثوذكسية فى الشرق بقلم الأستاذ تيموثى وير Ware الذى تخصص للبحث فى تاريخ الأديرة والرهبنات الشرقية مع تاريخ الشعائر والنحل التى يدين بها الرهبان المنتمون إليها ، وقد أشار فى عرض الكلام على تاريخ بيزنطية إلى أحوال الكنائس والقساوسة وسائر أتباعها وأتباعهم فى ظل السلاطين العثمانيين ، فنهد للدولة الإسلامية بالسماحة فى معاملة الرعايا المسيحيين وقال إن السلاطين لم يقصروا عن براطرة الروم فى رعاية البطارقة الكبار ورؤساء الدين على العموم ... إلا أنه عاد فقال إن السلطان كان ينظر إلى رعاياه من المسيحيين كأنهم طبقة ثانية بعد الطبقة الأولى من رعيته المسلمين ، وقد يكون الخطأ فى كلام المؤلف هذا راجعا إلى إهمال المقارنة بين السلاطين والبراطرة فى معاملة المذاهب المختلفة ، وإلى نسيان المقارنة بين الأجناس فى واجب الإخلاص للدولة التى يتبعونها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولو أنه قارن بين السلطان والامبراطور - أى سلطان وأى امبراطور - لعلم يقينا أن الامبراطور كان يأبى على المسيحى الذى يخالف مذهبه أن يعيش فى ظله آمنا على حياته مساويا لأخيه المسيحى فى حقوقه وحرية اعتقاده، ولم تكن عنده طبقة أولى وطبقة ثانية من رعاياه، وإنما كانت الرعية طبقة واحدة يحق لها الوجود وطبقات أخرى لا توجد فى ظله إلا على خوف وحذر وحرمان من حرية العبادة بغير مصادرة واضطهاد.

وقد يعلم المؤلف من مقارناته لأسباب التفرقة بين رعايا السلطان أنهم يفترقون اضطرارا بحكم الفوارق الجنسية والعنصرية، وأنهم يعاملون بحسب إخلاصهم للدولة التى تعاملهم، تفرقة فى درجات الولاء لا تفرقة فى الحرية الدينية التى تكفلها الدولة لأهل الذمة من رعاياها

• • •

والكتاب الثالث عن بونابرت فى مصر للكاتب الانجليزى كرشيفور هيرولد الذى يكتب عن التاريخ الفرنسى والشخصيات التاريخية بأسلوب التبليغات الصحفية، ويجيد الوصف فى هذا الأسلوب غير مستخف بأمانة التحرى التى يغفل عنها كثير من طلاب التهويل والاستثارة بين المؤرخين الصحفيين أو الروائيين المؤرخين.

وفى الكتاب بيان مفصل لكثير من الحوادث والمشاهد، وكثير من القضايا الاجتماعية والأزمات السياسية والعسكرية، ولكن عناية المؤلف بنظرة نابليون إلى هذه الأمور وخطته فى تدبيرها وتصريفها مع دولته ومع المصريين والعثمانيين كانت أهم وأعظم من عنايته ببيان الحوادث لذاتها أو بيان آثارها ونتائجها، وربما كانت عنايته بموقف نابليون من علماء الدين وموقف علماء الدين من البعثة العلمية التى أحضرها معه للدرس والاستطلاع هى الفصل الذى يقال عنه إنه بيت القصيد بين سائر الفصول، وأنه أجمع الفصول لأسباب التعريف بعبقرية نابليون الذى يحسبه بعض المؤرخين بين عظماء القادة العسكريين وتظهره مواقفه من قادة المجتمع المصرى الروحيين فى مظهره الغالب عليه: وهو مظهر الزعيم الاجتماعى المحنك والقائد السياسى، أو الدبلوماسى فى أكثر الأحيان.

وكان نابليون يرى بعد اختباره لكبار علماء الأزهر أنهم أهل للتوقير والاحترام بحق العلم والمعرفة وحق الورع والتقوى وحق الخلق الكريم والحكمة الراجحة، وليس بالقليل منهم من كان أهلا للتوقير والاحترام بحق الثراء وحق النسب العريق، وكان فى مسلكه نحوهم وتوددة إليهم يؤمن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بأنهم دون غيرهم مناط القدوة الاجتماعية ومرجع الطاعة والاعتبار للهيئة الحاكمة، وقد حاول أن يستخلص منهم الفتوى الدينية بوجوب طاعته ولكنه قنع منهم آخر الأمر بالمعاونة على المشورة واجتناب ما يدعو إلى الثورة والتمرد من جانب المصريين.

ويقول مؤلف الكتاب إن علماء الأزهر قد احتفظوا بوقارهم ورصانتهم العقلية أمام عجائب العلم الحديث التي خيل إلى علماء البعثة أنها تقع عندهم موقع السحر من أبناء الشعوب البدائية، ولكنهم قد نظروا إليها - فعلا - نظرتهم إلى حيل السحرة وأصحاب الشعوذات وإن كانوا قد فهموا أنها تستند إلى علم جدير بالتحقيق من قبيل ما عرفوه أو سمعوا به من حكمة الأولين.

قال المؤلف إنه لم تمض حقبة قصيرة على عهد نابليون حتى كان الإفرنجيون والآسيويون قد علموا ما وراء تلك الحيل من أسرار الكهرباء والكيمياء، وتبين أن السذاجة كانت من نصيب علماء الحملة لأنهم قدروا الدهشة في غير موقعها من عقول أولئك الحكماء.

ومما يؤخذ من طرائف هذا الكتاب ما أخذ التأمل والاعتبار أن نابليون على رغبته في العلم بأحوال مصر وأحوال الجامع الأزهر على الخصوص، قضى أيامه بمصر وهو يعتقد أن الجامع الأزهر أثر من آثار صلاح الدين ويأخذه الزهو بهذه العلاقات الأزهرية التي جمعت بينه وبين البطل الإسلامي الكبير في مقام واحد.

* * *

وختام ما ننقله من الكتب الأربعة فصل عن الساعات الأخيرة في حياة الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله، وهو فصل من فصول الكتاب الذي ألفته السيدة ماري رولات بنت السير رولات محافظ البنك الأهلي على عهد الاحتلال، وقد اختارت لكتابها اسم بناة مصر الحديثة وقصدت بهم بناة النهضة منذ عصر الثورة العرابية، وأولهم في تقديرها الأستاذ الإمام رائد الدعوة الثقافية والروحية قبل الجيل المعاصر.

ومعظم معلوماتها عن نشأة الأستاذ الإمام مستمدة من تراجمه العربية ولكنها اعتمدت على مصادرها فيما روته عن أخباره الأخيرة وكتبت ما أوردته منها بأسلوب ينم على التعظيم والإكبار.

قالت: «إنه كان يحس آلام المرض قبيل وفاته ولكنه كان لا يزال مشبع النفس بكثير من مشروعات الإصلاح ونيات السعي والعمل: صحيفة كبرى، وجامعة جديدة، وسياحة إلى فارس والهند وروسيا لتفقد أحوال المسلمين فيها وتدعوه ضرورة الصحة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أولا ـ أن يبدأ بالسفر إلى أوربة للعلاج وإن لم يشعر يومئذ بمبلغها من الخطر ...

وقد كان يزور صديقا له برمل الإسكندرية لقضاء أسبوع عنده قبل الإبحار إلى أوربة ولكنه لم يلبث أن شعر باشتداد وطأة المرض وتبريح الألم والاضطراب، وأقعده الوهن عن الحركة ثم تعذر عليه النطق فلم يسمع منه غير ذكر اسم الله يستمد منه العزم والعزاء وطفق يردد في صوت يشبه الهمس الخافت: الله أكبر .. الله أكبر .. وأدركته زوجته بما وسعها من العطف والرعاية وهي تصغي إليه فلا تستبين ما يقول إلا أن تفهم من حركة الشفتين أنه يوالي التسبيح بكلمتي التكبير، الله أكبر .. الله أكبر .. ولم يكد يستطيع قبل أن تفيض روحه إلى بارئها غير التكبير والابتسام وهو ينظر إليها ... وقد وقف القطار الذي يحمل جثمانه من الإسكندرية إلى القاهرة في غير مواضع الوقوف قضاء لواجب الحزن والتشييع ممن كانوا ينتظرونه في الطريق ...

واجتنبت مظاهر التقليد في الصلاة عليه وفاء للراحل الذي قضى حياته في كفاح التقليد والمزوف عن باطل الثناء، ولكن المشيعين له من المسلمين وغير المسلمين كانت تغمرهم غاشية الحزن العميق، وشوهد بين الجمع رجل يغلبه النحيب فأقبل عليه صديق يعزيه ويشاطره المصاب، فنظر إليه وهو يقول: إنه لا يبكي شجوه وحده ولكنه يبكي لأولئك المحرومين الذين كان من عمله أن يطوف عليهم بالصدقات في كل شهر من مرتب الشيخ ... وقد كان عظيما فقيراً في الحياة وقضى نحبه وهو فقير عظيم».

* * *

ولم يسلم كتاب السيدة رولات من الأخطاء والسهوات، ولكنها أخطاء وسهوات كأمثالها مما ورد في كتب هذه المجموعة، قد تحمل على نقص العلم بالواقع أو اختلاف النظر إليه، قبل أن تحمل على سوء النية؟

عباس محمود العقاد

استدراك

أشرنا في العدد السابق إلى تحريف في الآية الكريمة الواردة في صفحة ٩٧١ العمود الثاني ونعيد نشر الآية الكريمة السابقة لها لسهو فيها لم ننشر إليه وهي: «يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين».

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

خطأ الأحمدية
في تفسير قوله تعالى "وخاتم النبيين"

أرسل إلينا الدكتور تمام حسان المستشار الثقافي للجمهورية العربية المتحدة بنيجريا بمقال كتبه بالانجليزية ردا على بعض الأحمدية في تفسير قوله تعالى «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم»(١) وتعميما للنفع رأينا ترجمته وقد أورد سيادته نص مقال الأحمدي ، ثم عقب عليه مفندا ما حواه من أخطاء وصدر الموضوع بهذه الكلمة كمقدمة له :

أخي في الإسلام :

العقيدة الإسلامية تهم كل فرد مسلم ، ومن أقوى الدعامات التي تقوم عليها هذه العقيدة : أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله وأنه بلغ الرسالة تامة من غير نقصان .

فالإسلام إذا دين كامل يشهد بذلك القرآن الكريم ، وليس هناك حاجة إلى نبي آخر يرسله الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، آخر الرسل المبلغين عن الله ، فكل دعوى من هذا القبيل باطلة ، وهذا أمر مسلم به ، يمثل جانبا مهما من الإيمان برسالة الإسلام ، من ينحرف عنه فهو خارج على الدين ولو أصر على التشبث بلقب مسلم ، أو رفع عاليا شعارات الإسلام .

ويبدو أن بعض المنتمين للإسلام بالاسم لا يؤمنون في قرارة أنفسهم بهذا ، ويودون ببالغ الجهد لو تحول المسلمون كلهم فشاركوهم في اعتقادهم الفاسد .

وهم من أجل هذا لا يهمهم في سبيل خدمة أغراضهم المنحرفة أن يهدموا الإسلام من أساسه.

ولقد قام عضو في إحدى الجماعات المنحرفة (الأحمدية) في سبتمبر الماضي بنشر المقال التالي :

قول الأحمدية في "خاتم النبيين"

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليما (٢) » .

لقد ساد الاضطراب في فهم الوضع الحقيقي والمعنوي للنبي الكريم على ضوء وصفه بخاتم النبيين في الآية ، ولكن الدراسة الدقيقة للسياق المفهوم منها ، يزيل ما اعترى الأفهام من غموض هو نتيجة لأخطاء سائدة .

ففي مكة حيث مات أولاد النبي الذكور كلهم في طفولتهم ، عيره أعداؤه بأنه أبتر (والأبتر الذي لا يعقب ابنا ذكرا) ومقصدهم

(١) نشرنا الأصل الانجليزي بآخر هذا العدد من المجلة
(٢) الأحزاب الآية ٤٠ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من ذلك أن الدعوة سوف يقضى عليها إذا عدم النبي وريثا ذكراً يخلفه عليها . فجاءت سورة الكوثر لترد على هؤلاء وتنفى مثلبتهم عن النبي وتلصقها بهم .

وكان من الطبيعى بعد نزول سورة الكوثر أن تهدأ نفوس المسلمين ، ويطمئنوا إلى أن الله سيبارك ذرية نبيهم الذكور ، فيعيشون إلى أن يشبوا عن الطوق ويصيروا رجالا .

فلأجل أن تنفى الآية التى نحن بصددها هذا الفهم أكدت أن النبي لم يكن ولن يكون أبا لرجل ما . وتتعارض هذه الآية فى الظاهر مع ما قررته سورة الكوثر : من أن أعداءه هم البتر وليس هو - وللتوفيق الحق بين الآية والسورة يقال : إن رسول الله أب روحى للأمة الإسلامية ، ووصفه بخاتم النبيين يشير إلى أنه أب روحى أيضا للأنبياء جميعهم ، سابقهم ولاحقهم - فإذا ثبت أنه أب روحى للمؤمنين وللأنبياء فكيف يقال عنه : إنه أبتر ؟

وعلى العكس من ذلك إذا قلنا : إن خاتم النبيين تعنى أنه آخرهم بمعنى أنه لا نبي بعده فالآيه حينئذ تبدو وكأنها نشوز لا تساوق بينها وبين السورة ، وحينئذ لا تدحض افتراء المعاندين بل تدعم اتهامهم وتقويه .

وتمشيا مع معنى خاتم النبيين نستطيع أن نفرض أربعة معان ترد على الفهم :

أولها : أن النبي الكريم كان خاتم النبيين بمعنى أنه لا نبي بعده ولا قبله بالمعنى السليم إلا إذا كانت نبوته تحمل خاتم النبي : بمعنى أن كل نبي سابق يجب أن يزكيه الرسول ويشهد له - كما لا يمكن لإنسان أن يبلغ مرتبة النبوة بعده إلا إذا كان من أتباعه . فالنبوات المدعاة لا تتأكد إلا إذا كانت متفقة مع الوحى - المبلغ عن الله بواسطة النبي - ومطابقة لتعاليمه .

ثانيها : أن النبي أفضل وأشرف وأكمل الأنبياء ومصدر الحلية والكمال لهم جميعاً .

ثالثها : أن النبي الكريم آخر الأنبياء المرسلين بشرائع .

والتفسير الأخير قبله كثير من العلماء الأجلاء كابن عربى ، وشاه ولى الله ، والإمام ملا على قارى ، والمجدد الفازانى وغيرهم .

وطبقا لما فهمه هؤلاء الأئمة المحققون : يستحيل أن يأتى نبي بعد محمد بشريعة تنسخ شريعته إلا أن يكون الآتى من أمته .

والسيدة عائشة ذات الدراية والموهبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أزالت الغموض الذى اكتنف المراد من قوله تعالى: «خاتم النبيين» حين قالت : (قولوا خاتم النبيين ، ولا تقولوا لا نبي بعده) .

فالمفهوم من هذا أن التعبيرين عند السيدة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عائشة مختلفا المعنى ، والدلالة والتناقض بينهما قائم .

رابعها : أن النبي الكريم آخر الأنبياء بمعنى أن صفاته وسجاياه كاملة ، وفي الذروة من العلو .

وخاتم النبيين مقصود به هذا المعنى إذ عبر عن نهاية الكمال بما لا يقوم به لفظ سواه .

وفضلا عن هذا فقد جاء في القرآن ما يؤيد بوضوح ظهور أنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، ويبين هذا من الآيتين الآتيتين مما يبدد الغموض ، ولا يدع مجالا للشك :

« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » (١) .

« يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٢) .

والنبي الكريم كان واضحا لديه تتابع النبيين من بعده فقد روى أنه قال: (لو عاش إبراهيم ولده ، لكان نبيا) . رواه ابن ماجه في كتاب الجنائز .

وروى عنه قوله : (أبو بكر خير الرجال ما لم يظهر نبي) كنز العمال (٣) .

تفنيد هذا القول :

هذه هي المقالة التي تعسف قائلها وركب الصعب ليشوه بها الحقائق ويؤيد قصده الباطل بتفسيره للآية تفسيراً ملتويا يتصادم مع الشواهد التاريخية ، إذ ليس هناك ارتباط ما بين الآية التي صدر بها المقال وبين سورة الكوثر .

فتاريخ التشريع الإسلامي يقرر أنه عندما عدد القرآن الكريم المحرمات من ذوات القرابة في سورة النساء آية : حرمت عليكم أمهاتكم ... إلخ » .

كان بين المحرمات زوجة الابن - ومع وضوح المراد من الابن في الآية وهو الصلبي ، إلا أن بعض المسلمين تحرجوا من الزواج بزوجات الأبناء بالتبني بعدهم - وكان زيد بن ثابت دعيا للرسول وكان في الأصل رقيقا وسماه الرسول بعد ضمه إليه زيد ابن محمد - وزيد هذا كان متزوجا بزوجة قرشية تدعى زينب بنت جحش وكانت تدل عليه لشرفها وسابق عبوديته ؛ حتى نفر منها وأعلن للنبي مراراً رغبته في طلاقها ، فكان النبي ينصحه بإمساكها ، فاختار الله زينب هذه لتكون مثلا فارقا بين الابن الصلبي والدعي - وأمر نبيه بأن يتخذ زينب زوجة له بعد طلاقها من زيد . وشغل

(١) الآية ٦٩ - النساء .

(٢) الآية ٣٥ - الأعراف .

(٣) تعليق على القرآن المجيد ج ٢ من المجلد الثاني

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الوقت يرد الفعل الذى سينتاب عقول الناس نتيجة لزواجه من زينب فأبطأ فى التنفيذ فأنزل الله عليه الآيات التى منها الآية التى فسرها الأحمدى .

والآيات المتصلة بهذه الحادثة تتابع نزولها على النحو الآتى :

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله ، فقد ضل ضلالا مبينا . وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا . ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ، وكفى بالله حسيباً . ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما [1] » .

وهذه الآيات منسجمة مع القصة السابقة وواضح أنه لا ارتباط بينها وبين سورة الكوثر اللهم إلا فى أن كلا منها من القرآن الكريم وإن كانت كل منهما تشير إلى حادثة معينة فى حياة محمد صلى الله عليه وسلم .

والمجمع عليه أن القرآن الكريم يميل فى أسلوبه للمجاز والإيجاز .

وإذا تدبرنا معانى الآيات السابقة تحقق لنا حبك نسجها إذ الناقد البصير لا يلمس خللا أو نقط ضعف فى سلاسة أسلوبها القرآنى .

والقرآن حقا معجزة بلاغية نزلت على أفصح جيل من أجيال العرب ، الذين أوتوا الفصاحة والبلاغة دون سائر الأمم .

والآيتان ٣٨ ، ٣٩ من سورة الأحزاب تتحدثان عن سنة الله فى الذين خلوا من قبل، الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ... ويؤخذ من هذا أمران :

الأول : أن ليس هناك حرج على النبى .

والآخر : أنه سنة الله فى الأنبياء من قبل.

ومن هنا يتبين سوء الاستدلال وخبث الاستشهاد بالآية لتدعيم القضية المفتراة ، كما يتبين بجلاء أن الآية تتسق تمام الاتساق مع ما قبلها ، ومن الممكن توضيح ما تعنيه فى ضوء ما يلى :

١ — مضت سنة الله فى أنبيائه الذين خلوا أنه لا حرج فى تنفيذ أحكام الله .

(١) الآيات ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ من سورة الأحزاب .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٢ ــ لا حرج مطلقا فى قضية زواج محمد صلى الله عليه وسلم من زينب .

٣ ــ محمد ليس أبا لزيد بن ثابت ولا لأى رجل ما ، بل هو رسول الله وخاتم النبيين الذين سبقوه .

ولا جدال فى المعنى الحرفى لكلمة « خاتم » ولا يمكن تفسير الخاتم بمعناه المعروف لأن محمدا إنسان والقرآن الكريم فى أسلوبه ــ كما سبق بيانه ــ يميل إلى المجاز وإذا كان السياق ينبئ عن وجود مجاز فى الآية فلنبحث هذا المجاز :

كلمة « خاتم » تعنى آخر شىء يلزم وضعه على الوثيقة ، ولا يسمح بإضافة شىء بعده ، هذا هو المعنى ــ ولا يمكن فهم غيره من الآية .

وأى تفسير آخر يعتبر فرضا لرأى بشرى على أمر سماوى .

وهذا المعنى ــ أى أن محمدا آخر الأنبياء تؤيده الشواهد الآتية :

١ ــ أنه يتسق تماما مع آية « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » . فالدين الكامل لا يحتاج لنبى آخر .

٢ ــ المروى أن النبى عليه الصلاة والسلام نفى مجىء أى نبى بعده بقوله: (لا نبى بعدى) وليس هناك ــ من شك فى صحة هذا الحديث حتى الذين يقولون بنبى آخر ، فهم يعترفون بصحته ولكنهم يزيفون المراد باستنتاجات مخترعة

وبدلا من اعتمادهم على هذا الحديث الصحيح وسيرهم على مقتضاه نجدهم يختلقون حديثاً وينسبونه للسيدة عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ويأتون بهذا الحديث المختلق هكذا : « قولوا حقا إنه خاتم النبيين ، ولكن لا تقولوا لا نبى بعده » .

وليس من رأيى أن أبطل هذا الحديث ابتداء ولكننى أطالب من ساقه بذكر سنده ورواته من رجال الحديث والمصدر الذى أخذوه عنه ، وأسمح لنفسى أن أثير النقط الآتية .

١ ــ من الشائع فى أسلوب القرآن الكريم استعمال تعبير مكان آخر ما دام كل منهما يؤدى المعنى المراد . ويلاحظ هذا بكثرة فى القرآن الكريم كقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم » . (١)

فاختيار أحد المترادفين كان لمراعاة المشابهة بين الآخر وبين لفظ مثله فى اللغة العبرية يعنى الهزء والسخرية .

وفى اللغة العربية كلتا الكلمتين تؤدى معنى اتجه إلينا . وعلى هذا النمط يمكن القول بأن السيدة عائشة اختارت أسلوب

(١) الآية ١٠٤ سورة البقرة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القرآن فى التعبير فقالت : خاتم النبيين مخاطبة من لا دراية له بالقرآن وأسلوبه وشاءت الإيضاح له فقالت : أى أنه لا نبى بعدى .

٢ — ولبعض المتطرفين من الفـــرق الإسلامية عادة هدامـــة وهى تأييد وجهة نظرهم باختلاق محض للأحاديث ـ والشواهد على هذا كثيرة ذكرها علماء التاريخ الإسلامى وأقرب مثل على هذا ما ذكر من أن الفرع السفيانى من البيت الأموى عندما غلبه الفرع المروانى على الخلافة ووجد الفرع الأول أنه قد أصبح مجردا من القوة المادية التى تمكنه من استرجاع السلطة المفقودة ، بحث عن القوة الدينية بوضع حديث يتنبأ بالسفيانى الموعود الذى سيؤدى دور المسيح ، وآخر عن المهدى المنتظر .

وأخيرا ينبغى أن نتذكر أن الآيه المستشهد بها فى المقالة من سورة الأحزاب ـ ومن العجيب أن من استدلوا بها على معتقدهم الباطل غفلوا عن آيتين فى نفس السورة هما :

« إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعدلهم عذابا مهينا [1] » ،

« يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ، وكان عند الله وجيها [2] » .

ترجمة : ابراهيم محمد الأصيل

---

(١) الآية ٥٧ ـ سورة الأحزاب

(٢) الآية ٦٩ ـ سورة الأحزاب

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تنبيـــه . . . !

فى مقال الدكتور صلاح الدين عبد الوهاب « نظرية الإيحاء بين المستشرقين والمسلمين » ورد ما يفهم منه أن معجزة موسى سحر ، وفرق كبير واضح بين المعجزة والسحر فالأخير الآتى به مذموم بقول الله تعالى : « ولا يفلح الساحر حيث أتى » ولا يتفق هذا مع مقام الرسالة ، فوجب التنبيه خشية اللبس ، ونزجى الشكر للسيد الدكتور على ما بذله فى بحثه القيم من جهود صادقة .

المجلة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مختار من الشعر القديم والحديث

طاقة من شعر الأسرة

للأستاذ العوضى الوكيل

١ — ولدى

ما لعينيك ترنوان إذا أنـ ... شدت شعرا ، أو إن سمعت غناء
ما لعينيك تبعثان بقلبي ... خطرات بعيدة ، وضياء
ما لعينيك ، يا بنى ، وخديـ ... ك أضاءت أمامى الظلماء
كلما شمتك اطمأن بى العيـ ... ش ، وغادرت شقوتى أشلاء
هات كفيك يا بنى بكفى ... رقتا كالنسيم طاف مساء
كنت لى يا بنى بالأمس حلماً ... ثم أصبحت منية تتراءى

كنت من قبل يا بنى أغنى ... بالربيع الجميل إن هو جاء
وأحي أطيافه ومرائيـ ... ه وأغدو بسحره شداء
وأغنى به ، وأهفو إليه ... وأراه لى فى الحياة عزاء
ثم أقبلت يا بنى وفى عينـ ... يك كون من الجمال أفاء
نفحتنى بألف ألف ربيع ... عدد لا أحـده إحصاء
فتغنيت يا بنى بعينيـ ... ك ، وآليت ، لا تركت الغناء !

٢ — على الشاطىء

أبنى ما نسم المصيف تلذه ... بألذ من أنفاسك العطرات
تمشى على رمل الخليج فتزدهى ... رملاته من هذه الخطوات
ولقد تظل على الرمال مشيداً ... منها صروحا شمخ الشرفات
تلهو وقلبى فى يمينك خافق ... يشدو هواك بهذه الخفقات
ولقد أراك على فعالك دائبا ... تبنى وتهدم ناقد العزمات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ترنو إلى البحر الوسيع تخاله ... يرنو إليك مقهقه الموجات
ولقد يقوم الموج حولك ثائراً ... يرغى وإنك عنه فى غفلات
وأنا وأمك نحتويك بنظرة ... ملأى بمشبوب من الخطرات
ولقد أشاركك الغداة ملاعبا ... فيطيب صبحى كله وغداتى
أبنى فتهدم ما بنيت فأنثنى ... فرحا بفعلك فى جموع لداتى
وغداً ستبنى لى شوامخ ذكرة ... تحلو لشدائين أو لرواة
تبنى لقومك فى العلا آمالهم ... وتظل تقدمهم إلى الغمرات

٣ — أنموذج حياة

دلفت إلى الكهولة غير وان ... وشابت لمتى قبل الأوان
وقلبى لا يزال فتى طروباً ... وإن بك همه غير الغوانى
تدله بالمثالث والمثانى ... وبالنسرين أو بالأقحوان
ولى بيت كأبيات المعانى ... ومغنى لا يشبه بالمغانى
تعاطينى الوفاء به حصان ... فأرجع بالوفاء إلى الحصان
أغنى فى خمائله هزاراً ... أهاب بشدوه طيب المكان
أغنيه وحولى من بنيه ... عصافير تزقزق للأغانى
« دسوقى » به يصغى ويشدو ... « وممدوح » يساجلنى الثانى
نعيش كأننا فى بيت شعر ... رقيق الصوغ ، علوى المعانى
نعيش كأننا فى غير كون ... ملىء بالنفاق وبالدهان
نعيش كأننا فى غير دنيا ... تعج بكل ذى حقد جبان
لسان بالثناء عليك رطب ... فهل تدرى بما تحت اللسان
وأقوال مدبجة الحواشى ... لها سم كسم الأفعوان
وجوه فى لقائك ضاحكات ... وأضلاع على السوءى حوان
فلا يغررك من راض رضاه ... فإن رضاه رهن بالزمان
بنى لكم على الأيام مجدى ... ومجد الشعر مجد غير فان
لئن لم أبن من حجر بناء ... فإنى للقصائد خير بان
وحسبى أننى أحيا حياتى ... طهور القلب واليد واللسان
وفى حين لا يرجى وفاء ... وصول الخليل ، وإن جفانى

العرضى الوكيل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

دراسة فى كتاب : الزهاوى وديوانه المفقود[١] . . . !

الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

١ — الزهاوى (١٨٦٣ — ١٩٣٦ م) شاعر من كبار شعراء العربية فى العصر الحديث ؛ وقد ترك شعره دوياً فى كل مكان ، فى حياته وبعـــدها . . ولا يزال موضع الدراسة والبحث حتى اليوم .

وإذا كان ما صدر عنه من دراسات وبحوث يعد قليلا نادرا بالنسبة لمكانته ومنزلته فى الشعر الحديث . . فإن دراسة ضخمة جادة ، قد كتبها الأديب العراقى الأستاذ هلال ناجى ، ونشرتها له دار العروبة بالقاهرة ، تعد أوفى ما ظهر من دراسات حتى اليوم عن الزهاوى وشعره ؛ وقد جمعت كل ما تفرق من دراسات وبحوث ومقالات عنه وعن فلسفته وشاعريته ؛ وإذا وازنا بينها وبين ما ألف عن الشاعر من كتب ، من أمثال : الزهاوى الشاعر لأدهم ، وحقيقة الزهاوى للعبيدى ، ومحاضرات عن الزهاوى للحائى ، والزهاوى شاعر الحرية لأنور الجندى ؛ وما كتب عنه من فصول كثيرة نشرت فى العديد من المؤلفات ، ومن مقالات ظهرت فى مختلف الصحف والمجلات فى العالم العربى ؛ وجدنا أن هلال ناجى قد استوعب هذه الدراسات ، وجمع ما تفرق منها ؛ وأبدى رأيه فى الكثير منها ، وفى مختلف الآراء عن الزهاوى وشاعريته . .

٢ — يشتمل هذا الكتاب على مقدمة وسبعة فصول :

تناول المؤلف فى المقدمة الإشارة إلى ما كان بينه وبين الزهاوى من صلات روحية ، كانت الحافز له على دراسته فى هذا الكتاب ؛ وإلى منهجه فيه ، وإلى ديوانه « النزغات » الذى نشره لأول مرة فى هذا السفر القيم ، وإلى أشياء أخرى تدور حول ذلك .

---

(١) دراسة كبيرة تقع فى ٣٨٦ صفحة من القطع الكبير للأديب العراقى الأستاذ هلال ناجى ، نشر دار العرب بالقاهرة عام ١٩٦٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفى الفصل الأول يتحدث عن حياة الزهاوى .

وفى الثانى يذكر آثاره العلمية والشعرية وبعض مقالاته .

وفى الثالث يتحدث عن شعر الزهاوى ، ويطيل فى الكلام على شعره الفلسفى ، ويوازن بينه فى هذا الجانب وبين المعرى موازنة طويلة . ولقد اقتصر فى الحديث عن شعره على هذه الناحية وحدها من نواحى شاعريته وشعره ، مشيراً فى أثناء ذلك إلى تأثره بالرصافى ، وآثار التجديد والتقليد فى شعره .

وفى الفصل الرابع يتحدث عن آراء الزهاوى فى الشعر والشعراء .

وفى الخامس يعرض لآراء المستشرقين فى الزهاوى ، ومن بينهم : كامبفاير ، ودلافيدا ، وكراتشكوفسكى ، ويدمر .

وفى السادس يعرض لما كتب عن الزهاوى من كتب وبحوث وما نشر عنه من مقالات . وإن كان قد يفوته بعض ذلك من فصول كتبت عن الزهاوى فى مثل : كتاب مذاهب الأدب ، وقصة الأدب المعاصر ، ومن رواد الأدب المعاصر ؛ ومن آراء أخرى قيمة عن الشاعر فى كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » للناقد مصطفى السحرتى ؛ ومن بحوث منشورة عنه فى بعض المجلات الأدبية كمجلة « أبولو » وغيرها .

أما الفصل السابع فقد اشتمل على تحقيق لديوان الزهاوى « النزغات » ونسبته إليه ، وعلى متن الديوان ...

ويلى ذلك عدة ملاحق ، منها مقالة للزهاوى نشرت فى المؤيد عام ١٩١٠ فى الدفاع عن المرأة ، ومقالة له نشرت فى السياسة الأسبوعية فى ٣ سبتمبر عام ١٩٢٧ حول النثر والشعر ، ودراسة نشرت عن الزهاوى فى كتاب « الشعر والشعراء فى العراق » بقلم أحمد أبو سعد الذى طبعته دار المعارف بلبنان عام ١٩٥٩ ، وأخرى للدكتور داود سلوم فى كتابه « تطور الفكرة والأسلوب فى الأدب العراقى » المنشور فى مطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٥٩ .. ويلى ذلك ذكر مصادر الكتاب وفهرست الموضوعات .

٣ ــ ولا شك أن هذه الدراسة ذات خطر كبير فى باب الدراسات الأدبية عامة ، فإن مؤلفها جمع فيها ما عثر عليه من آثار الشاعر وآرائه وما كتب عنه والعديد من الآراء فى الأدب والنقد ، وفى باب الدراسات المتخصصة فى شعر الزهاوى وشاعريته ، لما حوته من ترجمة دقيقة له ، ومن عرض لآثار شعره وشاعريته ، ومن توفيق فى نشر ديوان كامل من دواوين الزهاوى لم ينشر من قبل ، وهو « النزغات » .

ولهذا الديوان قصة طريفة أشار إليها المؤلف أثناء حديثه عنه ، وكنت أنا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأديبين معروفين هما مصطفى السحرتى ووديع فلسطين نعلم أنه فى حيازة الأديبة العربية الآنسة صفية أبى شادى التى تقيم حاليا فى واشنطن وقد فسر الأديب حليم متري سر ذلك لى بأن الزهاوى أودع الديوان لدى سلامه موسى لنشره ، وبعد حين أعطاه سلامه موسى للدكتور أحمد زكى أبو شادى لنشره ، ومضت الأيام وهاجر أبو شادى إلى نيويورك فى عام ١٩٤٦ ثم توفى فى واشنطن فى ١٢ أبريل عام ١٩٥٥ وبيعت مكتبته الحافلة هناك بثمن زهيد واحتفظت ابنة الشاعر من بينها بكتبه المطبوعة والمخطوطة ، وبآثار أدبية قليلة من بينها ديوان الزهاوى المخطوط « النزغات » . وعن طريق نشرت أخبار أدبية فى مختلف الصحف والمجلات فى العراق عن الديوان .

وسعى وديع فلسطين والسحرتى لدى صفية أبى شادى لإرسال الديوان إلى القاهرة للاطلاع عليه فأحضرته معها فى زيارتها لوطنها مصر فى صيف عام ١٩٦١ ، وأودعته لدى وديع فلسطين للاطلاع عليه لا لنشره الذى احتفظت به الأديبة حقا لنفسها لملكيتها للمخطوطة ، واستعار الأديب العراقى الكبير هلال ناجى المخطوطة ونشرها لأول مرة فى هذا الكتاب الضخم الذى أتحف به قراء العربية وأدبها .

٤ — وهذه الدراسة القيمة سوف تنير — ولا شك — السبيل لكل من يريد الكتابة عن الزهاوى وشاعريته وفلسفته ، وهى — وإن سارت على منهج فيه الكثير من الشمول والتحليل — ذات طابع متميز ، وتنطق بما بذل المؤلف فيها من جهد ، وما وفق إليه فيها من نتائج .

ولهلال ناجى التهنئة حقاً على هذا الجهد الرائع الذى خدم به الزهاوى والدراسات الأدبية المتصلة به وبالأدب العراقى المعاصر .

وفى الحق إن الفترة التى أقامها هلال ناجى فى القاهرة ، والتى امتدت من خريف عام ١٩٥٩ حتى عودته إلى وطنه العراق فى الخامس عشر من فبراير عام ١٩٦٣ ، كانت فترة خصبة فى حياة هذا الأديب المتوثب إذ أخرج فيها ديوانه « الفجر آت يا عراق » وكثيرا من كتبه ، ومن بينها : كتابه عن الزهاوى ، وكتاب « صفحات من حياة الرصافى وأدبه » .

ومن القاهرة نبعث إليه فى بغداد كل تحية وتهنئة وإكبار .

محمد عبد المنعم خفاجى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنباء وآراء

دفاع عن الإمام الأعظم :

اطلعت على ما حرره وحققه الأستاذ محمود الشريف فى (مجلة الأزهر - رمضان سنة ١٣٨٢) عن أخذ الإمام أبى حنيفة بالحديث إلى حد أن الحديث الضعيف أولى عنده من الرأى ، فذكرنى ذلك بفرية مكشوفة ذكرها القاضى ابن خلكان ، ونقلها عنه الأستاذ المخلص الدكتور الحوفى فى كتابه المتع الطبرى ١٨٢) وهى :

أن أبا يوسف كان يحفظ المغازى وأيام العرب وأنه مضى ليستمع لابن اسحاق أو غيره ، وتخلف عن مجلس أبى حنيفة ، فلما أتاه قال له يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت ؟ فقال أبو يوسف : إنك إمام وإن لم تمسك عن هذا سألتك والله على رءوس الملأ : أيهما كان أولا وقعة بدر أم وقعة أحد ، فإنك لا تدرى أيهما كانت قبل الأخرى ، فأمسك عنه أبو حنيفة .

وهذا اختلاق تكذبه شواهد الواقع ، لأن أبا حنيفة هو الذى يحدث أصحابه فى مسانيده عن تفضيل سيدنا عمر أصحاب بدر فيما فرض لهم فى الديوان على باقى أصحاب الغزوات المتأخرة وهو الذى يتلو فى ختامه ليلا ونهارا (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) المعروف نزولها فى أحد ، وهو الذى أملى على أصحابه (كتاب السير الصغير) ولا يعقل أن يجهل الإمام تاريخ الغزوة التى فيها تجلت قوة جيش الإسلام فى أول معركه يخوضها .

وابن خلكان نقل ذلك من (الجليس الصالح للمعافى الجريرى) مع إغفال السند ، ولو ذكره لرأى القارئ فيه كذابا مشهورا وهو محمد بن الحسن بن زياد النقاش الكذاب المنكر الحديث - على ما فى تاريخ بغداد للخطيب وميزان الاعتدال ولسان الميزان .

والمعافى الجريرى ليس من رجال التحرى فى النقل ، وكتابه هذا يجمع بين الجد والهزل ومن دلائل ذلك ما يحكيه عن المأمون من أنه حمل الإمام الشافعى على شرب عشرين رطلا من النبيذ ، ففعل ولم يتغير عقله ، كما فى لسان الميزان ، مع أنه لم يلقه فى عهد خلافته البتة ، وهذا كذب بحت .

وابن خلكان يلذ له تسجيل ما يحط من الإمام النعمان من كل مصدر تالف ، ولا ينزه قلمه عن تدوين أسطورة الأباريق الرصاص عن حماد مجرد المكشوف الحال ، وصلاة القفال التى لا يشك فى اختلاقها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نقلت هذا التحقيق من كتاب (حسن التقاضي للعلامة الكوثري) بتصرف وزيادة.

وقد روى الموفق المكي بسند صحيح ما وقع لأبي يوسف مع النعمان في هذا الشأن وليس فيه جرح ولا غمز بالإمام أبي حنيفة.

حسام الدين الورداني

إسقاط الصلاة عند العجز

السيد الأستاذ الكبير رئيس تحرير مجلة الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله

ورد في « باب الفتاوى » عدد شوال من مجلة الأزهر فتوى عن إسقاط الصلاة وهل هو شرعي أولا ... إلخ ، وجواب لجنة الفتوى عليه .

ولقد لفت نظري أن لجنة الفتوى أقرت إسقاط الصلاة بالفدية كما يفعل العوام حيث جاء في فتواها : « وأما إذا كان قادراً على الصلاة ولو بالإيماء ولكنه لم يفعل حتى مات فإنه يجب عليه الإيصاء بالفدية ، إلخ ما جاء بالفتوى ... ولما كان هذا أمرا يصادم روح التشريع ، لأن الصلاة تطهير للنفس وقد مات تارك الصلاة فلا مجال لتطهير نفسه وتزكية خلقه ، والصلاة عبادة بدنية لم أطلع على نص يجيز النيابة فيها ولا يجيز الفدية التي قالت اللجنة الموقرة إن تارك الصلاة يجب عليه الإيصاء بها ، ولما كان هذا يفتح الباب واسعا لإهمال الصلاة ولا سيما من القادرين اعتمادا على قدرتهم المالية ، وبهذا يضيع ركن هام جدا من أركان الإسلام ، فإنني أرجو أن تبين لجنة الفتوى النص[1] الشرعي الذي اعتمدت عليه من الكتاب والسنة ولا أحب - مقدما - أن يكون الاعتماد على قول فقيه مجردا عن الدليل ؛ لأن هذه الأمور الهامة لا يجوز الاعتماد فيها على مجرد قول فقيه من الفقهاء ؛ إذ أن العبادات يجب أن نقف في شأنها عند ما ورد سواء أكان خاصا بأدائها أم بقضائها لا يجوز فيها قياس ، فهل عند لجنة الفتوى نص اعتمدت عليه في فتواها ؟

عبد المنعم النمر

وحولت المجلة هذا الخطاب إلى لجنة الفتوى فردت عليه بالخطاب التالي :

السيد الأستاذ رئيس تحرير مجلة الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فقد ورد إلى لجنة الفتوى خطاب من الأستاذ عبد المنعم النمر وهو محول إلينا من إدارة المجلة ، وفي هذا الخطاب يعترض الأستاذ على فتوى صدرت من اللجنة (سنة ١٩٥٨) ونشرت بالعدد الأخير من المجلة ، وموضوع الاعتراض فتوى تتعلق بإسقاط الصلاة وحكم الفدية فيها .

واللجنة تفيد الأستاذ أن الفتوى صحيحة

---

(١) طالع ردا مفصلا من لجنة الفتوى في هذا الموضوع في باب الفتاوى من هذا العدد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهي تقليد لمذهب الحنفية . وفي المذهب أدلته التي اعتمد عليها من القرآن والسنة وتستحسن اللجنة للأستاذ وهو عالم أزهري أن يراجع كتب المذهب ليقتنع .

وليس من منهج اللجنة أن تهجر المذاهب المعتمدة وتقصد مباشرة إلى الاستدلال بالقرآن والسنة فإن ذلك تشكيك في المذاهب الصحيحة ولجوء إلى الاجتهاد من جديد وفيه تضييق في الإفتاء .

وليس من عمل اللجنة أن تعيد البحث في كل أمر لا يعجب القارئ وبخاصة من يستطيع البحث بنفسه فضلا عما في ذلك من النزوع إلى رغبات شخصية لا تقف عند حد.

ومن الخير أن يكون مثل هذا الاعتراض في صيغة الاستفهام لا في صيغة الإنكار قبل التثبت من الحق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

البهائية

اطلعت في عدد من مجلة الأزهر الغراء (رجب سنة ١٣٨٢) في باب معرض الكتب على مقال تعريفي لكتاب البهائية من تأليف الأستاذ عبد الرحمن الوكيل ، وكم كان يودي لو كان المقال المذكور دراسة وافية تعرف بهذا المذهب الدخيل على الإسلام .

ذلك أن البهائية قد تسربت إلى بلادنا ، واستطاعت أن تعشش في بعض العقول الفارغة من عصابة مجرمة اختارت أن يكون إقليم الناضور من شمال المغرب مركزا لنشر مذهبها الذي لا يتلاءم مع طبيعة الشعب المغربي المتشبث بأذيال دينه الحنيف ، وقد أثارت محاكمة البهائيين في الأيام الأخيرة الماضية ضجة عالمية ، تناولتها عدة صحف داخلية وخارجية بالتعليق نتيجة للحكم العادل الذي أصدرته محكمة الناضور على تلك الشلة المارقة من الشباب الذين سولت لهم أنفسهم أن يهاجموا الإسلام في معقله الحصين .

ولكن الشيء المؤكد هو أن الشعب المغربي بل معظم الطبقة المثقفة منه لا يعرفون لا قليلا ولا كثيراً عن النحلة البهائية رغم أن مسألة البهائية استطاعت أن تغزو البيوت وأن تتردد على الألسن ، لذلك ألتمس من سيادتكم أن تخصصوا دراسة مستفيضة عن هذا المذهب الدخيل في الإسلام بمجلتكم الموقرة تنويرا للفكر وتعميما للفائدة ، وسأكون مدينا بالجميل لسيادتكم إذا ما لبيتم طلبي هذا ، ودمتم للعلم منارا ، وللإسلام فخارا والسلام .

إدريس الطاهري الحسني

الرباط - المغرب الأقصى

إجابة لطلب السيد الكاتب نشرنا بحثا عن ذلك المذهب في هذا العدد

المجلة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

باب الفتاوى :

من أضابير لجنة الفتوى

بإشراف علمه : ابراهيم محمد الأصيل

رأى الأزهر فى الأحمدية :

السؤال :

أبلغتنا وزارة الخارجية عن مشروع إقامة مسجد فى مدينة أمستردام بهولندا - ولإمكان بحث الموضوع من جانب الوزارة نرجو التفضل بالإفادة عما يأتى :

١ - رأى الأزهر فى الطائفة الأحمدية ومدى تمشيها مع تعاليم الإسلام الصحيحة .

٢ - الرأى بالنسبة لصلاحية مساجد بعض الطوائف المتشكك فى مذاهبها مثل طائفة الأحمدية الباكستانية لأداء الصلاة لجميع فئات المسلمين .

٣ - هل يرى الأزهر أن تأييد الطائفة الأحمدية فى إقامة مسجد لها فى أمستردام أمر جدير بالرعاية ؟ .

وكيل وزارة الأوقاف المساعد
لشئون التخطيط والدعوة

الجواب :

اطلعت اللجنة على نصوص من مذهب الأحمدية فى بحث كتبه فضيلة الأستاذ الشيخ الخضر حسين ، ونشرته مجلة نور الإسلام فى عددها الصادر فى رجب سنة ١٣٥١ هـ ، من ذلك : ما زعمه غلام أحمد فى خطبته الإلهامية أنه نبى مرسل ، إذ جاء فيها : « أرأيتم إن كنت من عند الله ثم كذبتمونى فما بالكم أيها المكذبون » . وقال : « إنكم ترون كيف تنصر الناس وارتدوا عن دين الله ثم تقولون ما جاء مرسل من عند الله ما لكم كيف تحكمون » . وقال : « فأنعم الله على هذه - يعنى أمة الإسلام - بإرسال مثيل عيسى وهل ينكر بعده إلا المجنون » . وقال : « وكان عيسى علما لبنى إسرائيل وأنا علم لكم أيها المفرطون » . ومنه ما جاء فى منشور وضعه أحد رؤسائهم وعربه السيد / عبد المجيد كامل وطبع فى مصر : « إن طريق الوحى لا يمكن أن يسد فى وجوه الناس » . وفى هذا المنشور : « إن المهدى والمسيح قد ظهرا فى الهند بمحل يقال له (قاديان) وأنه يوجد الآن آلاف من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حواريه يستمعون الوحي الإلهي » . ومازعمه أيضا غلام أحمد من أنه أوحي إليه : « وإني جاعلك للناس إماما ينصرك رجال نوحي إليهم » . إلى غير ذلك مما هو كفر صراح وخروج عن دين الله بين وغواية لا لبس فيها ولا خفاء .

وعلى ذلك تفيد اللجنة : بأن مذاهب الطائفة الأحمدية المتفرعة من مذهب غلام أحمد وطائفته القاديانية مذاهب باطلة منافية بعقائدها وعباداتها لعقائد وعبادات المسلمين الصحيحة ؛ فهي تقوم على أن دعاتها يوحى إليهم وأنهم أو أن منهم أنبياء ومرسلين يكلمهم الله بما ينطقون به مخالفا للقرآن الكريم والسنة النبوية ، فهم بهذا يكذبون قوله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » . وقوله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وأنه لا نبي بعدي » . وقوله كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة أيضا : « إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين » . وفي رواية مسلم عن جابر : « فأنا موضع اللبنة ، جئت فختمت الأنبياء » . إلى غير ذلك من الأحاديث المتواتر معناها المفيدة انتهاء النبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

وعلى هذا انعقد إجماع الأمة وصار معلوما من الدين بالضرورة فيكفر جاحده .

وإن طائفة هذا شأنها وشأن أتباعها لا يجوز بحال أن نساعدها بأي وجه من وجوه المساعدة لا في مسجد ولا في غيره ، فإن مساجدهم ، ليست إلا للتضليل والإغراء وخفاخا تنصب ليصطادوا بها الشباب الغض من أبناء المسلمين يغررون بهم ويوقعونهم في شباكهم ينفثون في روعهم من سمومهم ما يضلون به عن الصراط المستقيم صراط الله العزيز الحميد بل إن واجباً على جميع المسلمين في جميع بقاع الأرض أن يضيقوا الخناق على أمثال هذه الطائفة الضالة المضلة حتى تنقرض كما انقرض من قبلهم الحارث بن سعيد الذي ظهر أيام عبد الملك بن مروان واغتر به خلق حتى وقع في يد عبد الملك فقتله ولم يبق له في الأرض أثر ، وكما انقرض إسحاق الأخرس الذي ظهر في أول حكم العباسيين واتبعه طوائف وقتل فانقطعت فتنته .

ومساجد هؤلاء مع مساجد المسلمين كمسجد الضرار الذي أقيم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بقصد الضرار وتفرقة جماعة المسلمين ، وتجميع طوائف المنافقين فيه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد نهى الله النبي عليه الصلاة والسلام عن الصلاة فيه وكشف له أمره ونوايا أهله من إقامته . وقوله تعالى : « والذين اتخذوا مسجدا ضررا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » .

وإن الصلاة - وإن كانت تصح فى أى بقعة من الأرض متى كانت طاهرة صالحة لأداء الصلاة فيها لحديث « جعلت لى الأرض مسجدا وتربتها - أى ترابها - طهورا » لا يحل أداؤها فى مساجد هذه الطائفة وأمثالها لما يلزم عليه من أخذهم هذا أداة للدعاية يروجون بها لمذاهبهم ومعتقداتهم الباطلة ، ولما فى ذلك من تعريض شبابنا والعامة من المسلمين لتلقى سمومهم والتمذهب بمذاهبهم وفى ذلك مفسدة أى مفسدة ، وإن القاعدة الشرعية : أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

الحج والزواج :

السؤال :

شاب أعزب يبلغ من العمر ثمانية عشر عاما ، ويريد أداء فريضة الحج فهل الأفضل أن يقدم الحج على الزواج أو يؤخر الحج إلى أن يتزوج ؟

على أحمد عمر

الجواب

الأفضل تقديم الحج على الزواج إذا كان قادراً على الزاد والراحلة فاضلا عن المسكن وما لا بد منه وعن نفقة من تجب عليه نفقته إلى حين عودته وكان الطريق آمنا ؛ لأنه حينئذ يكون فريضة محكمة ، وهو أحد أركان الإسلام بإجماع العلماء من غير نكير ما لم يخش على نفسه الوقوع فى المعصية بتأخير الزواج وإلا قدم الزواج على الحج .

حج المرأة من غير محرم :

السؤال :

تريد الزوجة أن تؤدى فريضة الحج وقد حج زوجها قبلها فهل لها أن تذهب بمفردها أو مع جارلها ؟ .

الجواب

لا يجوز شرعا أن تسافر الزوجة بمفردها ولا مع جار لها ، وإنما تسافر مع محرم لها كابن أو أخ أو خال أو مع رفقة مأمونة من النساء فقط أو النساء والرجال .

حق التوكيل فى النكاح والزواج على شرط والاتجار فى ملابس السيدات وآلات الترفيه

السؤال :

١ - يريد توكيل والده فى عقد نكاح ابنته

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فمن له حق التوكيل ، الوالد أم الفتاة ؟ وإذا كان لوالد الفتاة أن يوكل والده فهل لا بد فى هذه الحالة من أن يستمد هذا الحق من ابنته بطريق التوكيل ؟ .

٢ ـ يريد أن يشترط لابنته على زوجها أن يكون لها الحق فى فسخ الزواج بدون توقف على موافقة الزوج فى حالة ما إذا أراد أن يحملها على أن تسلك طريقا يخالف أحكام الشريعة الإسلامية ؟ .

٣ ـ ما حكم الاتجار فى ملابس السيدات مع ما فيها من تصميمات مخالفة لأحكام الدين وكذلك حكم الاتجار فى آلات الراديو والتليفزيون وخلافها مع أنه يساء استعمالها ؟

محمود محمد عطية ـ أمريكا

الجواب

الأب ولى طبيعى على أولاده فله بهذه الصفة أن يباشر عقد الزواج لبناته ، وأن يوكل غيره فى ذلك ، ومع ذلك يستأذن ابنته البكر إذا كانت بالغة رشيدة ، فإن كانت ثيبا وجب استئذانها .

وعن الثانى نفيد بأنه يجوز شرعا للزوجة أو لوليها أن يشترط على زوجها مثل هذه الشروط وأن تجعل العصمة بيديها بمعنى أن يكون لها أن تطلق نفسها من زوجها إذا ما خالف الشروط المتفق عليها .

ونفيد عن الثالث بأن الاتجار فى ملابس النساء لا شىء فيه شرعا ، لأنها تستعمل فيما هو مباح شرعا كأن تتزين بها لزوجها مثلا أثناء خلوتها ، وما يعتريها من حرمة فهو أمر ناشئ من إساءة استعمالها كأن ترتديها أمام أجنبى عنها ، وكذلك حكم الراديو وغيره إذ هى صالحة لأن تستعمل فى المباح ولا تبعة على من يتجر فيها إذا ما أسىء استعمالها وإنما التبعة على من يسىء استعمالها .

حول إسقاط الصلاة عند العجز :

اطلعت اللجنة على كتاب باب الفتاوى بخصوص فتوى صدرت سنة ١٩٥٨ فى موضوع إسقاط الصلاة وهل هو شرعى أولا ، ومتى يجب وما كيفيته ونشرت فى مجلة الأزهر عدد شوال سنة ١٣٨٢ هـ (مارس ١٩٦٣ م) ، وفى الكتاب يطالب الباب بإلقاء مزيد من الضوء على هذه الفتوى بناء على مكاتبات وردت إليه .

ورأينا أن الخلاف ليس وليد اليوم فإنه من قديم وقد بينه صاحب جمع الجوامع فقال : « وهو أى القياس حجة فى الأمور الدنيوية قال الإمام اتفاقا وأما غيرها كالشرعية فمنعه قوم عقلا وابن حزم شرعا وداود غير الجلى وأبو حنيفة فى الحدود والكفارات والرخص والتقديرات وابن عبدان ما لم يضطر إليه ، وقوم فى الأسباب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والشروط والموانع ، وقوم فى أصول العبادات وقوم الحاجى إذا لم يرد نص على وفقه كضمان الدرك وآخرون فى العقليات وآخرون فى النص الأصلى وتقدم قياس اللغة ، والصحيح حجة إلا فى العادية والخلقية وإلا فى كل الأحكام وإلا القياس على منسوخ خلافا للمعممين » . راجع شرح الجلال المحلى وما كتب عليه من حواش وتقريرات إن شئت وليس المقام مقام بسط واستيفاء .

من هذا يتبين أن القياس حجة فيما نحن فيه حيث فهم المعنى الذى نيط به الحكم فى الأصل الذى ورد به النص وكان موجودا فى الفرع بلا مانع ، وذلك أنه ورد فى الخبر : « من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه وليه مكان كل يوم مسكينا » ، وورد « من مات وعليه صيام فليصم عنه وليه » من الولى وهو القرب فالمراد به كل قريب للميت وإن لم يكن ولى مال ولا عاصبا ولا وارثا وقد قيل بكل . والحديث فى الصحيحين عن عائشة وابن عباس ولا يقدح فيه عملهما على خلافه فإن الحجة فيما رويا لا فيما عملا . والمعنى فى ذلك ما فى المحل من العجز التام فإن الميت قد خربت ذمته وانقطعت عنه أسباب الحياة فلم يعد هناك احتمال أن يقدر فيؤدى مع الحاجة إلى ذلك لنفع المؤدى والمؤدى عنه . وهذا المعنى موجود بتمامه فى الصلاة فيفدى عنه مكان كل صلاة مد وقد أفتى بذلك علماء الحنفية وقال به المحققون من الشافعية ويصلى عنه وتسقط بذلك الصلاة عنه كما قال به علماء الشافعية ، وقالوا هو من عمل الشخص لنفسه ولا يفتى به ، وقد صلى السبكى عن قريب له مات ، وأما الحنفية قالوا يصل ثواب الصلاة إليه ولا تسقط عنه وذكر المحب الطبرى أنه يصل إلى الميت ثواب كل عبادة تفعل عنه واجبة كانت أو مندوبة ، على أن المسألة لم تعد التخفيف عن الميت والكل متفق على أن إثم التأخير لم يسقط بهذا إنما أمره فيه إلى الله .

أما الحى فلم يقل أحد أنه يصام أو يصلى عنه فإن ذمته عامرة ويحتمل أن يقدر فيؤدى كما لم يقل أحد أنه يفدى عن صلاته وإن قالوا يفدى عن صيامه الآية ، وعلى الذين يطيقونه فدية ، أى لا يطيقونه كما هو أظهر القولين للشافعى والثانى أن الآية منسوخة بآية « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، وعليه فالعاجز لهرم أو مرض لا يرجى برؤه لا صوم عليه ولا فدية (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) وهو قول فى مذهب مالك رضى الله تعالى عنه .

والفتوى كما نشرت فى المجلة مذكورة فى كتب الحنفية وهى بعد هذا واضحة ليس فيها إغراء لقادر بأن يترك الصلاة اتكالا على الفدية فإن طريق الفدية لم يسلم من المخاطر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق : عبد الرحيم فوده

بيت الله

... والعرب كانت تحج من ثمانية عشر قرنا إلى الكعبة المكرمة ؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنها بيت الله على ما كانوا عليه من اختلاف الآلهة وتعدد الديانات وتغاير المذاهب ، وكانوا يقصدونها سنويا للطواف بها من غير أن يدعيها لنفسه فريق منهم دون الآخرين ، لأنها كانت عندهم بيتا لله الذى هو إله العالمين ، ورغما من شيوع عبادة الأوثان فى سواد قبائل العرب ، فإنه لم يرد عنهم أنهم عبدوا هيكل الكعبة أو الحجر الأسود مع احترامهم لها ذلك الاحترام الذى لا يمكن تصوره ، وكانوا يعتقدون أن هذا الحجر نزل من السماء ، وبه أخذ بعض الفقهاء ، ونحن لا ندرى إن كان وصل إليهم من طريق النيازك أو من طريق آخر .

محمد لبيب البتانونى : من كتاب الرحلة الحجازية

هذا الحجر . .

إن هذا الحجر الأسود ليس من آثار الجاهلية والوثنية كما زعم المتحاملون على الإسلام ، وإنما هو أثر من آثار أبى الأنبياء ومحطم الأصنام . إبراهيم عليه السلام ... هذه حقيقة ينطق بها التاريخ . ويشهد بها الواقع ، ولا نعلم أحداً تطاول إلى إنكارها . أو حاول إثارة الشك فيها وهذا الحجر على مكانته الأثرية وقيمته الدينية لم يسمع عن العرب فى الجاهلية أنهم عبدوه فيما عبدوا من الأحجار ، وإنما كان بلونه الأسود العلامة المميزة التى يبدأ منها الطواف حول البيت ، وكان تقبيله لهذا المعنى ولما يرمز إليه من معان أخرى كبرى لا تشوبها شائبة وثنية ، كما يفهم من كلام عمر رضى الله عنه حين خاطبه بقوله : أما والله إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك .

أما لماذا قبله رسول الله ، ولماذا نقبله اقتداء به مما سكت عنه عمر رضى الله عنه حرصا على سلامة العقيدة فى نفوس المسلمين ، فلأن تقبيله استجابة طبيعية للإحساس بجلال هذا الأثر الحبيب ، وليس جلاله لذاته ، فإنه كما يفهم من قول عمر رضى الله عنه حجر لا يضر ولا ينفع ، وإنما جلاله لجلال الذكرى التى يحملها ، والمعانى التى يمثلها .

فقد يتمثل للناظر إليه معنى ما يرمز إليه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من امتثال إبراهيم لأمر ربه حين كان يرفع مع ابنه إسماعيل قواعد البيت ويقولان : « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » ، وقد يرى فيه ما يرى الناس فى العلم الوطنى من معانى الشرف والجلال وهو لا يعدوا أن يكون قطعة من قماش على قطعة من خشب ، وقد تنازع العرب من قريش على شرف رفعه ووضعه فى مكانه حين أعادوا بناء الكعبة بعد أن هدمها السيل ، وتداعوا للقتال ، ثم احتكموا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فوضعه فى ردائه . وأمر كل قبيلة أن تمسك بطرف منه ، ثم رفعوه جميعاً حتى وصل إلى مكانه من البناء ، فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم ووضعه فيه بيديه الشريفتين .

ع . ف - من مجلة نور الإسلام

يا رب الحجيج

لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم
لبيت طهور الساح والعرصات
أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة
إليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت
لديك ولا الأقدار مختلفات

شوقى - من ديوان الشوقيات

هول الكعبة

وعن بعض العرب أنه حمل أمه إلى الحج على ظهره وهو يقول فى حدائه بنفسه :

أحمل أمى وهى الحمالة
ترضعنى الدرة والعلالة
ولا يجازى والد فعاله

الزمخشرى - من تفسير الكشاف

إلى الله قبلك

يروى أن أعرابيا وقف على باب على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : إن لى عندك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك ، وإن أنت لم تقضيها حمدت الله وعذرتك ، فقال له على : خط حاجتك فى الأرض ، فإنى أرى الضر عليك ، فكتب الأعرابى على الأرض : إنى فقير : فقال على : يا قنبر « خادم » ادفع إليه حلتى الفلانية . فلما أخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتنى حلة تبلى محاسنها
فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن الثناء ليحيى ذكر صاحبه
كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
لازهد الدهر فى عرف بدأت به
فكل عبد سيجزى بالذى فعلا

فقال على : يا قنبر ، أعطه خمسين دينار ، أما الحلة فلسألتك ، وأما الدنانير فلأدبك

من كتاب معراج البيان للأستاذ علام سلامة

their claim off, they would adduce a saying they attribute to Ayisha, the wife of our prophet. This saying they quote as follows : "Say that certainly He is the Seal of the Prophets, and do not say there is no prophet after Him". I cannot off hand disqualify this saying, but I can ask those responsible for the quotation to shed some light on the chain of its traditionalists, and to state the source from which this saying was taken. Meanwhile, let me agitate the following points of speculation :

1) It is quite the vogue in Arabic stylestics to choose an expression to another while both give the same meaning. The Holy Quran itself is no exception in relation to observing this vogue e.g. "O ye who believe : Say not 'ra'hina but say 'unthurna' and hearken; for unto misbelievers shall be grievous woe." (2 : 104). The choice between these two synonymes was due to the resemblance between the first and a Hebrew word meaning mischievous. In Arabic both words mean "observe us". In the same manner Ayisha might have chosen a Quranic expression, namely "Seal of the Prophets to a non-Quranic one, i.e. "There is no prophet after me".

2) It has been a mischievous habit of some extremists among Muslims to seak support for their views by sheer fabrication of Hadeaths. This is widely reported by Muslim historians. To give an example of this one should remember that when the Sufiani branch of the Umayyad Dynasty was overtaken by the Marwani branch, the Sufianis, having lost material strength for regaining their supremacy, saught a religious support in fabricating a Hadeath which proficied a promised Sufiani who would play the same role given to the promised Messiah and later to the promised Mahdi.

To conclude, it should be remembered that the verse quoted by the article is taken from Sourat ul Ahzab; one wonders why those who adduced that verse overlooked some two other verses to be found in the same Soura?. These are the two verses :

"Verily, those who annoy God and His Apostle, God will curse them in this world and the next, and prepare for them shameful woe" (33 : 57).

"O ye who believe ! be not like those who annoyed Moses ; but God cleared him of what they said, and he was regarded in the sight of God." (33 · 69).

other nations, are considered most eloquent.

The verses (38—39) speak of the course of God with those who passed away before . . . Those who preach God's message and fear Him etc. This means that the context is dealing with two points :

1) There is no hindrance to the prophet, and

2) This was the same with past prophets.

At this juncture comes the verse misquoted and misrepresented by the article in question. This verse appears quite in tone with the above illustration, and could be represented in the following light :

1) It has been the course of God with past prophets that there would be no hindrance in relation to God's decrees.

2) There should, in the question of Zainab, be no hindrance to Muhammad.

3) Because Muhammad is not a father of Zaid or any other man of you; he is the Messenger of God and the Seal of the prophets mentioned under No. 1 above.

There is no argument as to the literal meaning of the word "Seal", but the word is not to be given its literal meaning here, for it is clear that Muhammad was human, and not metalic. And as has been given above, the Quran is fond of using metaphores. Therefore, the context calls for a metaphorical consideration Let us think of this metaphore. A seal is the last thing to be placed on a document; no other thing is to come after. This is the meaning, the only meaning, one can understand out of the verse. Any other interpretation would be reading a selfish purpose in a devine revelation. This meaning, namely Muhammad is the last of the prophets, is supported by the following evidence :

1) It is completely harmoneous with the verse: "This day have I perfected your religion for you and have completed *my favour on you and* have chosen for you Islam as religion". Because a complete and perfect religion is not in need of another prophet.

2) It is related that the prophet (peace be upon him) excluded all possibilities of a future prophet by saying : "there is no prophet after me". Nobody, even those who perpetuate a belief in another prophet, can doubt the authenticity of this saying; they recognise it well, but they dodge its implications.

Instead of relying on this authentic Hadeath and therefore calling

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Prophet advised him to retain her. Now God has chosen this Zainab to be the example of a legal precedent showing the difference in status between the wife *of a real* son and that of an adopted one. Muhammad *was ordered to take* Zainab in marriage after her divorce was completed.

But Muhammad (peace be upon him) who thought of what the wrong implication would be in people's mind, was reluctant over the issue. Therefore God revealed to Him the verses ending with that quoted verse at the beginning of the article alluded to above. The verses relative this incident (33:36 - 40) run as follows :

" It is not for a believeing man or for a believeing woman when God and His Apostle have decided an affair, to have the choice in that affair; and who rebles against God and His Apostle has erred with an obvious error (36)

And when thou didst say to him God had shown favour to and thou hadst shown favour to, "Keep thy wife to thyself and fear God " ; and thou dist conceal in thy soul what God was about to display ; and didst fear men, though God is more deserving that thou shouldst fear Him ; and when Zaid had fulfilled his desire of her, we did wed thee to her that there should be no hindrance to the believers in the matter of the wives of their adopted sons when they have fulfilled their desire of them ; and so God's bidding to be done. (37).

There is no hindrance to the Prophet about what God has ordained for him; — (such was) the course of God with those who have passed away before, — and God's bidding is a decread decree ! Those who preach God's messages and fear Him and fear not any one except God,— but God is good enough at reckoning up. (38—39).

Muhammad is not *the father of any of your* men, but the Apostle of God, and the Seal of the Prophet's ; for God all things doth know !" (40).

These were verses relevant to the Story of Zainab; it is quite clear that no connection could be established between these verses and Sourat ul Kawthar except that both quotations belong to the Holy Quran, and relate two different incidents of Muhammad's life.

From a stylestic point of view, the Holy Quran is fond of metaphores and conciseness; this is universally acknowledged. Words as well as meanings of adjacent verses are so wonderfully interwoven that a critical reader can find no loopholes or weak points in Quranic style. In fact Quran is a linguistic miracle revealed in the midst of the most eloquent generation of the Arabs, who, among

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

it quite clear that the expression of the seal of the prophets, and there will be no prophet after him, were considered by her to be contradictory to each other in meaning and significance.

4) That the Holy Prophet was the last of the prophets, but only in this sense that all the qualities and attributes of prophethood found their most perfect and complete consummation and expression in him; "seal" in the sense of being the last word in excellence and perfection is of common use.

Moreover, the Quran clearly speaks of the advent of prophets after the Holy Prophet. The following two verses leave no ambiguity on this point :

" And who obeys Allah and this Messenger of His shall be among those on whom Allah has bestowed His blessings, namely, the Prophets, the Truthful, the Martyrs and the Righteous. And excellent companions are these." (4 : 69)

" O children of Adam : if messengers come to you from among yourselves, rehearsing My Signs unto you, then who shall fear God and do good deeds, on them shall come no fear nor shall they grieve." (7 : 35)

The Holy Prophet himself was clear in his mind as to the continuity of prophethood after him. He is reported to have said : " If Abraham (his son) had lived long, he would have been a prophe " (Maja, kitab al Janai'z), and, " Abu Bakar is the best of men after me, except that a prophet should appear " Kanzal-'Ummal).*

* * *

THIS was the article which has taken much pains to distort the actual meaning of the Holy Quran, a meaning that is supported by historical evidence. There is no connection between the verse quoted at the beginning of this article and Soura ul Kauthar, and there should no such mistake if there would be no deliberate design.

The history of Islamic Sharia states that when the Holy Quran specified the women of relation who are prohibited in marriage to a Muslem (4 : 23), a son's wife was among these. Despite the clear qualification of the son being a blood-son, some of the Muslims refrained from marrying the ex-wives of their adopted sons. The Prophet himself had an adopted son who was an ex-slave. The original name of this son was Zaid Ibn Thabit, but after adoption he came to be known as Zaid Ibn Muhemmad. Zaid had a Quraishi wife named Zainab bent Jahsh who was too proud for her ex-slave husband, and he repeatedly confessed to the Prophet that he wanted to divorce her ; the

---

• Commentary of the Holy Quran Part II, V. II.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Holy Prophet would be blessed with sons who would live to an adult age. The verse under comment removed that misconception inasmuch as it declared that the Prophet is not, never was, nor will ever be the father of any grown-up young men. The verse under comment while appearing to be in conflict with Sura Kausar in which not the Holy Prophet but his enemies have been threatened with being issueless, in reality seeks to set at rest doubts and misgiving to which this seeming contradiction gives rise. It says that the Holy Prophet is *the spiritual father of a whole Ummat and he is also the seal of the prophets, signifying that he is the spiritual father of all the past and future prophets.* So when he is the spiritual father of all the believers and all prophets how can he said to be amputated i.e. issueless. But if the expression the seal of the prophets be taken to mean that the Holy Prophet is the last of the prophets and that no prophets will come after him, then the verse appears to be out of tune with the context and instead of refuting the objection of disbelievers that the Holy Prophet was issueless, supports and reinforces it.

Briefly, according to the meaning of the seal of the prophets, the expression can have four possible meanings :-

1) That the Holy Prophet was the Seal of the prophets, i.e., no prophet, past or future, can be regarded as true unless his prophethood bears the seal of the Holy Prophet. The Prophethood of every past prophet must *be confirmed and testified by the Holy Prophet* and nobody can attain to prophethood after him except by being of his followes. All claims to prophethood must be judged and tested by reference to the revelation received by the Holy Prophet and to his teachings.

2) That the Holy Prophet was the best, the noblest and the most perfect of all the prophets and that he was also a source of embellishment for them.

3) That the Holy Prophet was the last of the Law-bear-Prophets. This interpretation has been accepted by many eminent Muslim theologians, saints and savants such as Ibn Arabi, Shah Wali-Allah, Imam Ali Qari, Mujaddid Alf Thani, etc. According to these great scholars and saints no prophet can come after the Holy Prophet who should abrogate his Millat or should not be in his Ummat.

A'isha the talented spouse of the Holy Prophet, has removed all ambiguity about the meaning of the expression, the seal of the prophets.

She is reported to have said :

Say that he (the Holy Prophet) is, the seal of the prophets, but do not say that there will be no prophet after him. This saying of A'isha makes

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

WRONG INTERPRETATION OF AHMADIYYA ABOUT THE SEAL OF THE PROPHETS

Dear Brother-in-Islam,

The faith of Islam is the concern of every individual Muslim. One very important article of this faith is that our Prophet Muhammad (peace be upon him) is the Messenger of God, and that he taught the complete and perfect Religion of Islam. And because Islam is the perfect Religion, as the Holy Quarn testifies, *there was no need for another prophet, to be sent by God*, therefore. Muhammad was the last of the God-sent Prophets; any prophet who claims such title after Muhammad could only be self-styled. All this is an integral part of the faith of Islam; and whoever deviates from such belief is a renegade, even if he insisted on claiming the epithet "Muslim", or if he louded Islam in his slogans.

It seems however that some of those who insist on using the above epithet do not see eye to eye with this article of faith, and try to make all Muslims believe in their deviation, thus aiming for som reason or another to explode Islam from within to serve their own ends. An organ of this deviationary Movement has, last September, published the following article :

"SEAL OF THE PROPHETS"

"Muhammed is not the father of any of your men, but he is the Messenger of Allah, an [illegible] the Prophets; And Allah has full knowledge of all things." (33 : 41).

Much confusion and misunderstanding seems to prevail as to what is the real spiritual status and position of the Holy Prophet as indicated by the expression : the Seal of the Prophets. A careful study of the context, however, removes the prevalent misconception. At Mecca when all the Holy Prophet's male children died in their childhood, his enemies taunted him with being amputated (one who has no male issue), meaning thereby that in the absence of male heirs to succeed him his Movement would sooner or later come to an end. In answer to this taunt of disbelievers it was emphatically declared in Sura Kausar that not the Holy Prophet but his enemies would remain issueless. After the revelation of Sura Kausar the idea naturally found favour with the early Muslims that the

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فهرس أبجدى عام
لموضوعات المجلد الرابع والثلاثين

الموضوع	صفحة
(ا)	
الآلة والأداة	٧٩٧ - ٩٥٣
الأبجدية العربية أكمل الأبجديات ...	٩٥٣
ابن تيمية (كتاب)	٢٣٨
ابن خلكان المؤرخ	١٦١
ابن السكيت	١٧٧
أبو الكلام أزاد	٤٦٨ - ٦٧٨ - ٨٢٦ - ٩٢٥ - ١٠٩٧
أبو هلال العسكرى	٣٢٨
أبو بكر الخوارزمى ...	٣٣٧ - ٥٢٨
اجتهاد أبو حنيفة وموقفه من الحديث	٧٩٣
أحاديث علوم الدين للغزالى ...	٢٩٨
الاحتجاج بالقدر (كتاب) ...	١٠٠٩
أحكام عامة فى الهبة والوصية (فتوى)	٢٥١
أحمد أمين	١٠٥٣
أحمد لطفى لسيد	١٠٢١
الإخاء منشود والفرقة بغيضة ...	٣٩٦
أدبنا بين الواقعية والكلية ...	٢٥٧
الأدب العربى المعقول	٨٥٠
الأدب رسالة يوجه ولا يوجه ...	١٢٩
الأذان قبل دخول الوقت (فتوى)	١٠١٤
إسقاط الصلاة عند العجز (فتوى)	١١٦٣

الموضوع	صفحة
الإرشاد والتطور (كتاب) ...	٥٥٣
الأزهر والتطور ...	٤٢٠ - ٤٤٠ / ٦١٩ - ٨٠٥
أسباب الفصاحة العربية	٤٣١
استخراج القياس الأصولى من القرآن	١٤٦
الاستعاذة حين يتلى القرآن من أواسطه	٢٤٧
استعمال دواء يزيل آلام الوضع (فتوى)	١٢٢
الاستقلال فى التشريع	١٧٢
الأسرة فى الإسلام (كتاب) ...	٢٣٩
الإسلام: دوره فى القارة الإفريقية	٣٤٥
الإسلام دين الحجة والبرهان ...	٣٨٩
الإسلام دين التوحيد	٧٢٢
الإسلام دين الفطرة	٨٧٨
الإسلام فى بورما	١٢٧
الإسلام فى ذروة انتصاراته ...	٩٦٦
الإسلام فى تشاد	٦٥
الإسلام فى تنجانيقا	١٠٨٨
الإسلام فى زنجبار	٤٧٢
الإسلام فى الملايا	٥٠٥
الإسلام والمدنية الحديثة	١٠٤١
الإسلام وتوازن المجتمع (كتاب)	٢٤١
الإسلام ونظرية التطور	٨٤٧

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الموضوع	الصفحة
الإسلام والعالم	٥٠٣
الإسلام ينهى عن المتاجرة باسم الدين	٩٤٣
أشياء غير ممنوعة من الصرف ...	٥٥٤
إعانة الشتاء (قصيدة)	٥٢٩
الاقتراض من البنك بفائدة (فتوى)	٥٦٢
أقراص منع الحمل لمن؟ (رأى) ...	٥٢٧
الإقطاع الثقافى	٢٠٦
إقلال راحة الجار بالزار (فتوى)	١٢٣
أقوال وأقاويل...	١١٤١
ألمانى يكتب عن الإسلام ...	٣٦٨
الإمام الأعظم أبو حنيفة دراسات وافية فى مذهبه	٩٥
انتفاع المرتهن بالرهن (فتوى)	٢٥٠
إلى العالم الإسلامى شعوبه وزعمائه	٤٢٩
إلى التى شرب عقلها الشراب (قصيدة)	٣٤٩
أيام من عمرى (كتاب)	٣٦٣
الإيمان والاستقامة طريق الأمن والسلام	٢٦٠

(ب)

البابية أو البهائية	١١١٧
البهائية «رأى»	
بركة وبحيرة	٩٠٩
بعض الكلام فى شهر الصيام ...	٧٥٧
بلال بن رباح	٤٧٢
البهائية (كتاب)	٥٤٧
البوظة وشربها (فتوى)	٥٦٦

الموضوع	الصفحة
البيان العربى	٧٨ - ١٩٣
البيرة وشربها (فتوى)	٢٥١
بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية ...	٣١٤ - ٤٠١ / ٤٩٩ - ٦٧٣ / ٩٧١
بين الشريعة والفلسفة	٢٢٦
بين شريعة الوحى وصناعة الفقه ...	٧١٢
بين العلم والعمل	٤٦٠

(ت)

تأثير الإسلام فى العبادة اليهودية	٥٠٠-٥٣٣
التاريخ الصحيح من مقومات الحياة	١٠٣٦
التبشير فى أندونيسيا (نبأ) ...	١٠١٢
التبنى وحكمه (فتوى)	٣٧٣
التجارة فى القرآن ...	٧١ - ٢١١ / ٣٢١
التجارة فى الرقيق هل هو حرام بنص شرعى (فتوى)	٢٤٩
تدرج القرآن فى تشريعات التحريم	١١٠٢
التربية الأساسية فى الخطب المنبرية (كتاب)	١١٠
ترك الصلاة كسلا (فتوى) ...	١٠١٥
تشدد فى اللغة لا موجب له	٥٥٥
تشريح الأجسام فى رأى الدين (فتوى)	٥٢٣
التضمين أو نيابة حرف مكان آخر	٤٠٥
تطوير الفكر السياسى الإسلامى	٧٢٦
تعقيب على نقد	٣٧٠

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الموضوع	الصفحة
تعقيب واقتراح	٥٥٨
التفاؤل والتشاؤم	٦٨٣
تكوين الضمير الدينى عند الفرد والجماعة	٧٠٢
تنبيه « بين المعجزة والسحر »	١١٥١
التوسل بالأولياء وما يصحبه (فتوى)	١٢٢
(ث)	
الثورة الوطنية والفنية فى شعر أحمد محرم	٣٨٧
ثورة التوحيد الفلسفى على التعدد الوثنى	٤٣٩
الثقافة فى حياتنا الفكرية	٣٧٩
(ج)	
جائزة الدولة التقديرية للأستاذ الزيات	٧٤١
الجزيرة تنتفض مرة أخرى	٣٨٦
الجمع بين المرأة وخالتها فى النكاح (فتوى)	٣٧٤
جمع بحث على أبحاث	٢٤٥
الجهاد فى الدين الإسلامى	٨٦٦
(ح)	
حج المرأة من غير محرم (فتوى)	١١٦٢
الحج والزواج (فتوى)	١١٦٢
الحسبة فى الإسلام (كتاب)	٣٤١
الحسن العارى (قصيدة)	٢٣٣
الحديش شربه وأكله (فتوى) ...	٥٦٧
الحشو . حشو اللوزينج . حشو الأكر	٨٥٠
الحصانات الدبلوماسية فى الإسلام	٤٨٥
حصانات السفراء فى الإسلام ...	٧٠٧

الموضوع	الصفحة
حق التوكيل فى الزواج والاتجار فى أدوات التزيين (فتوى)	١١٦٢
الحلف بالنبى (فتوى)	٥٦٤
الحقن وحكمها فى رمضان (فتوى)	٨٨٦
حكم تمثيل الشخصيات الإسلامية (فتوى)	١١٩
حكم التوسل بالأنبياء وما يصحبه (بريد)	٢٤٣
حكم زواج مختلفى الأديان (فتوى)	١٢١
حكم عقد القران فى شهر المحرم (فتوى)	١٢٢
حكم النفقة من زكاة الأموال على جهات النفع العام (فتوى)	١٢١
حياة الأنبياء بعد الموت	٨٦٢
حياة رسول الله (كتاب)	١٠٠٩
(خ)	
خطأ الأحدية فى تفسير قوله تعالى « وخاتم النبيين »	١١٤٦
خطأ الأحدية فى تفسير قوله تعالى « وخاتم النبيين » ـ مقال بالانجليزية	١١٦٧
خطبة مجهولة للسيدة عائشة فى أبيها	٣٨١
خواطر عانس (قصيدة)	٣٥١
خيانة العهود من صفات الكافرين	٢٨٢
(د)	
الدخان وهل فيه زكاة؟ (فتوى)	٥٦٢
دراسات فى علم المعنى السيمانتيك	٨٧-٢٢٢
دفاع عن الإمام الأعظم (رأى) ...	١١٥٤
دم الكبش دواء الكلب	١١٥
دموع الأمير (كتاب)	١٠٩

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الموضوع	الصفحة
دور العقيدة فى شخصية الفرد والأمة	٢٠٥
دور الكلمة فى اللغة (كتاب) ...	٥٥١
الديباج الخسروانى (قصيدة) ...	٥٠٤
الدين عند الله (كتاب)	٨٧٧
الدين فى موقف الدفاع (كتاب) ...	٥٤٩
الدين وعلاقته بالأدب	١٠٩٤

(ذ)

ذئب عربى وذئب فرنسى	٦٩٢
الذبائح فى النحر الواجب (فتوى)	١٢٢
ذبح الحيوان بالماكينات ونحوها (فتوى)	٧٥١
ذكرى مصطفى صادق الرافعى ...	٨٨١
ذم الهوى (كتاب)	٢٣٦

(ر)

رأى الشريعة الإسلامية فى احتفالات ملكات الجمال والمصايف واليانصيب (فتوى)	٥٢٢
رأى الدين فى الأحدية (فتوى)	١١٦٠
الرؤية عن طريق المذياع (فتوى)	٨٨٥
الرؤية وثبوتها نهاراً (فتوى)	٨٨٥
الرضاعة وضبطها	٥٥٤
الرضاع المحرم ... ... (فتوى)	٢٥١

(ز)

زكاة أدوات الإنتاج (فتوى)	١٠١٧
زكاة الدين ... ... (فتوى)	١٠١٦
زكاة ريع الأموال لن تغنى عنها العوائد ... ... (فتوى)	١٠١٧
زكاة الزرع ... ... (فتوى)	٨٨٨
زكاة الزرع وهل تجب على المؤجر أو المستأجر ... ... (فتوى)	٥٦٤
زكاة الفطر ... ... (فتوى)	٨٨٨
زكاة المال الذى دفع كعربون (فتوى)	١٠١٥
الزكاة وهل تلزم عن فروق متأخرة (فتوى)	١٠١٧
الزهاوى وديوانه المفقود (كتاب)	١١٥٤
زواج أخت الأخ من الرضاع (فتوى)	٢٧٣
الزيتون ... ... (كتاب)	٥٥٢

(س)

السبعة الأحرف التى أنزل عليها القرآن	٥٠
سلطان الأمة منوط باستقامتها ودوام النعمة رهين بصيانتها ...	١٧
السمات الفنية فى شعر محرم ...	٥١٢
سن الزواج شرعا وقضاء (فتوى)	٥٢٠
سوريا وسورية	٣٨٠

(ش)

شحنة المشاعر الإنسانية	٢٧
الشخصية السماوية للأمة	٥٧٦
شخصية ذو القرنين بين قورش والإسكندر المقدونى	٦٩٥

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الموضوع الصفحة

شراء الحب قبل أن يحصد بأقل من ثمنه وقت الحصاد (فتوى) ٢٤٩
شركة من يجد المال مع من يجيد العمل ... ... (فتوى) ٢٤٩
شكيب أرسلان الناقد ١١٠٨

(ص)

الصدقة وهل تغنى فى المرض عن قضاء الصوم ... ... (فتوى) ٨٨٦
صفحات من تاريخ المرأة فى الإسلام ٢٧٧
صلاة التراويح ... ... فتوى ٨٨٨
صلاة الجماعة وتعددها فى مسجد واحد ... ... (فتوى) ٣٧٢
صلاة الظهر بعد الجمعة على مذهب الشافعى ... ... (فتوى) ٣٧٢
صلاح الدين بطولته ١٠٠١
صلاح المجتمع بصلاح أفراده ... ٧٧٣
الصلاة (سقوطها) ١٠١٤
صياغة مشروع لجامعة إسلامية ... ٢٧٠
الصيام فى بلاد النهار والليل فيها عدة شهور ... ... (فتوى) ٨٨٧

(ض)

الضرائب فى الإسلام ٦٦٨ - ٤٧٧ - ٧٦٤ / ٨١١ - ٩٧٦
الضرائب لا تجزى عن الزكاة ... ١٠٢٥
ضمان المال المتلف خطأ (فتوى) ١٠١٧

الموضوع الصفحة

(ط)

طاقة جديدة فى مجالات العمل الإسلام ٤٨٤
طاقة من شعر الأسرة « قصيدة » ١١٥٢
طاووس بن كيسان ٤٧٨
طبيعة الشعر العربى ٩٩١ - ١٠٧٠
الطريق إلى اتحاد إسلامى (كتاب) ٢٤١
الطلاق بلفظ الثلاث ... (فتوى) ٣٧٤
الطلاق وتكريره ثلاث مرات (فتوى) ٧٤٧

(ع)

عام جديد على أزهر جديد ١
عابد الشمس ... ... (قصيدة) ١٠٣
عبد الملك بن مروان ... (كتاب) ٧٨٢
العز بن عبد السلام ... ... ٢١ - ١٨٤
العز بن عبد السلام ... (كتاب) ٥٥٢
عرب : تحدرها وتطورها ١٦٨
عصرنا الذهبى الرابع ٥٧٤
عصمة المرأة بيدها وهل حكمها فيها حكم الرجل ... ... (فتوى) ٥٢١
العقد العرفى ... ... (فتوى) ٢٥١
العقيدة أولا ثم العمل ٥٨٩
العقيدة وأثر الانحراف (كتاب) ١٠٠٨
العلم والعمل فى الإسلام ٩٨٣
العلماء سفراء وقادة ١٠٤٨
علوم نبغ فيها العرب ٧١٧
على مبارك ... ... (كتاب) ٨٧٤
على مبارك لم يكن خائنا (رأى) ١٠١٠

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الموضوع	الصفحة
عمرو بن عبيد	٧٨٣
عمورية وأتراتو	٧٨٩
عناصر القوة فى الإسلام	١٠٠٦
عوامل الإعراب فى اللغة	٨
عودة إلى البسملة فى بدء القراءة ...	١١٢
عيد العلم	٧٤٢

(غ)

غلة الأرض إذا لم تكف هل فيها زكاة (فتوى)	٥٦٢

(ف)

فرعون موسى	٧٤٢
الفقه صناعة إنسانية متطورة ...	٨٥٤
فقهنا وهل نصنعه	٩٨٦
فكرة وتطبيق	١٤٢
الفكر العربى ومكانه فى التاريخ (كتاب)	٥١٢
فلسفة البخل (قصيدة)	٧٣٣
فلسفة تاريخ محمد (كتاب)	٣٥٣
فن الشعر العربى وحيد فى لغات العالم	٨٩٨
فن الصورة فى أدب المازنى	٤٤٥
فى بلادى الجميلة (كتاب)	٥٠٦
فى العاصفة (ديوان شعر)	٧٣٧
فى ظلال الإسلام كل الرجاء (قصيدة)	٢٣٤
فى محيط النحو	٥٥٧

(ق)

قدم الكتابة العربية	١٣٧
القرآن وكتابته بالحروف اللاتينية (فتوى)	٥٢٤
القرآن يتهمكم باليهود	٩٤٨
قضاء رمضان (فتوى)	٨٨٦
القهوة حرام قصة لها دلالة	٩٢١
قولهم أحسن من ذى قبل	٥٥٦
قولهم سافر إلى بيروت عرض البحر	٥٥٤
قولهم سافر إلى بيروت عبر البحر ...	٧٤٥
قولهم لم يكن يعرف	٢٤٥
القوانين التى وضعها الإسلام ضمانا وتنفيذا	١٢
قانون الوصية (فتوى)	٣٧٤

(ك)

كاد أن	١١٤
كتابة التاريخ المعاصر	٣٠٨
الكتاب العربى المخطوط وملاحظات عليه	١١٦
كرامة العقل وقداسة الحرية من رسالة الإسلام	٣٤٠
كتابة القرآن بطريقة الإملاء الحديثة (فتوى)	٧٤٩
الكلاب وتربيتها لحراسة الدار (فتوى)	٥٦٥
الكندى فيلسوف العرب	٦١٠
كيف نكتب البحوث الأدبية ...	٩١٥

(ل)

اللفظ والمعنى	٩٦٠
لفت نظر (تعليق)	٣٦١

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الموضوع	الصفحة
(م)	
المادية تهدم	٧٦١
المازني شاعرا	٢٠٠ / ٤٣٥
المصدر في اللغات	١٠٢٧
ما لا يجوز الخلاف فيه عند المسلمين (كتاب)	١٠٠٥
مؤلف قصة الحضارة في أيامه الأخيرة	٣٧٨
المؤمن الحر في نظر إقبال (قصيدة)	٥٣٧
مبادئ الإسلام في تنظيم الأسرة (كتاب)	٨٧٦
المثالية	٧٤٦
المثالية في نظر الإسلام ...	٤٣٥ / ٥٦١
مجاملة أهل الذمة ومداها (فتوى) ...	٢٥٠
المجتمع الإسلامي يحتمي بالقوة ليعيش في ظل السلام من أعدائه	١٥٢
المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام	١٠٤٤
مجتمع الطبقة الواحدة في الإسلام ...	١٨٨
مجمع اللغة العربية في المغرب (نبأ) ...	٨٨١
محطة قاب قوسين (تعليق)	٨٧٨
محمد حفظ الرحمن	٤٢٤
محمد رسول الحرية (كتاب)	١٠٦
محمود الغزنوي	١١٢٣
محي الدين النووي	٤٩٤
المخدرات ممنوعة والقصص الداعرة مباحة	٧٤٣
المدينة الفاضلة	٩٣١
المدينة المنورة في التاريخ (كتاب)	١١١
المرأة والشورى في الإسلام	٣٧٥
المركز الثقافي الإسلامي بواشنطن	٢٤٨
مزيدا من النور (قصيدة)	١٠٤
المساهمة الإسلامية في الطب	٦٠١
المسئولية الفردية والمسئولية الجماعية في نظر الإسلام	٤١٦
مسلك الإسلام إلى الغارة الإفريقية	٢٨٧
المستقبل لهذا الدين (كتاب) ...	٨٧٥
المسلمون السود في أمريكا ...	٩٩ - ٢٢٩
المسلمون في الهند (كتاب) ...	٥١١
مشاعر إقبال نحو العرب (قصيدة)	٨٦٩
مع البلاغيين : اللفظ والمعنى ...	١٠٨٠
مع الضمير الإنساني ... كتاب	١٠٠٧
مع القرآن في الآفاق	٣٠٥
معترك المذاهب الفلسفية	٤٩٤
معنى الهجرة وذراعيها	٥
المكتبات العامة ورسالتها في المجتمع	٣٧٧
الملكية في الإسلام	٤٨٧
من الأستاذ الدكتور البهي (بريد)	٥١٥
مناهج الإسلام لتقوية روابط الأسرة	٧٦٥/٩٠٣/١٠٣١
من أيام الإسلام الخالدة يوم بدء الدعوة	٧٧٧
من بعيد	٧٤٥
من تاريخ الأدب الحديث بكرية عبد الحليم المصري	٤٤٦
من ثمار الإيمان	٦١٣

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الموضوع	الصفحة
من ذكريات العيد فى القرية ...	٨٩٣
من معالم الطريق	١١٣٢
من معانى القرآن	٣٢ ١٨٣ ٤٠٠ ٤٣٩ ٦٧٧ ٩٤٧ ١٠٥٢
منهج القرآن فى تربية الفرد ...	٤٥٣
المهر والشبكة قبل العقد ... (فتوى)	٥٢٠
الموازنة فى التاريخ الإسلامى ...	٥٨
موازنة لا مقارنة ... (تعليق)	٨٨٠
الموجز فى التربية الإسلامية (كتاب)	١١١
الموسوعات والمعاجم اللغوية ...	٤٥٧
الموضوع فى الأدب العربى	٣٣
موعد الصيام وتوحيده ... (فتوى)	٨٨٤
الميثاق الوطنى فى رأى الأزهر ...	١٣٢
ميراث ابن أخ شقيق مع أخوين شقيقين ... ... (فتوى)	٢٥٢
ميقات الصوم	٨٥٩
(ن)	
نحو منهج جديد فى تطوير الفقه الإسلامى	٥١٦
نداء القرآن	١٥٨
النزعة العنصرية والصهيونية	٨٢٠ - ٩٣٧
النسخ فى تقدير علماء الأصول	٩٩٧ - ١١٤٩
نصرة الحق مكفولة من جانب الله تعالى	٧٦٩
نظرات فى فقه عمر	٤٥٤/٥٨٤
نظرية الإيحاء بين المستشرقين والمسلمين	١٠٥٨
نظرية التعسف فى استعمال الحق	٤٢٨/٦٦٢/٤٦٣
النقد الأدبى من خلال تجاربى ...	٥٢١
نقل الدم وهل يبطل الزواج والمصاهرة (فتوى)	٥٢١
نقل أعضاء جسم ميت إلى حى (فتوى)	٥٢٣
نقل الزكاة ... ... (فتوى)	١٠١٧
النكتة ومعناها حقيقة ومجازاً ...	١١٥
(هـ)	
هدى القرآن فى إصلاح الفرد والمجتمع	٨٣٢
هل كلمة سيدنا فى شهادة أن محمدا رسول الله واردة (فتوى) ...	٥٦٨
هل يصلى المرء ولو غضبت أمه (فتوى)	١٠١٥
(و)	
وجاء أبو بكر (كتاب)	٥١٤
الوحدة فى الأمور الشرعية (فتوى)	٨٨٧
وضع الزهور على القبور (فتوى)	١١٣
والعاديات ضبحا	٢٤٤
(ى)	
يا حبيب الرحمن (قصيدة)	٧٣٠
يحيى بن يعمر العدوانى	٤١١

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فهـرس

صفحة	
١٠٢١	أحمد لطفي السيد للأستاذ أحمد حسن الزيات
١٠٢٥	الضرائب لا تجزى عن الزكاة للأستاذ الإمام الأكبر شيخ الأزهر
١٠٢٧	المصدر في اللغات للأستاذ عباس محمود العقاد
١٠٣١	مناهج الإسلام لتقوية روابط الأسرة للأستاذ محمد محمد المدني
١٠٣٦	التاريخ الصحيح من مقومات الحياة للأستاذ عبد اللطيف السبكي
١٠٤١	الإسلام والمدنية الحديثة للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود
١٠٤٤	المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام للأستاذ عبد الرحيم فودة
١٠٤٨	العلماء سفراء وقادة للأستاذ محمود الفرغلي
١٠٥٢	من معاني القرآن للأستاذ عبد الرحيم فردة
١٠٥٣	أحمد أمين للأستاذ عبد المعطي الشيري
١٠٥٨	نظرية الإيحاء بين المستشرقين والمسلمين للدكتور صلاح الدين عبد الوهاب
١٠٧٠	طبيعة القصر العربي ـ ٢ ـ للدكتور عبد الله الطيب
١٠٨٠	مع البلاغيين : اللفظ والمعنى ـ ٢ ـ للأستاذ علي العماري
١٠٨٨	الإسلام في تنجانيقا للأستاذ عطية صقر
١٠٩٤	الدين وعلاقته بالأدب عند ت ـ س ـ إليوت للأستاذ رشاد محمد خليل
١٠٩٧	مولانا أبو الكلام آزاد ـ ٥ ـ للأستاذ عبد المنعم النمر
١١٠٢	تدرج القرآن في تشريعات التحريم للدكتور سعد الدين الجزاوي
١١٠٨	شكيب أرسلان الناقد : آراؤه في القصر للأستاذ أحمد العمراصي
١١١٧	البابية أو البهائية للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشي

صفحة	
١١٢٣	من إعجاز الرجولة : محمود العزتوي البطل الذي ضم الإسلام أمة للأستاذ محمد رجب البيومي
١١٣٢	من معالم الطريق للأستاذ فتحي عثمان
١١٣٧	النسخ في تقدير علماء الأصول ـ ٢ ـ للأستاذ عباس طه
١١٤١	ما يقال عن الإسلام : أقوال وأقاويل.. ! للأستاذ عباس محمود العقاد
١١٤٦	خطأ الأحمدية في تفسير قوله تعالى « وخاتم النبيين » ترجمة ابراهيم محمد الأصيل
١١٥٢	طرفة من شعر الأسرة « قصيدة » للأستاذ المرضي الوكيل
١١٥٤	الكتب : الزهاوي وديوانه للفقود للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي
١١٥٧	أنباء وآراء : دفاع عن الإمام الأعظم ـ إسقاط الصلاة عند العجز ـ البهائية ـ تنبيه على خطأ
	الفتاوى : للأستاذ ابراهيم محمد الأصيل رأي الدين في الأحمدية ـ الحج والزواج ـ حج المرأة من غير محرم ـ التوكيل في النكاح والزواج على شرط ، والاتجار في ملابس السيدات وآلات الترفيه ـ حول إسقاط الصلاة عند العجز
١١٦٥	بين الصحف والكتب : للأستاذ عبد الرحيم فوده بيت الله ـ هذا الحجر ـ يارب الحجيج ـ حول الكعبة ـ إلى الله ـ
١١٦٧	خطأ الأحمدية في تفسير قوله تعالى « وخاتم النبيين » بالانجليزية .
١١٧٢	فهرس أبجدي عام لموضوعات المجلد الرابع والثلاثين

مطبعة الأزهر

الثمن أربعون مليما